





رسائل

ابي بكر الخوارزمي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبعت بمطبعة الجوائب ﴾

فى

﴿ قسطنطينية ﴾

١٢٩٧

فهرسة رسائل ابى بكر الخوارزمى

صحيفة

٠٠٢ كتب بها الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله
٠٠٨ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب من الامير ابى الحسن
٠٠٩ وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة
٠١٠ وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله
٠١٢ وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر و اختلط
« وكتب الى ابى عمر الكندرى وزير صاحب جرجان
٠١٣ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة و قد طولب ابوبكر بحضور الديوان فانفعل
٠١٥ وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له
٠١٦ وكتب الى ابى الحسن الطرحودى بدار طوس
٠١٧ وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير
٠١٨ وكتب الى رئيس بهراه يعزيه بابن اخته و بنته
٠٢١ وكتب الى صديق له جواب كتابه
٠٢٢ وكتب الى حاكم
« وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان
٠٢٣ وكتب الى ابى الحسن الحكمى
« وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة
٠٢٤ وكتب الى ابى الحسن على بن دايه
٠٢٦ وكتب الى ابى الحسن الحكمى
« وكتب الى ابى الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس
٠٢٧ وكتب الى وزير خوارزم شاه لما نكب وكان خريجة هرجة
٠٣٠ وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة و ورد نيسابور

وكتب

صحيفة

٠٣٢ وكتب الى ابي محمد العلوى
٠٣٧ وكتب الى تلميذ له قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما احدثه
٠٣٨ وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت
٠٤٠ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم
٠٤١ وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور
٠٤٣ وكتب الى ابي الحسن الحاكم بن ابي حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارى بعد ان ارادوا القبض بها عليه وبعث خلفه فلم يجده
٠٤٥ وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولى سوق الطعام بعناية وهو امى
٠٤٧ وكتب الى ابي القاسم الدوادى اول ما افتتح بمكاتبته
٠٥٠ وله الى تلميذ له وكتب اليه رسالة وقصيدة
٠٥١ وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه
٠٥٣ وكتب الى صاحب البريد بالرى كتبها من اصفهان
٠٥٥ وكتب الى اردهل وقد ورد عليه خبر علته
٠٥٦ وكتب الى يزيد صاحب سمرقند
٠٥٧ وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس بن وشمكير
٠٦٠ وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له
٠٦١ وكتب الى ابي محمد العلوى جوابا عن كتابه
٠٦٤ وكتب الى كاتب
« وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة
٠٦٧ وكتب الى وزير صاحب خوارزم
٠٦٩ وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب
٠٧١ وكتب الى ابي القسم وقد انهدمت داره عليه وسلم
« وكتب الى ابي احمد الرازى بنندر نيسابور

صحيفة

٠٧٣ وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان

» وكتب الى ابى سعد احمد بن شبيب

٠٧٥ وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابه مثله وطلب نسخة شعره

٠٧٦ وكتب اليه ايضا

» وكتب الى حاجب ركن الدولة بالرى

٠٧٧ وكتب الى ابى عبدالله النحوى الخطيب بالرى

٠٧٩ وكتب الى قاضى الرى ابى الحسن بن شاذان

٠٨٠ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة

٠٨٢ وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان وتوفيت اخت الوزير

٠٨٥ وكتب ايضا الى بندار نيسابور من الرى لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد

٠٨٩ وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور

٠٩٠ وكتب اليه ايضا

٠٩١ وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة

٠٩٢ وله الى خلف بن احمد

٠٩٣ وكتب الى ابى قاسم بن ابى الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل

٠٩٤ وكتب الى ابى على البلعمى بعد ابيات استبطأ جوابها

» وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم

٠٩٥ وكتب الى ابى على البلعمى لما بلغ منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع واللوم

٠٩٦ وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه

٠٩٧ وكتب الى ابن سمكة القمى وقد اهدى اليه مع كتابه هديه

٠٩٨ وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم

» وكتب الى احمد بن شبيب

٠٩٩ وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم

وكتب

صحيفة

١٠١ وكتب الى كاتب خوارزم شاه وقد تخلص من المصادرة يشتكى اليه وزير صاحبه
١٠٢ وله الى وزير خوارزم شاه لما نكب
١٠٣ وكتب الى ابى محمد العلوى
١٠٥ وكتب الى ابى العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله
١٠٦ وكتب الى ابى الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل
١٠٧ وكتب الى ابى سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة
» وله اليه
١٠٨ وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا
١٠٩ وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل
» وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا
١١٠ وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة
١١١ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة
١١٢ وكتب الى ابى الوفا صاحب جيش عضد الدولة
١١٣ وله الى ابى الحارث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعى كتابه
١١٤ وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة
١١٥ وله الى كاتب بعض الامراء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب
١١٨ وله الى قاضى الرى ابى الحسن الهمدانى
» وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل
» وله الى سعيد بن سمكة
١١٩ وله الى ابى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته
١٣١ وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه
١٣٢ وكتب الى ابى بكر بن سمرد

صحيفة

١٢٤ وكتب الى تلميذ له عن كتاب وقصيدة
١٢٥ وكتب الى ابى الفرج خليفة الوزير بنيسابور
١٢٦ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الرى
١٢٨ وكتب الى رئيس قم
« وكتب الى مؤدب امير خوزستان
١٢٩ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى
١٣٠ وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها
١٤٠ وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته
١٤١ وكتب الى رئيس سمرقند
١٤٢ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة
١٤٤ وكتب الى خوارزم شاه
« وكتب الى العامل على البريد بالاهواز
١٤٥ وكتب الى ابى حامد بن روزبه اديب قومس
« وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه
١٤٦ وكتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس
« وكتب اليه ايضا
١٤٧ وكتب تعزية الى ابى بكر
١٤٨ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى
١٤٩ وكتب الى ابن العميد الحاكم
١٥٠ وكتب الى ابى القاسم الابى البندار
« وكتب الى ابى سمكة بقم
١٥١ وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل واصبهان
١٥٢ وكتب الى ابى بكر بن شيرد

صحيفة

١٥٣ وكتب الى الوزير بالحضرة
١٥٥ وكتب الى تلميذ له
» وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان
١٥٦ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم
١٥٧ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى
» وكتب الى الوزير ابى القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله
١٥٨ وكتب الى ابى الحسن الحكمى
» وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدرى
١٥٩ وكتب الى فقيه من تلامذته
١٦٠ وكتب الى الملك لما اصيب بابنه عن خوارزم شاه
١٦١ وكتب الى ابى منصور ملك الصغانيان يعزيه فى عمه ابى سعيد
١٦٢ وكتب الى ابى القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان
» وكتب الى فقيه فى تعهد مسجد
١٦٣ وكتب الى ابى شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين
١٦٤ وكتب الى رئيس نيسابور
» وكتب الى على بن كامه
١٦٥ وكتب اليه لما ولى قومس
١٦٦ وكتب الى ابى طاهر وزير ابى على بن الياس بكرمان
١٦٧ وكتب الى حاجب الوزير ابى القاسم بن عباد حين ورد خراسان وحمل اليه نزلا
» وكتب الى ابى محمد العلوى
١٦٩ وكتب الى قاضى القضاة
١٧١ وكتب الى قاضى سجستان حين نكبه اميرها
١٧٣ وكتب الى مسكويه وقد تزوجت امه
» وكتب الى صديق له على ديوان الخراج

صحيفة

١٧٤ وكتب الى ابى محمد العلوى
١٨٠ وكتب الى تلميذ له و قد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى
« وكتب الى خوارزم شاه
١٨١ وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه و عاتبه فيها
١٨٥ وكتب الى رئيس دامغان
١٨٦ وكتب الى خوارزم شاه
١٨٧ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب لما شارف نيسابور
١٨٩ وكتب الى صاحب جيش خوارزم و ورد عليه كتابه يخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة و يتوجع له من العلة
١٩١ وكتب الى ابى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر زعم يعبث به
٢٠٥ وكتب فى نكبة نيسابور و واليها حسام الدولة ابى بكر بن عبدوس بعض عدول نيسابور
٢٠٦ وكتب الى ابى الحسن بن عبد العزيز قاضى جرجان وقد خرج منها
٢٠٧ وكتب الى بعض اصدقائه
٢٠٨ وكتب بعد محنته و رجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزم شاه وقد نكب
٢٠٩ وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور
٢١٠ وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد
« وكتب الى ابى القاسم المزنى وقد صالح اخاه
٢١١ وكتب رحمه الله
« وكتب ايضا
٢١٣ وكتب ايضا
« وكتب الى ابى القاسم الحسن بن على

***

رسائل

أبي بكر الخوارزمي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ طبعت بمطبعة الجوائب ﴾

﴿ فى قسطنطينية ﴾

١٢٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

رسائل ابى بكر الخوارزمى

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين * هذه رسائل الاستاذ ابى بكر الخوارزمى رحمه الله تعالى

كتب بها الى الحاجب ابى اسحاق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله

وفقك الله فى مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك * والهمك فى استيفاء شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك * ولا اخلصك الله مما انت فيه من جناية غيرك عليك * حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك * فان نفسك اعظم خصميك * وان كانت اصغرهما لديك * وقد مثلت ايدك الله بين ان احرش لك كلامى * وافوق نحوك سهامى * واقضى بذلك حق عظتك * واخرج من عهدة مايلزمنى فى هدايتك * وبين ان الين مس قولى لك * فتبقى فى نفسى حاجة من نصيحتك * فرأيت الاول على اوجب * والى الصواب اقرب * هذا وانا اقول

اخوك الذى ان اجرضتك ملمة * من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ولا اقول

وليس اخوك بالذى ان تشعبت * عليك امور ظل يلحاك لائما

اصاب

اصاب المرقش ايدك الله فى بيت الواجم * ولم يصب فى بيت اللائم * وكيف يهدى الطريق لرشده فى غده * دون ان يلام على غيه فى امسه * وكيف يتوصل الى تحسين الصواب الآنف * الا بتقبيح الخطأ السالف * وكيف لا يلام المسيئ والنهى عما بعد يقتضى اللوم على قبـل * وكما لا بد فى الكلام من الاثبات والنفى * كذلك لا بد فى العظة والنصيحة من الامر والنهى * فاللوم اذا على هذه القضية اجدر * اذ كانت النصيحة التى عليها قامت * وبها استقامت * وهل يلوم المرء الا اخوانه الاقارب * وهل يرخى له عنان العذل ويتجوز معه فى اللوم الا معارفة الاجانب * واذا فرغت للحق زاوية من قلبك * وحكمت على هواك لعقلك * علمت ان ما تكره فيما تحب * خير لك مما تحب فيما تكره * وان دواء تستبشعه وفيه شفاؤك * خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك * ولئن كان ظاهر كلامى يلدغك * فان باطنه لينفعك * وانت ايدك الله تعلم انك كنت من الذل فى مكان يتخطاك فيه الناظر * ويدوسك الخف والحافر * لا يشرفك نسب * ولا يرفعك ادب * ولا يرجوك صديقك * ولا يخافك عدوك * عن يمينك الخمول * وعن يسـارك الذبول * وبينهما الفقر الذى لو قسم على الاغنياء * لصاروا فقراء * والضعف الذى لو فرق على الاقوياء لعادوا ضعفاء * تصبح فى قل * وتمسى فى ذل * وتروح الى انثى وتغدو الى طفل * فانصفك الدهر الظالم * وانتبه لك البخت النائم * واراد الله تعالى ان يرفع من حكمتك * ويقوم من قنبور حدبتك * فينظر كيف تعملون * والله يعلم ما تبدون وما تكتمون * فاتصلت من ولى نعمتك برجل لو اتصل به الادبار * لتقدم الاقبال * ولو خدمه النقص لفضل الكمال * ولو تعرف اليه الجماد لنطق بجده * ولو استجار به امس الدابر لرجع بسعده * فما هو الا ان نسبت اليه * وحسبت فى آثار يديه * حتى قاتلت الايام بسلاحه * وطرت الى المنى والمطالب بجناحه * وحتى طمحت الى امور كنت عنها مطروفا * وخطوت الى اشـياء كنت عنهـا قطوفا *

ومثل الذى نلته حافيا * يؤثر فى قدم الناعل

وحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار والباب * وكثر ترددك بين الآذن والحجاب * وخدمك اناس ما منهم احد الا وقد لاحظته بعين هائب * ونقلت اليه قدم راغب او راهب * هذا الى استسلامه لك من الردى * بيد الهدى * واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد * الى نور العدل والتوحيد * فلزمك ولاؤه مرتين * واحاطت برقبتك نعمته من جهتين * لانه انقذك من النار * كما انقذك من العار * واعتق رقبتك من اسار الضلال * كما اعتقها من ذل السؤال * فكانت نعمته عليك مضاعفة * وصنيعته اليك مداخلة * وكل ذلك بعين احسان الله تعالى يمد نفيس احسانه اليك لتؤدي زكاة الاحسان * وترتهن الصنيعة باليد واللسان * ويريك يقظان ما لم تحتلم به وسنان * ويزف اليك من ابكار الصنع ما لم تخطبه بهمتك * ولم تستوجبه بقيمتك * الى ان اصلح عليك الدهر الطالح * وملكك عنان البخت الجامح * وانت سكران من خمر اليسار والغنى * غريق فى لجج المطالب والمنى * لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلم معك * او طرت نحوه بجناح لك * والاقبال يستر عيوبك * والامهال يغفر ذنوبك * ولا ستر اكثف من اقبال * ولا شفيع انجح من اهمال * والدولة تجعل البعيد قريبا * والجد يرى المخطئ مصيبا * والمجدود يمس بيديه * ما لا يراه المحدود بعينيه * ويتناول قاعدا ما لا يتناوله غيره قائما * ولا رسول اسرع من دهر * ولا مستحث اوحى من يسر بلا عسر * فلما جازيت النعمة بالكفران * ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان * نظرت الايام اليك شزرا * وابدلتك باليسر عسرا * فاصبحت تلك البوارق * وهى صواعق * واستحالت تلك المواهب وهى مصائب * وتقاضاك دهرك ما اسلف * واستأنف بك خلاف ما سلف * والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى * وحاكم لا يراجع اذا قضى * ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع * ومعط اذا لم تشكر عطيته منع * ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب * واذا تعلم منه ادب وهذب * على انى ما رأيت معلما احسن تعليما من الزمان * ولا متعلما اسوأ تعلما من الانسان * فها انت قد ذمك حامدك * ورحمك حاسدك

حاسدك * واحتقبت اوزار الندامة * و رضيت من الغنيمة بالسلامة * و كانت الايام تعدنا بك * فاوعدتنا فيك * وخلف ليل الشك نهار * و ورآء سكر النعمة خمار * فانت الآن عليل دواؤه التوبة * وجريح شفاؤه الرجعة والفيئة * فان قبلت توبتك فقد انقطعت مدة الدآء * وظهرت بركة الدواء * وان تكن الاخرى فربما قد اخلف الدواء شاربه * وخان الرجاء صاحبه * فياطبيب نفسه ارفق بها * ويا مداوى جراحته الطف لها * واعلم انه قدكان شكر الرخاء * اهون من مصابرة البلاء * وكان حفظ الصحة * ايسر من معالجة العلة * ولو وجدتك العافية من اكفائها لما طلقتك * ولو رأتك النعمة من رفقائها لما فارقتك * واقل ماكان يجب لصاحبك عليك ان لا تستعين بنعمته على كفران نعمته * ولا تكتب حسنته فى جريدة سيئته * ولاتسل عليه من لسانك سيفا بده صقلته * ولا تشرع اليه من كلامك رمحا كفه قومته

لقد جازيت بالاحسان سوءا * اذا وصبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى * انخت الشرك فى دار الجهاد

فيا ايها الرجل * وكلكم ذلك الرجل * كم تهتكون حجب العوارف بيد الكفران * وكم تصافحون النعم بالبغى والعدوان * وكم تفضون ختام العافية بالغدر * وكم تسترون الخيرات بقلة الشكر * وكم لا تبرزون الصنائع فى معرض من حسن الذكر * ولا تقلدونها حلية من طيب النشر * وكم تتبعون الوفاء بالملق * وتنادون على الامانة كما ينادى على الثوب الخلق * وكم تقبحون فى النعم * وتحسنون فى النقم * وكم تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه * ولؤم مركبه * حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم ان كفران النعمة لو احله الشرع * لحرمه الطبع * ولو جاز من طريق الملة والديانة * لحظر من طريق المروءة والصيانة * فان للمحسن من الله عينا كالئة لا تنام * وان وراءه من واقية الاحسان ركنا منيعا لا يرام * ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده * وصار فى حكم الاحسان عبده * واذا خدم غيره وهو حى فقد خان الاول فى نعمته * وغش الثانى بخدمته * وهل يبرأ العليل بين طبيبين * وهل يسع الغمد سيفين *

وهل ينطق لسان واحد بشكرين * او يتسع قلب واحد لمحبة اثنين * و لهذا الشان طلقت النـاس ثلاثا * وفارقت المدح بتاتا * لما وردت من الوزير على من خدمة غيره تعد كبيرة ليس لها غفران * و سيئة لا يمحوها احسـان * فلما رأيتـه علمت ان الايام قد خبأته لى ذخرا * واعدته لى عذرا * و اراد الله تعالى ان اعاشر النـاس حرا و نذلا * * واجوب البـلاد حزنا وسهلا * حتى اذا جبت الآفاق * و قلبت الاخلاق * و صارت الارض فى عينى دارا * هجم بى السعد على حسنة الايام * وغريبة الانام * ونصفة الدهر الظلوم * و مكرمة العالم اللئيم * فاذا هو ضالة رجائى الحائم * و بغيـة قلبى الهائم * فختمت به جريدة المدح والثنآ * و اغلقت باسمه باب الاستماحة والرجآ * وفتحت له مغاليق فكرى * و دفعت اليه مقاليد نظمى و نثرى * واقطعته لسـانى غير منقطع * و وهبت له قلبى غـير مرتجع * و نظرت الى ابى الطيب والى تناقض حكمته * و تفاوت طرفى فعلته * حيث قال فى سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيتـه * ان الكرام باسخاهم يدا ختموا

﴿ وقال فى كافور الاخشيدى ﴾

قواصـد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفآء علقا خطيرا * واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا * وحال ضباب الحرص والرجاء * بينه وبين العهد والوفاء * وكان يضايق نفسه فى اختيار المتاع * ويسامحها فى اختيار المبتاع * ويخلع خلعة من نظمه تساوى بدره * على عرض من لا يساوى بعره * ويزف كريمة من كرائم شعره * الى من لم تقم عنده كريمـه * ولم تعرف له قيمه * لو رأى الطمع فى جحر فارة لدخله * ولو اتاه الدرهم من است كلب لما غسله * فلا جرم ان الناس كما استحسنوا قوله * استقبحوا فعله * وكما اعجبوا بشعره * تعجبوا من غدره * يشـكر ثم يشكو * ويمدح ثم يهجو * ويشهد ثم يجرح شهادته * ويعطى ثم يسترجع عطيته * فكم من حر فضله ثم ثلبه * وكم من عرض كساه ثم سلبه * وكم من صفحة اكل منها ثم بصق فيهـا * ولكن فى قميص ابى بكر رجلا اذا اعطى لم يرتجع * واذا طلق لم

يراجع

راجع * واذا بنى لم يعد على بنائه بالهدم * واذا مدح لم يطأ على عقب مديحه بالذم * واذا طيب ذكيه بالمدح للكريم * لم يلطخهما بمدح للئيم * واذا زوج كرائمه كفوًا حجبهن ان يتبرجن الا لديه * ويجتليهن غير عينيه * وانما الغدر من اخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران * وجذبها الى شق النسوان * وهو اذا مخنث من حيث الخلق * غير مخنث من حيث الخلق * وقد يصلح الانسان خلقه * ولا يمكنه ان يغير خلقه * فالغدر اذا على هذه القضية هو التخنيث الاكبر * والتأنيث الاعم الاكثر * والوفاء حمية القلب * كما ان التوقى من الطعام والشراب حمية الجسم * وثبات الحمية * من قوة الحمية * وحفظ العهد من شرائط الرجولية * وانى لاعجب ممن يعادى المقبل والله معه * والايام مدد له * وداعية الجد خلفه وقدامه * وقد رأيت ما صار اليه مصارع اعداء هذه الدولة * وختمت به احوال حساد هذه النعمة * فقد غمزوا قناتها وقرعوا صفاتها * فاخترموا واصطلموا * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا * طافت الايام على الوزير بمناياهم * فابقاه الله تعالى وافناهم * ولم يزل نقصهم يحارب كماله * وادبارهم يزاحف اقباله * حتى اجلت معركة العواقب عنه راضيا وعنهم ساخطين * واقشعت غبرة الايام والليالى عنه قائما وعنهم مصروعين *

فلو لم تبق لم تعش البقايا * وفى الماضى لمن يبقى اعتبار

* عافاك الله امش مع الدهر كما يمشى * واجر مع الفلك كما يجرى * وارفق بمن رفقت الايام به * وارع لمن رعت السعادة له * ولا تزاحم الفلك الدوار * ولا تناطح الاقسام والاقدار * ولا تصغر الكبار * ولا تتحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه * ومسلط لا يؤخذ ما فى يديه * وانزل حيث انزلك الاستحقاق * وخذ ما سمحت به لك الارزاق * ولا تجلس على طريق السيل الراعب * ولا تطعن فى بحر القضاء الغالب * ولا تحارب جيش السعد * ولا تطاعن حد الجد * ولا تستسلف اجلك * ولا تتناول ما لم يوضع لك * واحذر قوس الخذلان * فانها نافذة الرمية * صريعة الرمية * قد والله اوجعت بهذا العتاب قلبك * وجاوزت بالعقاب ذنبك * ولكنى عاتبتك لك * وحاربتك عنك *

رجاء ان يستخشن مس هذا الكلام لك * ويستحسن تألم وقع هذه السهام بك *
ولولا ذلك * لم اذقك مرارته * ولم اعرض لطيف ما بيني وبينك له * وما
اغتم لك من الحبس وروعته * ولا من الهوان ولذعته * كما اغتم من نظر
ولي نعمتك اليك * ووقوع بصره عليك * وقد قعدت تحت اعباء بره *
وقابلت احسانه بكفره * وزرعت منك النعمة في بقعة لم تزد ريعا * ولم تجلب
نفعا * فانا ابكي لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك * واتفكر في ساعة
سعدك * لا في ساعة نحسك * فقد شغلني الخجل * عن الوجل * و نسيت
لقبح الموقف الثاني هول الموقف الاول * فلا غضاضة عليك * من امتداد يد
الدهر اليك * فان امير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

﴿ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب من الامير ابي الحسن ﴾

كتابي الى الشيخ وانا في خمار شربتي من يد الدهر * فقد كانت بشعة الخمر *
طويلة السكر * قليلة النفع كثيرة الضر * والحمد لله تعالى على حفظه على
الدين وان ذهبت الدنيا * وعلى ان صودرت على المال لا على العرض
والتقوى * وصلى الله على محمد خير الورى * خرجت ايها الشيخ من نيسابور
وانا زاملة شكر وثنا * وجمال مدح ودعا * وقتيل خجل وحيا * اذا
تفكرت في كثرة اعدائي وقلة شفعائي * وفي ضعف اعواني وقوة
خصمائي * ثم نظرت الي وقد خرجت من تلك الغمة * وشققت رداء
تلك الظلمة * موفر الحال والمال * صحيح العرض والجمال * لم تنشب في
اظافر الفقر * ولم ينفذ في حكم الدهر * علمت ان الشيخ قصر عني يد
المحنة وهي طويلة * وصرف عني ولاية النحوس وهي بسيطة * ولو بلغه
غاية مراده امكانه * وساعده على نيته في زمانه * لحجب صروف الدهر
عن فنائي * ولقام بين الحوادث وبين لقائي * عرف الله تعالى له نيته *
وبلغه في الدنيا والآخرة امنيته * ولا زالت نعم الله تعالى عليه ضافيه *
وايامه من الغير صافيه * ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله * ومعه

وزير

وزير من عقله * وله مادح من فضله * وطوله * و وراءه واق من قوله وفعله * فلعمري لئن كنت اشكر لمن وهب لى مالا انى لمن وهب لى روحي اشكر * ولئن توفر على افضال من اغنانى فان افضال من استبقانى ولو شاء افنانى اوفر * فقد جاد على الملوك بالصلات * وجاد على ذلك الامير بالحياة * فهناه الله بهذا الشكر الغريب * وهذا الثناء العجيب * وذلك انى اشكر الملوك على انهم اغنونى * واشكره على انه لم يفقرنى * وامدحهم لانهم احيونى * وامدحه على انه لم يقتلنى * واعتد لغيره * ان بذل لى كل خيره * واعتد له بان كف عنى بعض شره * والشكر على قدر الاحسان * والسلع بازاء الاثمان * والسلام

﴿ وكتب الى محمد العلوى من الرى فى هذه المحنة ﴾

اطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربة * ومساقط النكبة * فانا فل من فلول هذا الزمان * لا بل فل من فلول هذا السلطان * والحمد لله على سلامة الروح والمهجة * وان كانت سلامة ضعيف المنة * رقيقة الكسوة * ثقيلة الحركة * قليلة البركة * ليس بينها و بين الهلاك الا اقرب من خطوة * واسرع من لحظة * ذكر الشوق فما بينه وبين السيد رجيع من القول * وكلفة من كلف النقل والفصل * على انى والله مشتاق اليه * شوقه الى ابتناء العلا * ومشته للقائه شهوته لبذل الندى * اذكره وان كنت لا انساه * والقاه بقلبي و ان كنت لا القاه * واسأل الله تعالى ان يرينا سلامة سليمة * واستقامة احوال مستقيمة * فلا شي احوج من السلامة الى السلامة * ولا الى الاستقامة من الاستقامة * وان يجعل اقسام صنعه لديه * واحسانه اليه * متناصرة مترادفة * ومتلاقحة متوالدة * قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوى سهامها * ونشرت طربى اعلامها * وتسلحت على بالسعاية وهى سلاحها الذى به تقاتل * ويدها التى بها تطاول * والسعاية سلاح من لا سلاح له * والنميمة كيد من لا كيد عنده * وشر من الساعى من انصت له *

وشر من متاع السوء من قبله * فلما رأيت بيني و بين الموت حجابا رقيقا * وحجزا دقيقا * و رأيت نفسي وقد اكتنفها اربعة اشياء ما منها شئ الا وهو يقرب عليها مسافة الممات * ويقطع عنها علائق الحياة * خصم فاجر * وسلطان جائر * وبخت عاثر * وزمان غادر * آثرت الغربة على وطن معه اذى * واخترت الظمأ على شراب فيه قذى * وفارقت دار الهوان والحمية تتبعني * وعزة النفس تشيعني * ولي من الصيانة رفيق وزميل * ومعي من العزم هاد ودليل * وليست تبعد على العزم مسافة * ولا تصعب مع الارادة شقة ولا مشقة * وما علمت اني اعيش حتى اصادر على اللسان * واسلف الشكر قبل الاحسان * وقد كنت رأيت حاكما يحجر على يتيم او معتوه في وفره * ولم ار اميرا يحجر على كاتب في كتابته او على شاعر في شعره * وانما الشكر ايد الله السيد فرس جامح * ان منع عن سننه قطع ارسانه * واستلب عنانه * فشق به سائسه * وهلك معه فارسه * والشعر ينقلب مع الجود حيث كان * ويرتاد المعروف والاحسان * وانما هو ماء سارب * بل سيل زاعب * اذا سد عليه طريقه خرق في الارض خرقا * وجعل لنفسه طريقا بل طرقا * وما اشبه من اكره الالسن على مدحته * الا بمن اكره القلوب على محبته * يحب المديح ابو خالد ويضجر من صلة المادح * كبكر تحب لذيذ النكاح وتفرق من صولة الناكح *

﴿ وكتب الى تلميذ له فوض اليه اشغاله ﴾

كتابي ولو استقبلت من امري ما استدبرت * وقدمت من رأيي ما اخرت * لما امضى الفراق فينا حكمه * ولا انفذ فينا سهمه * ولاقنا جميعا * او رحلنا معا * واني لاظلم الفراق اذ شكوته * واتعنف الدهر اذ هجوته * وبيدي ضرباني * ومن سهمي رمياني * فانا كالقاطع يده بيده * والفاجع نفسه بنفسه * ومطرق الفراق الى قلب اطوى المنازل عن حبيبي دائما * واظل ابكيه بدمع ساجم هلا اقمت ولو على جمر الغضا * قلبت اوحد الحسام الصارم * ما تذكرت

تذكرت تلك الايام التى سلبنيها الدهر بل سرقنيها * وغبنني بل داس على فيها * وكانت ادق من حاشية البرد * واحسن من طلوع السعد * واحلى من انجاز الوعد * واعذب من القند * بل من النقد * واعبق من الورد * وما اردت الا ورد الخد * بل من المسك والند * واطيب من القرب بعد البعد * ومن الوصل فى اثر الصد * بل كانت ارق من نسيم الزهر فى السحر * ومن قضاء الوطر على الخطر * بل كانت اقصر من ليل السكارى * او نهار الحيارى * الا اكلت الوجع * وشربت الجزع * وانثنيت على كبدى خشية ان تتقطع * ولو اننى اعطيت من دهرى المنى * وما كل من اعطى المنى بمسدد * لقلت لايام مضين الا ارجعى * وقلت لايام اتين الا ابعدى * البستان قد وعدتنى ياسيدى اقامة وظيفته بالشجر * وبالنور والزهر * وانت ياسيدى بالانجاز قمين * وو فاؤك به ضمين * وذلك المكان مرتع ناظرى * ومتنفس خاطرى * ومجال بصرى * ومراد فكرى * ونقلى اذا شربت * ومحدثى اذا خلوت * وتسليتى اذا اغتممت * وشمامتى اذا شممت * وما ظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صب على فيها طاس * بل كاس * وشرب عليها انسان بل اناس * وقام فى حافتها وجه صبيح * وتقلب فى اطرافها قد مليح * وكانى بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا انى اصف بستان الزاهر * او دار ابن طاهر * او اذكر الجعفرية * او البركة المتوكلية * او اعنى صعد خراسان * او شعب بوان * او انعت نهر الابلة * او متنزه الغوطه * او شعب انطاكيه * ولا يعلمون انى انما اذكر بقيعة طولها باع * وعرضها ذراع * اعنى باع البقة * وذراع الذرة * واقل من لا * واصغر من الجزء الذى لا يتجزا * لو طارت عليه ذبابة لغطته * او دخلته نملة لسدته * تسقى بالسعط صباحا * وتكنس بالظلال مساء * اشجاره مائة الا تسعة وتسعين * وانهاره خمسون الا تسعة واربعين * وانى شاعر اذا احس من لسانه بسطه * ووجد فى خاطره فضله واصاب من القول جريانا * ووجد ميدانا * وقال ما وجد بيانا * وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم * والكذب مذموم الا فيهم * اذا ذموا ثلبوا واذا مدحوا سلبوا * واذا رضوا رفعوا الوضيع * واذا غضبوا وضعوا

الرفيع * واذا اقروا على انفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد * ولم يمتد اليهم بالعقوبة يد * غنيهم لا يصادر * وفقيرهم لا يحتقر * وشيخهم يوقر * وحديثهم لا يستصغر * وسهامهم تنفذ فى الاغراض * اذا نبت السهام عن الاغراض * وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب * وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل * ولم يشهد بها عدل * وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار * ولو بلغت الف قنطار * ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم * وان صارموا الصديق لم يستوحش منهم * بل ما ظنك بقوم هم صيارفة اخلاق الرجال * وسماسرة النقص والكمال * بل ما ظنك بقوم هم امراء الكلام يقصرون طويله ويخففون ثقيله * ويقصرون ممدوده ولم لا اقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون * وفى كل واد يهيمون * ويقولون ما لا يفعلون *

﴿ وكتب الى تلميذ له قطع فى مجلس وكابر واختلط ﴾

بلغنى انك ناظرت * فلما توجهت عليك الحجة كابرت * ولما وضع نير الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت * وقد كنت احسب انك اعرف بالحق من ان تعقه * واهيب لحجاب الانصاف والعدل من ان تشقه * كأنك لم تعلم ان لسان الضجر ناطق بالعجز * وان وجه الظلم مبرقع بالقبح * وانك اذا استدركت على نقد الصيارفة * وتتبعت خطاء الحكماء والفلاسفة * فقد طرقت الى عيبك لعائبك * ونصرت عدوك على صاحبك * وقد عجبت من حسن ظنك بك * وانت انسان والله المستعان *

﴿ وكتب الى ابى عمر المكندرى وزير صاحب جرجان ﴾

وعد الشيخ يكتب على الجلمد * اذا كتب وعد غيره على الجمد * ولكن صاحب الحاجة سيئ النظر بالايام * مريض الثقة بالانام * لكثرة من يلقاه

من

من اللئام * وقلة من يسمع من الكرام * وفلان نغض عندي غرار شكره * واستعان بي على تحمل ما اثقله من اعباء بره * فاعلمته انني اثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا * واضيق منه بما لزمني اداؤه صدرا *

﴿ وانشدته شعرا ﴾

اعنين هلا اذ كلفت بها * كنت استعنت بضارع العقل
اقبلت ترجو العون من قبلي * والمستعان به لفي شغل

ثم اني تذممت في ان ارد اخواني * في ماعون طلبوه من لساني * فاصحبته هذه الاحرف * والشيخ يلحظه بالزيادة حلاوة الشكر * ويعرفه فعلا لا قولا حميد عاقبته وما افاض فيه من جميل النشر * فمثله عرف الشاكرين الصنعة * ونفق بينهم هذه السلعة *

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب ابو بكر بحضور الديوان فانفعل ﴾

هذا اطال الله تعالى بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور واهلها * بل حالي وحال الاحرار فيها * واصبح اقوام يقولون ما اشتهوا وغاب ابو عمرو وغابت رواحله * وقد كنت آوي من الشيخ ايام مقامه بهذه الجنبة الى كنف رحيب وجناب خصيب * وباع واسع * ونائل شائع * ووجه اذا نظرت اليه * قرأت نسخة الكرم في وجنتيه * تلع آثار الكرم بنور اساريره * وتعرف بشرى النجاح في تباشيره * وفم يبشرني بابتسامه * قبل ان يبشرني بكلامه * ويحييني بالنجح باشارته * قبل ان يترجم بعبارته * واذا رأيته رأيت بختي قد اقبل الي في معرض الكمال * وطالعت سعدي وقد طلع على بذيل الآمال * عن يميني الجمال * وعن يساري الكمال * فاغدو الى بابه يقدمني الامل والرجا * واروح عنه فيشيعني الشكر والدعاء * واحمل حوائجي منه على جبل الجود الذي لا تحركه المطالب * ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب * بل على بحره الذي لا ينزفه الاستقاء * ولا تكدره الدلاء * ولا يرى قعره *

ولايدرك غوره * وانما يصبر على حوائج الناس * ويلتذ باستماع صوت رجاء الاضراس * من ولد فى طالع السخاء * وغذى فى حجور الكرماء * وقرع سمعه منذ صباه باصوات الادباء والشعراء * ومرن على البذل والعطاء والثقل لبس مضاعفا لطية * الا اذا ما كان وهما بازلا * حتى اذا كادت غصون آمالى تزف بعدما يبست * ووجوه مطالبى تضحك بعدما عبست * رمتنى الايام بفراق الشيخ فاخدج رجائى الحامل * وجف ضرع املى الحافل * وسكت لسانى القائل * وفترت فتور التاجر بار متاعه * وعاب مبتاعه * وخجلت خجل ابى البنت زهد فيه اختانه * وضحك منه جيرانه * وردت عليه بكرة * وسيق اليه مهره * وقلت لو اراد الله بالادب خيرا لماغاب من كان يجمع شمله * ويكرم اهله * ويعرف فضلهم وفضله * ولو انصفت الادب بعد الشيخ لرثيته مرثية الاموات * ولاقمت عليه ماتم الممات * ومحوت اسمه من جريدة الحياة * هذا وقد ورد على عمل الخراج من لا اطربه بحرمه * ولا اتناوله بطرف ذريعة او وسيلة وكانى به وقد حسدنى فى جملة العامة * وادخلنى فى غمار سائر الرعية * ووقفنى على جسر قدامه الخسران * وخلفه الهوان * وبخعنى بدريهمات جمعت بتقحم المهالك * واختراق المسالك والممالك * ودنانير قطعت القفار * وخاضت البحار * وناطحت الحوادث والاقدار * فان بذلتها ابرزت وفرا طال ما كان مخزونا * وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا * على انى احمل الجمال على الجمل * واوثر البذل على التبذل * وانشد شعرا * حنانيك بعض الشر اهون من بعض * وما ايسر دواء هذا الدآء لوطاوعتنى نفسى العاصية * وتابعتنى رجلى الآبية * فدخلت الديوان * وصانعت الزمان * وفتحت جراب النفاق والريا * واغلقت باب الحفاظ والوفا * ولكن النظر الى عين الشمس ايسر على واهون على عينى من ان انظر الى هذا الصدر * وقد جلس فيه غير ذلك البدر * وانى لاغار على الكرم * كما يغار على الحرم * وابخل بالمراتب كما يبخل غيرى بالمكاسب * واستحيى لعينى ان اقحمها على الصغير * وقد جلس مجلس الكبير * لاابتلانى الله بمجالس الغيرة * ولا اقامنى فى مقامات الغم

و

والحيرة * فانه ان ابتلانى بذلك وجدنى ضيق ساحة الصدر * قريب غور الصبر * كثير المباراة * قليل المداراة * هذه اطال الله بقاء الشيخ حالى * فهل لى عنده فرج ارتجيه * او نظر اتجمع فيه * وهل يحرك لفظة من الفاظه * او لحظة من الحاظه * يرد بها على وجهى ماء نضب من مائه * وعلى عرضى ماذهب من بهائه * ولعمرى ان حاجتى الى الشيخ فى هذا الخراج صغيرة ولكنى لا استصغر منه يسيرا * كما لا استعظم منه كبيرا * واعلم ان الحر يسع الصديق بفطنته * والخليل بهمته * وان ابطأ عنى كتابه بالفرج خشيت ان يسرى فى السم الوحى * الى ان يصل الى الترياق البطى * اعوذ بالله من ان يكون دائى نقدا * و دوائى وعدا *

﴿ وكتب الى رئيس طوس يعزيه عن شقيق له ﴾

كتابى عن سلامة * وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا * و لحدا ملحودا * واخا مفقودا * وحوضا من المنية مورودا * ويعلم ان ايامه مكتوبة * وانفاسه محسوبة * وان شباك المنايا له منصوبة * اف لهذه الدنيا ما اكدر صافيها * واخيب راجيها * واغدر ايامها ولياليها * وانغص لذاتها وملاهيها * تفرق بين الاحياء والاحباب بالفوات و بين الاحياء والاموات بالرفات * ورد على خبر وفاة فلان * فدارت بى الارض حيرة * واظلمت فى عينى الدنيا حسرة * وملك الوله والوهل قلبى وساوس وفكره * وتذكرت ما كان يجمعنى واياه من سكرى الشباب و الشراب * فعلمت انه شرب بكاس انا شارب من شرابها * و رمى بسهم سوف أرمى بها * فبكيت عليه بكاء لى نصفه * وحزنت عليه حزنا لنفسى شطره * وسألت الله تعالى فانه اكرم مسئول * واعظم مأمول * ان يفيض عليه من رحمته * ما يتم به سهمه من نعمته * وان يتغمد كل زلة ارتكبها برحمته * ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنته * وان يذكر له تلك الاخلاق الكريمة * و تلك المروءة الواسعة العظيمة * فان الله تعالى ليحب السخاء فى اللحد * فكيف فى الوحد * وان سخاء النفس و نصب المائدة خلق من

اخلاق الصديقين * وشعبة من شعب النبيين * ثم تذكرت ما نزل بسيدى من الوحشة لفقده * والغمة من بعده * والتحسر على قربه ببعده * فخلص الى قلبي وجع ثان انسانى الماضى * وثالث انسانى الثانى * حتى استفرغ ذلك ما فى صبرى * بل ما فى صدرى * وحتى صار الوجع وجعين * والمصاب اثنين * ثم رجعت الى ادب الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون اللهم لا شكاية لقضائك * ولا استبطاء لجزائك * ولا كفران لنعمتك * ولا مناصبة لقدرتك * اللهم ارحم الماضى رحمة تحبب اليه مماته * وابق الحى ببقاء يهنيه حياته * واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع * ولا يضع عنانه بيد الهلع * ولا يثلم جانب الاجر والذخر * بالاثم والوزر * ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا اليه * ولا سلطانا عليه * اقتصرت من تعزية سيدى على هذا المقدار * لا جريا على مذهبي فى الاقتصار والاختصار * ولكنى لم اجد من لسانى بسطه * ولا فى قريحتى فضله * وبحق لهذه الفادحة الحادثة ان تدع اللسان محصورا * والبيان مقصورا * او ان تحدث فى العقل خللا * وفى البيان شللا * وليعرفنى سيدى خبر ما هداه الله اليه من جميل العزا * الذى لم يعدم جميل الجزا * ليكون سكوتى الى ما اعرفه من سلوته * اضعاف قلق كان بما ظننته من حرقته * وان كنت اعلم انه لا يخلى ساحة الحلم والعلم * ولا يخل بالواجب من التمسك بالحزم * ولا يحل عقدة صبره * ولا تتداعى اركان صدره * ولا يعمى الرشد فى جميع امره * وهذه شريطة الكمال * وسجية الرجال *

﴿ وكتب الى ابي الحسن الطرحودى بدار طوس ﴾

فلا ترتفع عنا لشغل وليته * كما لم يصغر عندنا شانك العزل * ليت شعرى ما الذى رآه فى الكبر حتى اعتقد ملته * واستقبل قبلته * وفى العجب حتى تبوأ ساحته * واستوطن راحته * وفى الجفا حتى علق اسبابه * ولبس جلبابه * وما الذى ارتكبته من بين اخوانه * حتى افردهم عنى * وكأنهم دونى * حتى

حتى كأنى قطعته و وصلوه * ونسيته وذكروه * وجفوته و بروه * كأنه عرض جريدتهم فوجد اسمى ملحقا بحواشيها * ومثبتا فى اخريات اساميها * فهلا اذ لم يوهلنى لمرتبة الخاصة * جعلنى اسوة بالعامة * وهلا اذا لم استحق منه فضلا * رزقت منه عدلا * وهلا تصدق على * بكتابه الى * فالزمنى على المساكين صدقه * وللفتح هدية * فكنت اجعل يوم وصول كتابه الى عيدا * ونيروزا جديدا * واتصدق بمالى فيه طريفا وتليدا * واطوف بكتابه فى اخوانه واخوانى * واباهيهم به مباهاة الاخ باخيه * الذى مساعيه مساعيه * ومساويه مساويه * وكل شئ من فضيلة و رذيلة فهو شريكه فيه * صفحت ايد الله سيدى عن هذا الذنب الفظيع * و الجرم الشنيع * فهل لسيدى ان يستأنف ما احاله آخرا * ويأخذ بنا فى طريقه غير الاول * فان الاستقالة تأتى على العثرات * وان الحسنات يذهبن السيئات * وان قليل الاستغفار * ينسى قليل الخطأ والاوزار * خرج الى ناحية سيدى فلان وهو جوهرة من جواهر الشرف * لا من جواهر الصدف * وياقوتة من يواقيت الافكار * لا من يواقيت الاحجار * واذا نظرت اليه من مرآة الخبرة * وقلبه بيد العشرة * استدل به على حسن انتقادى * و صائب ارتيادى * وعلم انى لا اختار غير الخيار * ولا اجنى غير خير الثمار * ولا اصادق غير الاحرار * فلينطق سيدى لسانه بشكره * وليكفه الدقيق والجليل من امره * وليمش على عقبى لا بل مقدمتى الى الطافه وبره * عرض سيدى هدايا تلك الناحية * وكيف اطمع فى هدية من يبخل برد السلام * ويحاسب اصدقاءه على الرسالة والكلام * وكيف يسمح بالجوهر الحاصل * من يبخل بالعرض الحائل * وكيف يتوسع فى النافلة من تضايق بالفريضة * انصفنا الله تعالى من اصدقائنا * فانا بحوله وقوته ننتصف من اعدائنا *

﴿ وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير ﴾

و كل ولاية لابد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت انتظر مصداق هذا البيت من سيدى حتى حقق الله تعالى ظنى * ولو أكذبه كان احب الى * واوقع لدى * فسبحان من جعل حصتى من وفاء الاخوان منحوسة * وتجارتى فيما اعاملهم به ويعاملوننى مركوسة * فان كان سيدى عم بهذا الجفا اخوانه فخلطنى بهم * وجعلنى واحدا منهم * لقد اخلف ثقتى بانفرادى عن صحبه * وخالف ظنى بناحيتى عن قلبه * وكنت احسب انه يخصنى من بينهم بفضل الثقة * كما خصصته من بينهم بفضل الثقة * وان كان وصلهم * وقطعنى دونهم * لقد عكس حكم رجا * وغرس الجفا فى منبت الوفاء * واساء الترتيب بين الاصدقاء * وما ادرى له فى واحد الفعلين عذرا * وان كان احدهما اثقل وزرا * واسوأ برا * واقبح ذكرا * وقد كنت طويت بيد اليأس بساط العتاب * واغلقت باب المراجعة وضيعت مفتاح الباب * ثم استظهرت بهذه الاحرف وسترد على من سيدى اذن من العتاب صماء * وعين من الوفاء عمياء * ونفس تبغض الوفاء * كما يبغض الناس الاعداء * وتعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء * وتشتهيه كما يشتهى الظمآن الماء * وانتظارى الجواب عنها اكذوبة من اكاذيب الامانى * واغلوطة من اغاليط زمانى * ومناقضة لحكم القياس * وارجاف من اراجيف الوسواس * ولكنها سخرة من سخر الفراغ تكلفتها * وحاجة فى نفسى قضيتها

﴿ وكتب الى رئيس بهراه يعزيه بابن اخته وبنته ﴾

كتابى ايد الله الشيخ الرئيس * وانا سليم المهجة * سقيم القلب والمنة والنية * صحيح العرض والجسد * عليل الخاطر والجلد * للمصيبة فى فلان رحمه الله * فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر * قبل ان يستعد لها بعدد الصبر * وجاءت مجئ البغية * ووثبت وثبة المسارقة * وغلبت الايام على ذلك الحر الطرأ ما كان غصنا * واتم ما كان حسنا * وابعد ما كان املا * واظهر ما كان جزلا * حتى كأن المنون اخذته خلسة * وانتهزت فيه فرصة

فرصة وفقد الشباب الطرى اكثرجزعا * وكسر العود الرطب اشد وجعا

ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاشد منها بالرياض ذوابلا

ولو كان الدهر يجيب من خاطبه * ويعتب من عاتبه * لاستدركت هذه الفعلة عليه * ولفوقت سهام اللوم اليه * لكنه اصم عن الكلام * صبور على وقع سهام الملام * يختصر العيدان * ويهتصر الاغصان * ويخترم الشبان * ويبكى الانام والابدان * ويلحق من يكون بمن كان * والشيخ جدير بان يتدرع لهذه الفجيعة درعا من كرم التسلى * وجميل التعزى * لا تخرقها يد التذكر * ولا تهب عليها ريح الغم والتحسر * ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر * وان يلقى هذا الخطب الكبير * والغم الكثير * بصبر منهما اكبر * وتجلد هو منهما اكثر * فان الكبير فى قلب الكبير صغير * وان العظيم على العظيم صبور *

و الثقل ليس مضاعفا لمطية * الا اذا ما كان وهما بازلا *

وليحذر ان يجمع على نفسه ذل الغربة * وثقل الكربة * وان كان لا غربة على عاقل * ولا وحدة لفاضل * فان الداء اذا قابل دآء لم يقبل دواء * ولم يرج لصاحبه شفاء * وليعلم ان الله تعالى قد اخذ منه اليسير * وابقى له الكثير * وسلبه الصغير * ومنحه الكبير * سلبه اخا كان يعتضد باخوته * ومنحه ابا يجمع خير الدارين بابوته * وابقى له اخوة هم قوة اليد والعضد * وغاية الايد والمدد * وزينة العدد والعدد * وجمال الدهر والابد * فسبحان من اذا سلبنا من هو املك به منا آجرنا * واذا صبرنا على ما لا بد من الصبر عليه شكرنا * واذا امتحن كانت محنته خيره * واذا منح كانت منحته نعمة كبيرة * ورحم الله فلانا ذا الخلق المعسول * والكنف المأهول * والطعام المبذول * صاحب المرعى الخصيب * والقلب الرحيب * والوجه الطلق * والجناب الغدق * الشاب سنا وجلادا * والشيخ حلما وسدادا * الذى كان زينا اذا دنا * وذخرا اذا نأى * وعدة للآخرة والاولى * والذى كان يهين ماله * ليكرم نزاله * ويبذل دثاره وداره * ليصون زواره * ويضحك فى وجه النازل عليه * عند نظره اليه * كأن الموت يتقد

الافاضل * ويبهج الاراذل * وكأن الآخرة تختار الاخيار * وتترك على الدنيا الاشرار * وكأن اعمار الكرام مشاهرة * و اعمار اللئام مداهرة * قال الطائى

عليك سلام الله وقفا فانني * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

فاما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافا و سترا * ووفاتها ثوابا وذخرا * و لقد كانت فى زمان النجابة فى رجاله غريبه * و فى نسائه عجيبه * والعفاف فى ذكرانه معوز * وفى اناثه معجز * والعقل فى شيوخه نادرة تفقد * وفى شبانه ضالة لاتوجد * فالحمد لله الذى سترها بالحياء فى حياتها * وبالثواب بعد وفاتها * فاسبل الله تعالى على سيدنا سترين * واستوجب منا ومنه له شكرين * ولقد ثكلتها ثكل الرجل لاخص اخواته * بل لاكرم بناته * فقد كانت لى من جهة ميلادها والحال بينى وبين والدها بنتا * ومن جهة تربيتها اختا * والمستور عزيز فى كل مكان * ومحبب الى كل انسان * وممدوح بكل لسان * فان تكن خلقت انثى لقد خلقت كريمة غير انثى العقل والحسب فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية فى الاولين * وبخديجة وفاطمة فى الآخرين * وبام الدرداء ورابعة فى نساء الصحابة رحمهم الله تعالى اجمعين * ولولا ما ذكرته من سترها * ووقفت عليه من غرائب امرها * لكنت الى التهنئة * اقرب من التعزية * فان ستر العورات من الحسنات * ودفن البنات من المكرمات * ونحن فى زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة * فقد استكمل النعمة * واذا زف كريمة الى القبر * فقد بلغ امنيته من الصهر *

﴿ وقال الاول ﴾

ولم ار نعمة شملت كريما * كنعمة عورة سترت بقبر

﴿ وقال الثانى ﴾

تهوى حياتى واهوى موتها شفقا * والموت اكرم نزال على الحرم

﴿ وقال الثالث ﴾

ودت

وددت بنيتي ووددت انى * وضعت بنيتي فى لحد قبر

﴿ وقال الرابع ﴾

ومن غاية المجد والمكرمات * بقاء البنين وموت البنات

﴿ وقال الخامس ﴾

سميتها اذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن وبيت

وقد كنت على ان افرد فى معناها كتابا الى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين * كما توجعت له من تواتر المصيبتين * وارجو ان تكون هاتان الحادثتان خاتمة الكروب * وقافية الخطوب * ثم تجئ النعم بعدها مترادفة * بل مترافدة * ثم متظاهرة * بل متواترة * ومتناسقة * بل متطابقة * فان المحن اذا تناهت انتهت * والرزايا اذا توالت تولت * ولكل غمرة محنة معبر * ولكل مورد غمة مصدر * وسيجعل الله بعد عسر يسرا * ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا * على انها تعفو الكلوم * وانما توكل بالادنى * وان جل ما يمضى اسأل الشيخ ان يكتب لى حصر ما وجده من برد السلوة * لاشركه فيه كما شركته فى حرارة اللدغة والفجعة * والسلام

﴿ وكتب الى صديق له جواب كتابه ﴾

ما تأخر جواب كتاب سيدى وشيخى جهلا بحقه اللازم الواجب * ولا انكارا لافضاله المتراكم المتراكب * ولكنى تحريت وقتا ينشط فيه اللسان للبيان * والبنان للجريان * ويوما يحسن فيه الدهر * وينشرح فيه الصدر * ويقل فيه الفكر * فلا والله ما وجدته وقد كنت اشتاق الى غدى * فانا الآن الهف على امسى * وما من وقت كرهته الا وانا احن اليه * ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه *

﴿ وكتب الى حاكم ﴾

ورد كتاب الحاكم بما ملأني سرورا وحبورا * وصار في رجائي الميت حركة وفتورا * وشكرته على ما بذله شكرا * لا ارضاه مهرا * لاساءته لو انتهت الى * فكيف لاحسانه المتظاهر على * ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها * ولن يكلف الله نفسا الا وسعها * وما عندنا غير خلق لا يشترى بثمن * ولا يعارض بايعه بقبيح ولا حسن * وهو الدعاء استجاب الله في الحاكم صالحه واسبغ عليه منايحه * واعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه *

﴿ وكتب الى نائب الوزير ابن عباد باصفهان ﴾

كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة * ومستعتبا كرة * فما وجدت للعتاب اعتابا ولا قرأت عن الكتاب جوابا * وليت شعرى ما الذى منعه عن صلة لا تضيره وتنفعنى * وعن تواضع لا يضعه ويرفعنى *

ولربما بخل الجواد وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فالان قد عنيت بجواب كتبه * وعرفت بين عتابه وعتبه * يكلفنى ان اورد على الاستاذ خبر شكره * وان اجعله بعض ودائعى عند احسانه وبره ومذ اخبرته انى قد ركبت من التقصير في شكر الاستاذ عن خاصيتى * مركبا سقطت معه شهادتى * واخفقت بعده شفاعتى * وان شكرى له عن غيرى * بعدما ضيعت الواجب منه على نفسى * نافلة اقيمها بعدما ضيعت الفريضة * وتفصيل اصلحه بعد ما افسدت الجملة * ولن تقبل النافلة او تؤدى الفريضة فلم تقابل حجتى الا بالجحد * وعذرى الا بالرد * وما زادنى على كتبه العريضة الطويلة * ومعاتباته الثقيلة * فذكرته الآن الاستاذ فان كنت اسأت فالاساءة بينى وبينه * وان كنت احسنت فالاحسان لى دونه * ويا عجبا منى اعجز عن تحمل نعمة ثم اخطب نعمتين * ولا اقوم تحت عارفة ثم اطلب عارفتين

عارفتين * ولا ارضأ البر الا مداخلا * ولا اقبل الاحسان الا مضاعفا * وما يستبدع منه بذل الرغيبة بعد الرغيبة * ولا منى اقتراح الغريبة بعد الغريبة * فانه ايده الله اوحد فى النوال * كما انى اوحد فى السؤال *

﴿ وكتب الى ابى الحسن الحكمى ﴾

خرج الشيخ من هاهنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت * وان كان لى فقد استغفرت واستعذرت * والدهر يوزع بافساد الاحوال * وتكدير ماء الوصال * وقطع قرائن الرجا * ثم يعود العاقل لما يرفو به الخرق ويرتق به الفتق * فيقبل الزلة ويراجع الوصلة وينشد

اذا نزغات الحب او رثن بيننا * عتابا تراجعنا وعاد العواطف

فاما الجاهل فانه اذا هجر لم يبق فى القوس منزعا * ولم يترك للصلح موضعا * والحمد لله الذى وفقنى فى اثناء هذه الحال حتى كبحت فرس الغرامة * وغمدت سيف الشكوى والملامة * وابقيت الحال فى صوانها * ولم اتعد منها حكم زمانها * فهجرت هجر منازل كريم القاطعة * ووصلت وصل مراجع حميد المراجعة * لتكون الاولى بدرة مغفورة * والثانية كفارة مشكورة * والعتبى عروس ليس لها غير الصلح مهر * والاعتذار سعى ما له غير القبول اجر * وقد كنت قلمت عن عرض الشيخ بنانا حديد المخالب * وفللت عن جانبه سيفا مرهب المضارب * وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد * ويوما يثمر حياء الغد * الا من اعين بالعصمة * واطاع راعية العقل والحكمة * والسلام

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة ﴾

قد كنت ارجو ان تعلق بالشيخ يأسو خراج الايام لى * وينزع نصالها الواقعة

يجني * فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فاقبل باقباله * وصارت حاله قطعة من حاله *

وكم صاحب قدجل عن قدر صاحب * فالقى له الاسباب فارتفعا معا

ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبي منه * وكيف لا يخاف على سخطي فيه * وكيف يرضى بان يرى مصون قولي فيه وقد ابتذلته * وكيف يستحسن ان اسأل غيره بعد ما سألته * فوالله تعالى ان لسانا جرى بمدح سواه بعد مدحه لاهل ان ينزع * وان كلاما كان فيه ثم صار في سواه لجدير بان لا يسمع * وقد كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامي عانيته فيها * فان كانت حسناء فاين حق الزوجية * وان كانت قبيحة فاين حق النية * ولا اقل من ان يرضى بالمجان * ان لم يشتر بالاثمان * وان يمسك بالمعروف او يسرح باحسان * وان درهما يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان * قبيح الاحدوثة في البلدان * ولئن كان يعمر به بيت المال * فان يخرب بيت الجمال * ولئن كان يزيد به عدد الدراهم * انه لينقص من عدة المكارم * ولئن كان يسمى في العامة جباية * انه يسمى في الخاصة خزاية * ولبس اكفان الموتى * وسرق ادوية المرضى * وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام * وزوار قبر النبي عليه السلام * احسن في الاحدوثة وابعد من العار والنقيصة من الزام مثلي خراجا * وسومه غرامة واستخراجا * وانما يحاسب نفسه في مثل هذا من وزن افعاله بمعيار الحرية * واخذ نفسه بشرائط الانسانية وغار على نفسه * كما يغار على عرسه * وضن بقدره * كما يضن بوفره * وهذه خصائص لا يؤاخذ بها الاحرار * والشيخ بحمد الله صدرهم وبدرهم * وعليه مدار امرهم وهو اولى من غضب للادب * وحافظ على الاقدار والرتب

﴿ وكتب الى ابي الحسن علي بن دايه ﴾

لم ينقطع عن كتاب سيدي مع ضني به * وعشقي له * الا انه بخل علي بان احفظه

احفظه وارويه * ويخشى على ان انتحله وادعيه * فهمدى به لا يبخل على الفقراء * ولا يرضى لاسمه ان يكتب فى جريدة البخلاء * ام لانه يكره ان يصير نظيرا اذا كاتب دونه كثيرا * فهذا ظن غير صائب * ورأى غير ثاقب * فقد يكاتب الكبير الصغير * فلا الكبير يصغر * ولا الصغير يكبر * ام لانه يخاف ان لا يعرف حقيقة خطابه * ولا يبلغ غور كتابه * فقد علم ان الله تعالى خاطب العامة بوحيه كما يخاطب به الخاصة * ام انه يأنف لكتابه اللطيف * من جوابى الكثيف * فما زال الخطأ منها على مقدار الصواب * وما زال توسط المجيب دليلا على تقدم المجاب * ام لان اخوانه الذين استطرفهم من بعدى واعتاضهم منى * قد شغلوا يده عنى * فما كنت اظن انه يحفظ لكل جديد لذة * وينسى لكل عتيق حرمة * ام لان الايام اعدته فما حسبته يقبل عدواها * ويحلى بحلاها * ويرضى لنفسه ان يسعى مسعاها * ام لان سمرقند بعدت عليه * والكاغد عز لديه * فانا اجهز اليه قوافل تحمل من الكاغد اوقارا * ويتصل منى اليه قطارا قطارا * ام لانه يتكاسل عن مكاتبتى فانا اكتب عنه الى * وارضى قلبى بيدى * هذا اذا تواضع وقبلنى كاتبا * فاما انا فقد رضيت به صاحبا * على اننى منتظر منه ان تعطفه على العواطف * وان تعود الى نعمه السوالف * فلربما غلط الدهر المسىء الى بالاحسان * وعاد على الهدم بالبنيان * هذا والكتاب ملق * لا موق * تسرع اليه اليد الحاملة * وتعرض له الآفات السانحة * فالماء يغرقه * والنار تحرقه * والريح تطيره * كما ان الايام تغيره * والدخان يسود بياضه * كما ان الحك يبيض سواده * والرطوبة تضره * كما ان اليبوسة لا تنفعه * فآفاته اكثر من آفات الزجاج الذى يسرع اليه الكسر * ويبطىء عنه الجبر * وحوادثه اكبر من حوادث الغنم التى هى لكل يد غنيمة * ولكل سبع فريسة * واقل آفاته خيانة الحامل * ووقوع الشاغل * وعوائق الفتوح و القوافل * وهذا التطويل كله ارتياد لعذر اجده لسيدى * وان رجلا اعتذر عنه الى قلبى * وابرز ذنبه فى معرض ذنبى * لاعظم فى عينى من كل عظيم * واكرم على قلبى من كل كريم * وكأنه فى وفيه قيل

اذا مرضنا اتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

﴿ وكتب الى ابى الحسن الحكمى ﴾

طالت ايام الشيخ بتلك الناحية * حتى ظننت ان الدهر فطن لايامنا فى ظله * ولرتعنا فى فضله * فزاحمنا عليه * وسابقنا اليه * وسلبنا النعم به * لاسلبنا الله نعمته * فانها نعمة متجاوزة الى كل من قدح بزنده * واستظل بظل احسانه ورفده * وانما يريد الناس النوال للمال * وهو يريد المال للنوال * فالنعمة عليه نعمة على من سواه * والنعمة على غيره نعمة لا تتعداه * على انى عارف بان الله تعالى لن يختم للشيخ الا باحمد العواقب * ولا يعدل بحاله الا الى الين الجوانب * وعلى الكريم واقية من فعله * وله حصن حصين من فضله * فاذا زلت به النعل زلة * او صال عليه الدهر صولة * اقامته يد احسانه * وانتزعته من مخالب زمانه * فليمد الشيخ عنان رجائه * وليتوقع الفرج فى صبحه ومسائه * وليعلم ان وراءه ربا لايخذله * وسريرة صالحة لاتسلمه * وسلطانا عادلا لايظلمه * اراه الله تعالى واراني فى حساده * مايصيرهم نكالا بين عباده وبلاده * واراهم فيه من رغائب النعم * وغرائب القسم * مايتمنون العمى قبل رؤيته * والصمم قبل روايته * واطال لغمهم ورغمهم بقاه * وجعلهم فدائى ثم جعلنى فداه *

﴿ وكتب الى ابى الفرج لما قلده خلافة البندار بطوس ﴾

وردت كتب ولدى على يد جماعة اصدقائه * وكافة اوليائه * وطلبت حصتى منها فلم اجد فيها * فليت شعرى كيف قصدنى من بينهم الزمان * وكيف خصنى منه بالحرمان * وكيف صرت المستثنى * وقعدت على طريق الا * وكيف عدنى ولدى فى الاجانب * وكنت اعد نفسى فى الاقارب * وهلا اذ لم

يدخلنى

يدخلني في جملة اخوانه واصفيائه * ادخلني في جملة شيعته واوليائه * وقد اغتفرت هذه الواحدة * وساؤاخذه ان عاد اليها ثانية * فما يسع عفوى لاكثر من مرة * ولا تنال اقالتي اكثر من عثرة * هذا العمل اول ماجرى ولدي في ميدانه * وسابق اهل زمانه * فان طلب الغاية * وبذل الجهد والطاقة * لحق السابق * وفات اللاحق * وان قصرفاته المراد * وسبقته الجياد * وهو ابن رجل ان سبق ابنه فلم يشكر * وان سبق لم يعذر * فليعتب نفسه * فلا راحة مع الهمة * وليسهر عينه فلا نوم مع طلب الغاية وليحذر فلتات اليد واللسان * وسكرات الشبان * فان سكر الشباب * اشد من سكر الشراب * وليكتب في قلبه بيد عقله قول الاول * خدمة السلطان والكاسات من ايدي الملاح * ليس يلثمان فاختر رفعة اوشراب راح * واني لاعلم ان لولدي عرقا سيرخي عنانه * ويخلف اقرانه * وانه لن يستقبل الا قبلة حسبه ولن يفعل الا ما يليق به * ولكن احزم الحزمة لا يستغني عن عظة الاخوان * كما ان اعتق الجياد لايستغني عن ركض الفرسان * كنت كتبت كتابا قبل هذا ارخيت فيه عنان لساني * واتعبت في تطويله قلبي وبناني * والتطويل في شكر الجميل اختصار * والاطناب في قضاء الواجب تقصير واقتصار * فلان قد الف طوس حتى عشقها * وهجر نيسابور حتى طلقها * وتعدى طلاقه الى طلاق اخوانه بها * وانا احسد ولدي على ماخص به من قربه * واود لو شركته فيه كما شركته في حبه * والحسد على مثل هذا سنة متبعة * وفي غير هذا بدعة مبتدعة * وقد كنت اشكو الايام وهي تفارقني باخواني فرادى * وهي اليوم تفارقني بهم مثنى * فتكلفني ان اقيم للشوق نوبتين * واوجه قلبي اليهم من طريقتين *

﴿ وكتب الى وزير خوارزمشاه لما نكب وكان خريجه هرجة ﴾

اصبحت ايد الله الشيخ وامسيت شبعان من كل بغية * ريان من كل مراد ومنية * غير خبر انقشاع هذه الضبابة * وانجلاء هذه السحابة *

فانى يعلم الله تعالى ظمآن الى خبر * يذيل فرحى على غمى * ويهزم بسرورى عساكر همى * فما اسرع خبر السوء حتى كأنه يخب * وما ابطأ خبر السرور حتى كأنه يدب * وما اولع الدهر بهدم ركن الفضل * وثلم جانب العقل * وما اسرع الايام على الكريم فيما يضره * وانى اللئيم فيما يسره * وما ابين مجانسة الدهر لاهله * واكثر مناسبة الجاهل فى جهله * وما اشد غيظى على فلتات الايام فى الكرام * وعلى نفحات الارزاق فى اللئام * وما اشوقنى ان استمع من اخبار تلك النفس النفيسة ما ابكى له طربا * كما ضحكت من ضده عجبا * والى الله اشكو حالا ضحكها سخرية * ومجاز وعارية * وبكاؤها حق وحقيقة واياه اسأل ان يفنى مدة النقص فقد طالت * ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت * ويعيد للفضل الكرة * ويزيل عنه الفتور والفترة * ويصب فى سمعى من خبر انحسام دواعى هذه المحنة ما يعيد شبابى الذى ولى * ويطرد شيبى الذى تجلى * فحق لمن شاب من سماع ما يسوء * ان يشب من سماع ما يسره * وحق لجسم هدمه الغم الامسى * ان يبنيه الفرح اليومى * وحق الدهر ان يكف فقد بالغ فى العقاب * وتناهى فى العتاب * وحق لصروفه ان تنصرف فقد اشفت وشفت * واكتفت وكفت * وزادت على ما فى الامكان واوفت * وحق لها ان تخاطبها بقول ابن المعتز

يا محنة الدهر كفى * ان لم تكفى فخفى
قد آن ان ترحمينا * من طول هذا التشفى

على انى ارجو ان يكون فى طى هذه المحنة من المصالح ما يغمض مسلكه * ويخفى مذهبه * وان يكون اول ما يكسبه الشيخ فيها * ويستفيده منها * تمييز معارفيه من اخوانه * والوقوف على من لا يصادقه الا بصداقة زمانه * واذابة المغشوش من الدعوى * بنار الاختبار والسلوى * كما قال البحترى وصدق فى المقال

لئن ثنى الدهر عن عزى فلم يصل * وكف من يدى الطولى فلم تطل
لقد حمدت صروفا منه حيرنى * مذمومها غضبا عما على ولى

ومما سرني والشيخ ان المحنة لم تثلم جوانب جلادته * وان طول مدة الذلة والقلة لم تعتصرما احتماله وصلابته * وان الوحدة والوحشة لم تقدحا فى لسانه وقلبه ولم يظهر اثرهما على صفحات ثباته وعزمه * وان لم تصغر على تلون الزمان نفسه * ولم يلن على اكف اعدائه مسه * وانهم كبتهم الله وان توصلوا الى تغيير نعمته وقد حجبوا عن تغيير همته * وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تبجيله ظاهرا * وقد قيل فى ذلك لعلى بن الجهم

و ما المكر الا للنساء وانما * عدوك من اشجاك حين تصارعه

حتى اجتلت عنه غبرة العواقب و العرض نقى * و القلب بالله تعالى قوى * و الفعل بحمده تعالى مرضى * و النفس تلك النفس الا ما نقص من مال * وتضعضع من حال * والجملة فلك الجملة لا الرخاء اكسبها بطرا * ولا البلاء اورثها ضجرا * ولا اساء مجاورة النعمة فتطاول * ولا محاورة المحنة فتضاءل والحمد لله الذى كشف عن مقداره فى ميزان الاختبار و الابتلاء * واظهر عن حقيقة كيفيته فى مرائى الرخاء و البلاء * و الايام مرآة الرجال * و الاطوار معيار النقص فيهم و الكمال * و العثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق * و تكشف عن مقادير الاصول والاعراق * ثم الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير و هو المال * وعافى فى الكبير وهو الصيانة و الجمال * و قد قيل ما يليق بهذا الحال * من حسن المقال *

و لا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا ان يزول التجمل

المال ايدك الله تعالى حطام ينقص ثم يزيد * وظل ينحسر ثم يعود * والشيخ يقضيه قول امير المؤمنين رضى الله تعالى عنه «قيمة كل امرئ ما يحسنه» انت ايدك الله تعالى اغنى اهل خوارزم يوم تصير افقرهم * واكبرهم ساعة تظن اصغرهم * وهو الوزير يوم يعزل * والمصون ساعة يتبذل * و الكبير بنفسه * و ان انفرد عن غيره * والمستأنس بفضله * وان استوحش من دهره

ان الامير هو الذى * يضحى اميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * ية كان فى سلطان فضله

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى لما فارق الحضرة و ورد نيسابور ﴾

كتابى الى الشيخ وقد امضت الايام فى حكمها * و انفذت فى صبرى وتجلدى سهمها * والحمد لله تعالى على كل شئ الا غيبتى عن الشيخ فانى اخشى ان ازداد منها * اذا حمدت الله لها * انتهت بى المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية ليس بينها وبين الموت حجاز * ولا وراءها للبلاء مجاز * حتى لقد ركبت غير دابتى * واكلت غير نفقتى * ونزلت بيتا بكرا * واكلت خبزا بسرا * وحرمت العينى * وشربت الزبيبى * ولبست الصوف فى الصيف * والبردى فى الخريف * وكوتبت مواجهة * وخوطبت بالكاف مشافهة * واجلست فى صف النعال * اعنى اخريات الرجال * وناظرنى من كان يدوس على * وخالفنى من كان يختلف الى * وحتى لقد نشزت على جاريتى * وحرنت على دابتى * وتقدمنى فى المسير رفيقى * الذى جمعنى واياه طريقى * وحتى انى اخذت الدرهم الجيد فصار فى يدى ستوقا * وقطعت الثوب المشترى فصار على بدنى مسروقا * وغسلت ثيابى فى تموز فغابت الشمس وطلع السحاب * وسافرت فى حزيران فعصفت الريح وسد الافق الضباب * وفقدت كل شئ ملكته غير عرضى الذى عهده الشيخ معى * وصبرى الذى عرفه منى * ومن لم يكن على المحنة صبورا * لم يوجد للنعمة شكورا * ومن لم يحقر سوء ما يبلى * لم يحمد حسن ما يولى * انكر الشيخ عزوف نفسى عن مواقف البذلة * وصعوبة جانبى على من جرنى الى مظنة الهوان والذلة والاذب سلطان ينسى هيبة السلطان * ولطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء والاخوان * ولا ذنب الا وله فى العفو ساحة عريضة * كما انه لا ذنب الا وله من العذر مسافة قصيرة * وانما المدار على الرضى فانه يقرب البعيد * وعلى الغضب فانه يبعد القريب * اللهم الله رؤسانا عنا الرضى *

و

و اتم لنا باحسانهم الينا الحسنى * قد علم الشيخ انى مذ كنت لم يسم خدى عذار الهوان * ولم يوضع على رقبتى نير التبذل و الامتهان * ولم تطرق الايام حريم عرضى فتنهكه * ولا نالت ستر صيانتى فتهتكه * ولا ماء وجهى فتسفكه * ولقد اخترقت البدو والحضر * ودخلت ديار ربيعة ومضر * فما رأيتنى بحمد الله تعالى اوخر عن رتبه * ولا اخلف عن الغاية فى موطنى رغبة او رهبه * ومعى اذ ذاك سكر الشباب * وذل الاغتراب * والقوم قد باينونى بالنسبة * وفارقونى بالتربة * وان عرضا صنته فى غير مظنة الصيانة * لجدير ان لا اهينه فى غير موضع الاهانة * فقد يبتذل الشاب ويقول اتصون اذا شبت * ويتحمل الغريب ويقول اتعزز اذا ابت * فما عذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من الغربة * وخرج من حد الشبيبة الى الشيبة * وهل وراء الغاية منزلة * ام هل بعد الشيب الا الموت مرحلة * ورد على كتاب سيدى يدعونى * و مثلى لا يجيب داعى القول * دون ان يصدقه داعى الفعل * وبالجملة انا قد تفارقنا على حالة فان كنا عليها والتقينا فيها فآخر التلاق * اول الفراق * ولا يربح من هذا اللقا غير تخريج فراق جديد وتولد حزن حديد * و المرة من الفراق مرة فكيف المرتان * والسهم منه نافذ فكيف السهمان * وان كنا تغيرنا عن ذلك الخلق * ومشينا فى غير تلك الطرق * فيجب ان ندل على ذلك بالاحوال * لا بالاقوال * والشيخ خليق ان لا يفل سيفا شحذه * ولا يضيع علقا اتخذه * ولا يعطش زرعا سقاه * ولا يميت خاطرا احياه * ولقد ارخيت عنان خطابه * و وسعت ذرع عتابه ولكن لا خير للشيخ فيمن لا يحمى عرضه * ولا يسخو عن بعضه الا اذا افسد بعضه * ويد الشيخ اطول من لسانى * وامره امضى من قلمى وبنانى * فليلنى لين مسها و انا بعيد * كما نالتنى خشونتها و انا قريب * وليعلم انه متى ارادنى خيرا ارجف به الناس * وحملته الى الانفاس * وكان اول رسله الى عزمى المتذبذب * وقلبى المتقلب * وفى الارض متحول * وعلى الله المعول *

* * *

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى ﴾

بكتب الانام كتاب ورد * فدت يد كاتبه كل يد
يخبر عن حاله عندنا * ويذكر من شوقه ما نجد

ورد كتاب السيد اطال الله بقاه * واجزل من كل خير قسمه * و وفر منه سهمه وجعل امسه يحسد يومه * ويومه يحسده غده * فرتع الطرف منه بروضة ممطورة * وحلة منشورة * ولآلى فرائد منثورة * وجال منه الخاطر فى حكم لا تعرف و لا تجهل * وفقر لا تترك و لا تستعمل * وفصول يحسد عليها الخاطر الناظر عند الرؤية * ثم يحسدعليها الناظر الخاطر عند الروية * وجعلت انافس فيه البياض الذى يحتوى عليه * واغبط به المداد الذى جرى فى طرفيه * و اتمنى لو كانت اعضائى كلها نواظر تبصره * وخواطر تتذكره * والسنة تكرره * على شريطة ان يكون الناظر لا يمل لحظا * و الخاطر لا يكل حفظا * واللسان لا يزل لفظا * فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الى السيد محشورة * وعليه دون الانام مقصورة * وكيف لم يرض له بان يسود العالم شرفا ونسبا * حتى سادهم علما وادبا * وكنت اعتقد ان الكتابة سوادية ونبطية * فانا الآن اعتقد انها خراسانية وعلوية * وكنت ارى ان المحاسن فى الناس متفرقة * وانا الان اراها فى واحد مجتمعة * وكنت احسب قول الحكمى

وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

كلام مسهب * وملق متكسب * حتى علمت انه قال ما لا يمتنع امكانه * ولا يتعذر وجدانه * وليت شعرى ما ذا اقول فى هذا الكتاب وقد سد على مسالك الصفات * وحمى على قلبى ولسانى موارد التشبيهات * فانى ان وقفت وقد اجريت لسانى * وتوسطت ميدانى * دلت على عرقى فى الكوادن * وانسلخت عما سربلنيه السيد بشهادته لى من المحاسن * وان جريت وقد سد على توسعة انفاس بيانى * وافترع دونى ابكار الالفاظ والمعانى * ناديت على

على نفسي بانه السابق و انا اللاحق * وشهدت له على بانه المسروق وانا السارق ولكن الحازم يختار خير الشرين * ويرجح بين المتماثلين * و انا استخير الله تعالى * واعدل عن الاولى الى الاخرى * واقول هذا الكتاب احسن من كل حسن * الامن وجه كاتبه * ومن خلق صاحبه * واغرب من كل غريب * الامن السيد فى زمان لايسع فضله * ولايقتضى مثله * واعجب من كل عجيب * الامن قيامى اعزنى الله مقام المجيب * عن كتاب اقصى غايتى ان اذريه واوسع خطى همى ان ارويه * و انور من كل نير الامن اوقاتى بلقاء السيد فانها اوقات ايامهن قصيرة وسرورهن طويل * وسعودهن طوالع ونحوسهن افول واجل من كل جليل * الامن مقدار اوبة السيد الى بلد هو حال باوبته * عاطل بغيبته * عامر به وان خلا من سواه خراب منه * وان جمع العالم الا اياه * و تعرفت فيه من خبر سلامته ادامها الله له * ولى به * ما اوجب صيام ايام دهرى * وقيام ليالى عمرى * على ان تكون الايام فى طول يوم يزيد بن الطثرية * والليالى فى وزن ليالى النابغة الذبيانى اردت بقول ابن الطثرية

ويوم كظل الرمح قصر طوله

﴿ وبقول النابغة ﴾

وليل اقاسيه بطى الكواكب

لا بل على شريطة ان تكون شمس النهار كشمس ذى الرمة التميمى * ونجم الليل كنجم العباس بن الاحنف الحنفى اردت بقول ذى الرمة * والشمس حيرى لها فى الجو تدويم * وبقول العباس بن الاحنف الحنفى *

والنجم فى جو السماء كأنه * اعمى تحير ما لديه قائد

لا بل على شريطة ان تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب * وليل المحب بلا آخر * و صفة النهار كما قال الآخر

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن جمر قعود على جمر

ولئن اصبحت كل ايام الزمان صائما * وكل لياليه قائما * شكرا الله تعالى على

سلامته * ثم تصدقت بعد ذلك بعدد نخيل البصرة * وآجر الكوفة بل بعدد رمل الدهناء * و نجوم السماء * بل بعدد العالمين * وعدد نبات الارضين * بل بعدد قطر كل بحر * وتربة كل بر * وسراب كل قفر * و حوادث كل دهر وخواطر كل صدر * بل بعدد فضائل على بن الرضى * ومحن محمد بن العباس الطبرى * فانها اكثر من الكثير * واكبر من الكبير * لم اكن وفيت النعمة على مهرها * ولا قدرتها حق قدرها * ولا بلغت غورها * ولا اديت شكرها ولاوفيتها بعض قيمتها ولا عشرها * الا انى لما عرفت قصورى عن قضاء الحق ووقوفى دون ادنى مسافاة المجهود والطوق * قلت كلمة جعلها الله ثمنا لجنته ورضى بها ثوابا من نعمته * وهى الحمد لله رب العالمين * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله الطيبين * وعدنى السيد من سرعة رجوعه عدة اخشى ان يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها * وان يعلمه تنغيص ايام السرور بها * فان الدهر بئس المعلم لبنيه * وبئس المثال لمن يحتذيه * وعهدى بالسيد لا يرجع فى هبة ولا ينظر فى اعقاب صلة * ولا يندم على حسنة * اللهم الا ان اكون اصبت كرمه * بعينى حبى له * وعجبى به * فان عين الاستحسان * آفة من آفات الاحسان * وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من ابواب التغير والتنكر * وسبب من اسباب التنقل والتحول * وانا والله اتهم على السيد عينى * وان كنت لا اتهم قلبى * وارضى لمودته نيتى * وان كنت لا ارضى لها طاقتى

لى لسان كأنه لى معادى * ليس ينبى عن كنه ما فى فؤادى
حكم الله لى عليه فلو انصف * قلبى عرفت قدر ودادى

قرأت الفصل المسجع فشغلنى الاقتباس منه * عن الجواب عنه * ولقد عمد السيد الى كل سجعة منتخبة فى زاوية * ملقاة فى ناحية * فالجمها بلجام * وقادها بزمام * وغيربها فى وجه سجعى الملتزق * وكلامى الملفق * وضربنى ضربا آلم الخاطر * وان لم يجرح الظاهر * ونكأ فى الفهم * وان لم يؤثر فى الجسم * واوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء * واشد الشكوى ما لم يخففه الاشتكاء * ومن بلغ من البلاغة مقداره * واقتدر على التصرف اقتداره * واحسن ان يسئ فى معرض الاحسان * وان يعطى فى اثناء الحرمان

الحرمان * وان يمدح مدحا حقيقته هجاء * ويظهر رضى باطنه استبطاء *
فها انا ايد الله السيد وقيذ العي والفدامة * وجريح الخبل والندامة *
اذا اشتهيت لقاه اشوقني اليه * وتلهفي عليه * آثرت غيبته لحيائي منه *
وقصوري عنه * فويلي من فراقه اذا نأى * وويلي من لقائه اذا ونى *
وكما قيل يا عبري مقبلة * ويا سهري مدبرة * ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

عجل الله تعالى اوبة هذا السيد على حالة تحكي وجهه ضياء * وخلقه سناء *
ومجلسه بهاء * وقدره علاء * وعقله صفاء * وقلبي له نقاء * وودي له
بقاء * ونيتي فيه استواء * وتراب تشيعي له ولاهل بيت هو فيه زكاء وعاء *
واراني الله تعالى فيه من الصنع الجميل مايستغرق نثر كل ناثر * ونظم كل ناظم
شاعر * ويقع وراء ذكر كل ذاكر * وشكر كل شاكر * ولا زالت ايامه
تصبحه بكل فتح * وتمسيه بكل نجح * وتلاقيه بسعد * وتصافحه بجد *
وتزوره بمجد * وتودعه بحمد * لياليها اسحار * وظلماتها انوار * وطول
اوقاتها قصار

ان الليالي الانام مناهل * تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وما ترضى للسيد دعائي بان يخرج على مقدار همتي * ويترل على حكم قدري
وقيمتي * ولكني اقول جعل الله تعالى رزق سيدي في سعة همته * وماله
في كبر قيمته * وعيشته في حسن شيمته * ونعمته في كثرة نعمته * ليكون
دعائي مداخلا * ومدحي له مقابلا * وذكري له بالجميل من كل جانب معما
ومخولا * ولتكون اقسام وصفه متعادله * واجناس فضله متماثله * ذكر
السيد انه كتب جواب كتابي من الظهر الى العصر * ولقد استبطأته
مع ما اعرفه من بعد غوره * وغزارة بحره * ولكني اغلقت لهذا الجواب
بابي * وارخيت له حجابي * وضممت الى نشر كتب آدابي * وجلست
من الدواوين بين آل الخراج وآل بويه * ومن بني الخصيب وبني مقله *

ونشرت من المقابر آل يزداد * وآل شداد * وحشرت من الآخرة ابن المقفع البصرى * وسهل بن هرون الفارسى * وابن عبدان المصرى * والحسن بن وهب الحارثى * واحمد بن يوسف المأمونى * ووضعت عن يمينى عهد ازدشير بن بابكان * ومن يسارى كتاب التبيين و البيان * وبين يدى فصول بزرجمهر بن البختكان * وقبل ذلك رسائل مولانا الصاحب عين الزمان * وزين الشيب والشبان * فما زلت اسرق من هذا كلمة * وانظر من ذلك فقرة * واستعير من هناك نادرة وثيقة * اغصب الاحياء على بيانهم * وانبش الموتى من اكفانهم * وانا فى اثناء ذلك رطب اللسان بالدعاء * رطب العين بالبكاء * ادعو الله بالتوفيق والتسديد * وبالعصمة والتأييد * واسأله ان يحفظنى من نفسى * فانها اعدى الاعداء * ومن عجبى فانه ادوأ الادواء * ثم قمت فصليت ركعتين * ختمت فى كل ركعة منها ختمتين * واستعذت بالله من الشيطان الرجيم * وقلت بسم الله الرحمن الرحيم * وابتدأت فسودت هذا الكتاب كله * ثم نظرت فاذا انا قد تعبت وحبط العمل * وانفقت مالى وجح الجمل * السيد ابو الحسن اكثر الله فى ابى طالب مثله * ولا سلبهم جماله وفضله * فان كون مثله فى ابى طالب * رغم لانوف النواصب * وهيهات لقد اعظمت غلطا * وسألت الله شططا * فنجمنا معاشر الشيعة انحس * وحظنا من الاقبال انحس * من ان يفلح فى الدنيا طالبى * او يسقى فيها ناصبى * ومن حصل مثل السيد والدا * فقد حصل المجد تالدا * وحق لمن كان السيد اباه * ان يكون من الكرم اخاه * فيستويا بالانتماء اليه فى الميلاد * وان اختلفا فى الولاد * فهذا بضعة من خلقه * وهذا شعبة من خلقه * ومن استقى عرقه من منبع النبوة * ورضع من ثدى الرسالة * وتهدلت اغصانه على بيعة الامامة * وتبجحت اطرافه فى عرصة الشرف والسيادة * وتفقأت بيضته عن سلالة الطهارة * وتناول المعالى بيد طويلة * وجرى اليها عن غاية قريبة * لم تستكبر منه حسنة وان كبرت * ولا تستصغر منه سيئة وان صغرت * فامتع الله هذا السيد بهذا الولد * الذى لو لم ينتم اليه قولا لانتمى اليه فعلا * ولو لم نعلم ولادته من طريق الضرورة * لعلمناها من طريق

القياس

القياس و الفكرة * فان لسان الشبه ناطق * وشاهد النجابة عدل صادق * وقد تكرم الاعراق فتخونها الاغصان * وقد تسبق الشبوخ فتخلف عن مضمارهم الشبان * ولكن بنو طاهر زينوا طاهرا * كما زان اباه طاهر * فكم من اناس لهم اول * وليس لاولهم آخر * طولت على السيد بكلام اسفيدباجى قليل العظم * منحل النظم * داعية الى التكرار و الاختصار * يمشى فى طريق الاقتدار * فان راى السيد ان يعير هذا الهذيان اذنا واسعة * ونفسا صابرة * و يتضاحك له تضاحك المعجب به ليغلط به العامة * وان عرفته الخاصة فعل

﴿ وكتب الى تلميذ له قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما احدثه ﴾

وصلت القصيدة الغراء الزهراء * فكانت ارق من الماء * بل من الهواء * والذ من الصهباء * واسر من اللقاء بين الاحباء * ومن هجوم السراء * غب الضراء * واعذب من مغازلة النساء * ومن مجالسة الندماء * ومن مساعدة القضاء * ومن معاقرة الشراب على الغناء * ومن استماع فوائد الحكماء * وخطب البلغاء وقلائد الشعراء * ومن اخذ جوائز الامراء * وتحصيل مراتب الخلفاء * فكانت معانيها ابدع من الوفاء * واعز من السخاء * واغرب من النصفة فى الاصدقاء * ومن الامانة فى الشركاء * بل اغرب من المغرب العنقاء * والفاظها احسن من البدر فى الظلماء * واطيب من وصال الحسناء * ومن افتراع العذراء * ومن الشماتة فى الاعداء * بل كما قالت الست سكينة بنت امير المؤمنين الحسين رضى الله تعالى عنهما * كنت احسن من السماء * واعذب من الماء * لا بل كانت اهنأ من الشفاء * بعد الداء * ومن الرضا عقيب البلاء * ومن النعماء فى اثر البأساء * ومن استجابة الدعاء * وتحقيق الرجاء وفتحتها عن الوشى الوشاء * وعن الروضة الغناء * لا بل نشرتها عن الزهرة الزهراء * وعن الغرة الغراء * وعن الدرة العذراء * ورأيتك نطقت بها وعن يمينك التأييد * وعن يسارك التسديد * ومن ورائك الجد السعيد *

وانما صنعتها صنع من طب لمن حب * فانى اشهد انك اطب من كل طبيب * وانى اليك احب من كل حبيب * واذا صدر الكلام عن صفاء ود * ونقاء عهد * وخرج من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق اذن واعية * وهمة كالية * وصحبه من التسديد عين راعية * وقوى مراعية * ولم يكن للخطأ طريق اليه * ولا للخطل مجاز عليه * وانما يز القول يحسنه القائل على مقدار حصة من يهديه اليه * ورغبته فيه * وموضعه منه * وانت ايدك الله تحفنى بما لا استأهله الا على قدر حصتى من قلبك * وموضعى من حبك * ولو عاملتنى على طريق المجازاة * لا على طريق المحاباة * لخرج لك على غلط كثير * وحاصل كبير * وقد جاءت اليك نسخة كلمة قلتها * فرضيت بها عن شيطانى * وصالحت لها قلبى ولسانى * ولعمرى لقد اكلتها من جراب الدق * وورثتها من كيس اللب * وعبأتها من رزمة الخاصة * ونسجتها على منوال النصيحة * وقلبت لها جريدة التصفح والتخير * ونشرت فيها صحيفة التدبر * ونطفت طرفها من اللفظ المستبرد * ومن المعنى المردد * وصقلتها بعدوس النظر * وجلوتها بكف الفكر * ووكلت بها من التمييز جفنا ساهرا * ولحا باصرا * حتى دارت فى كوكب النظافة * وخرجت فى معرض الظرف واللطافة * وحتى بدت عروسا تفتن الناظر * وتغطى المناظر * وحتى حذيت حذاء الحضرمية ارهفت * واجادها التحسين والتلسين *

﴿ وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت ﴾

اما قصور اجوبة كتبى فانى لا اعاتب الحاجب عليها * ولا اوجه الشكاية عنه اليها * فانا ولا كفران لله تعالى فى زمان يجب ان يجرى الجفاء فيه مجرى العادة والسجية * ونضعه موضع السنة بل الفريضة * ونقيمه مقام الجبلة والشيمة * فننظر الى حفظ العهد بعين الشمامة والطرفة * وننزله منزلة الغريبة والنادرة * ونحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجملة * على انى مذ كنت استثنى الحاجب من غيره * واميزه بالفضل وسائر خصال الخير من ابناء دهره * واعتقد انى

قد

قد ضمت يدي منــه على ذخيرة ليس للزمان فيهــا عمل * ولا عليها للحوادث والغير مدخل * فان صدق ظني فقد غرست في ارض كريمة * وبنيت مسألتي على علة صحيحــة غير سقيمة * وان تكن الاخرى فعــادة من عادات الايام * وغلطة من غلطات الاوهام * وعين عاينة من عيون المجد * وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد * وما خلوت منــذ تفارقنــا من نفس تتقد فيــه الاضلع * وذكر تفيــد له الادمع * ولا انسى تلك الايام الطويلة القصــيرة بصحبته * والليــالي المظلمة المقمرة بطلعته * ولا اتفكر في صغر حجم المقــام * وتقارب خطو تلك الايام * الا انشدت

لم استتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

واذا كان في قصــة الشعراء * وفي شريطة الوصافين والبلغاء * ان الوقت الطيب قصير وان لم يقصر * كما ان غيره كبير وان لم يكبر * فعلى هذا القياس ان ايامنا كانت قصيرة مرتين * وقليلة من جهتين * اما الاولى فقصر الامد * وقلة العــدد * واما الثانيــة فصفاء الوقت من الــكــدر * ونقاؤه من وضر الحوادث والغير * فسبحان من جعل محنتي زائدة على محن الناس * وفاضــلة عن معاسير العادة والقياس * حتى ان نقصــان اوقاتي المسعودة * وايامي المحمودة * حصــل مثنى مثنى * ورجحانهــا يحصل فرادى فرادى * كما ان نحوسي لا يجب ان يجيئني الا غريبة عجيبه * ولا يمكنها ان تسلك طريقها الى حتى تقود حبيبه * وصلت الرسالة والقصــيدة * وكانت الاولى ماء زلالا * والاخرى سحرا حلالا * وما منهما الا قريب شاسع * ومطمع مانع * كالشمس تقرب سـنا * وتبعد سـناء * وتنال ضيــاء * وتبعد علاء * وكالماء يرخص موجودا * ويغلو مفقودا * ورأيت فيهما من غرائب الرجحان * ما نقض عادة الزمان * حتى لقد قامت الحــيرة منهما في وجه علمي * وحتى لقد توقفت بين فهمي ووهمي * والآداب كلها زين * وهي اذا تكافأت ازين * والمعارف كلها حسنة * وهي اذا تقابلت اجمل واحسن * والكتابة آلة عجيبة * وهي من الشاعر اعجب * كما ان الشعر صناعة غريبة * وهو من الكاتب اغرب * واذا ورد على من الحاجب كلام فضلته على ما قبله *

واستثنيت فى التفضيل ما بعده * لعلى انه قد امتطى من الاقبال مطية لن تقف به الا على الغاية * وسلك من السعادة طريقا يؤديه الى الزيادة * وابتدأ فى وظيفة من الجمال * لن تختم له الا باقصى غاية الكمال * وانا اسأل الله تعالى ان يجعله فى هذه الصناعة نجما يهتدى باثره * ودليلا يورد بورده * ويصدر بصدره * وان يقيم لكلامه علما يرمقه البعيد * ويستذرى به القريب * انه قريب مجيب * والحمد لله الذى جعل الحاجب يضرب فى المحاسن بالقدح المعلى * ويسمو فيها الى الشرف الاعلى * ولم يجعل فيه موضعا للولا * ولا مجالا لالا * فان الاستثناء اذا عرض فى الكلام نضب ماؤه * وكدر نقاؤه وصفاؤه * ونطق فيه حساده واعداؤه * ولذلك قالوا ما املح الظبي اولا خنس انفه * وما احسن البدر لولا كلف لونه * وما اطيب الخمر لولا الخمار * وما اشرف الجود لولا الاقتار * وما احمد مغبة الصبر لولا فناء العمر * وما اطيب الدنيا لو دامت واستقامت *

ما اعلم الناس ان الجود مكسبة * للمجد لكنه يأتى على النشب

﴿ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم ﴾

ورد كتاب الشيخ فاورد من السرور * اضعاف ما كان فيه من السطور * بل اعداد ما كان فيه من الحروف * بل اضعاف ذلك بانف بل الوف * وفهمته اما ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه * يستعيرونه نسخ كتبي اليه * فانما حملهم على ذلك عجبه بى * وصار سببا لعجبه بكتبي * وصار ذلك داعية الناس الى عجبهم بها * وحاملا لهم على انتساخهم لها * وهم فى ذلك رجلان * اما احدهما فانه يتبرك باتباع رأيه * والسير تحت لوائه * واما الآخر فانه يتقرب اليه بمجانسته * ويتشرف بين الناس بمناسبته * والا فهذه الكتب ايبس متونا * واقل عيونا * من ان يفخر بها مملى * او يرغب فيها مستملى * او تشغل بها الاقلام والدفاتر * او يوقف عليها ناظر او خاطر * او يحرص عليها كاتب او شاعر * ومما يحملنى على التجوز فيها * وينهانى عن الاحتشاد

و

والتكلف لها * انى اصدرتها الى حضرة من اذا رأى سيئة ستر وغفر * وعذر واعذر * وان رأى حسنة نشر واظهر * وقرر وكرر * وفكر وصور * وجعل الخمسة عشرة * و العشرة خمسة عشر * وسيرد كتابى بعد هذه الكرة الى الشيخ مشبع الفصول * ضافى الذيول * وافى القسم من العرض والطول فقد وافق منى هذه الكرة ساعد فصاد اوهن الآلة * واورث الكلالة والملالة وعاجلنى الفتح ملازما بالباب * مطالبا بالجواب * مجاوزا باب المسألة الى باب العتاب * فكتبت وسرح البديهة عازب * وماء القريحة ناضب

﴿ وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور ﴾

ليت شعرى ما صنع بعد العهد * بقلب سيدى هل غيره عما عهدته عليه من اقامة رسوم الود * و توثيق اطناب العقد * ام هب عليه رياح التنقل و التحول ومد اليه يد التغير و التبدل * فان ذلك صنع الايام بالقلوب وتقلبها يمينا وشمالا وتلونها حالا فحالا * بل ليت شعرى هل نسى سيدى من لاينساه * وسلى من لايسلاه * و استبدل بمن لايريد الا اياه * ولا يعتاض من لقياه غير ذكراه * وهو صديقنا ابوبكر الخوارزمى الطبرى اعزه الله تعالى * ام هو على رغم ظنى به وكذب وهمى عليه * ثابت ركن الصفاء * صافى شرب الاخاء * حافظ على الغيب ما كان يحفظه على اللقاء * فقد علم الله انه تقاسم قلبى هذان الظنان و نازعنى فى على به هذان الطريقان * فان ملت الى اولهما وهو اغلبهما على واقربهما الى * ذهبت فى القياس بالناس على الناس مذهبا شديدا * ووقف بى سوء الظن بالزمان و اهله موقفا قريبا بعيدا * و ان ملت الى الثانى فسيدى ايده الله تعالى يستحق ان يستثنى من غيره * و ان يحكم له بحكم يباين به اهل عصره وان يكذب فيه الظن اذا نسبه الى مجانسة الدهر * و يرد له القياس اذا قضى عليه بمعاونة التلون والغدر * وانا الآن فى هذه الجملة واقف وعهده بى لا اتواضع لمذهب الواقفية * و مرجى وما كانت تطمع فى مثلى شباك المرجية * فكيف اعاتب سيدى بل كيف اعاقبه * بل كيف اخاصمه و اواثبه * بل كيف اطاعنه

واضاربه * واقل ما جنته على غيبته انى كنت معتزليا * فصرت مرجيا وقاطعا على صحة مذهبي فعدت به واقفيا * هذه اصغر جنايات فراقه على * واقل صنيع وداعه الى * ثم انى بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصيره وقليل الانس بعده بل كثيره * اما طول ليلى فلتذكرى طول غيبته * واما قصره فلقطعى له بتمنى اوبته * واما قلة انسى فلبعده عنى الآن واما كثرته فلتمثلى قربه الدان ولتصورى طلعته فى قلبي وعينى * ونظرى اليه عن مرآة من هاجسى وظنى على اننى ارجو ان خطوايام الفراق قد قصر * وان جمها قد صغر * وان سيدى وارد قبل ان يبرنى بالجواب عن هذا الكتاب * ولعمرى لئن ورد على قبل ان يكتب الجواب الى * لقد بر الكاتب * وان عق الكتاب * فيكون قد بر بالكبير الكبير * وعق فى الصغير الصغير * ولان يونس عينى بلحظه * احب الى من ان يؤنس سمعى بلفظه * وان كان كلامه فى نفسى ماء زلالا * وفى اذنى سحرا حلالا * وكلام الحبيب حبيب * وكل شئ من القريب قريب * قال جرير

ان البلية من يمل كلامه * فانقع فؤادك من حديث الوامق

﴿ وقال غيره ﴾

واذا كرهت فتى كرهت كلامه * واذا سمعت غناءه لم تطرب

اردت مكاتبة الرئيس ثم اشفقت على سمعه ان املاه بالكلام الغث * وعلى ناظره ان اشغله بالخط الرث * ورأيت رثاء بلاغتى اقصر * وقيمة الفاظى التى فيها اقل واحقر * من ان اعرضها لنظره * وامرها على سمعه وبصره * واتعرض بها لخطة اسلم طرقها طريق العذر * وآمن مسالكها مسلك التغافل والستر * ومن فطن لعيبه فقد استتر * ومن عرف ذنبه فقد اعتذر * ومن مد يدا قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف * وقعد على قارعة التقريع والتعنيف * وسيدى يعتذر عنى اليه * ويقرأ سلامى عليه * ويعرفه عنى انى اعد نيسابور رستاقا اذا غاب عنها واعد الرساتيق قصبة اذا اقام فيها * وانى لا آنس بشئ اذا غبت عنه * كما لا استوحش

من

من شئ اذا قربت منه * والله تعالى اسأل ان يرد على نيسابور بهاها * ويعيد اليها بطلعته سناها وضياها * ويجلي بشمسه ظلماها * وان يجعل نعمته عليه الوفا لا عزوفا * فان النعمة اذا الفت قرت * واذا عرفت فرت * لانها لا تأنف الا ممكانا تتزين بنزوله * ولا تقيم الا على باب لا تأنف من دخوله * ولا يطول مكثها الا في بيت للشرف فيه مجال * وللمادح فيه مقال * وللادب فيه مرح * ولعصا الامل فيه مطرح * فان اصابت مثل هذا المكان نفضت غبار الترحال * ونسيت حديث الزوال والانتقال * وخالطت خلطة الشركآء * وواصلت وصلة الاقربآء * وصارت من الاجداد الى الآباء * ومن الآباء الى الابنآء * واذا كان نزولها في مكان هي فيه غريبة احتشمت حشمة الغرباء * وانقبضت انقباض الاجانب البعدآء * اوتقلبت الى الارتحال * واقامت بين الدلال والادلال * ولم يكن مقامها الا عدد ايام * واضغاث احلام * وانما النعمة انثى اذا اصابت كفوا ناكحت * واذا صادفت غير كفو سافحت * فهي تقيم مع اكفائها الشهر والدهر * وترحل عن غير اكفائها الظاهر والعصر * واين يقع مقام الخليلة خليلها * وان ما اسسه الحق وبناه الشريعة * خير مما اسسه الباطل وبناه البدعة * والله تعالى يطيل بقاءه * ويجعل من يحسده فداه *

﴿ وكتب الى ابي الحسن الحاكم بن ابي حاتم لما هرب من نيسابور الى ﴾
﴿ بخارا بعد ان ارادوا القبض بها عليه وبعث خلفه فلم يجده ﴾

ما زلت انشد ايد الله الحاكم قول الاول

رب امر تتقيه * جر نفعا ترتجيه
خفي المحبوب منه * وبدا المكروه فيه

فانظر الى تنزيله * ولا اقف على حقيقة تأويله * وارى ظاهره * ولا استشف باطنه * حتى خرج من خروج الحاكم ما جرى * ووقى الله من المكروه

فى ذلك ما وقى * فعلمت حينئذ ان الطاف الله تعالى تسير الى عباده فى طرق خفية المذاهب * دقيقة الجوانب * وان السلامة ربما نشأت فى معرض الخطر * وان الامن ربما ظهر فى قالب الخوف والحذر * وانا اشئ ما امرنا ان نستعيذ من شر ما ندرى وما لا ندرى * وما كنت اشعر ان فراق الصديق يسر * وان الاجتماع معه يضر * ولا كنت اصدق ان الداء يستحيل دواء * ولا ان الدواء يجلب داء * ولو رأيت فى المنام انى فارقت الحاكم ولم يتفطر عليه كبدى حرقات * ولم تذهب نفسى فى اثره حسرات * لتعوذت بالله من شر منامى * وسألت العافية من طوارق احلامى * ولظننت ان تلك الرؤيا نتيجة فكر ردى * وبخار خلط سوداوى * وانى انما دفعت فى منامى الى مثل هذا التخليط * لاكل الباذنجان والقنبيط * فانهما منابع السوداء * على مذهب الاطباء * والآن فقد فارقت الحاكم وانا ضاحك السن قرير العين * قليل الحزن جلد على وقع سهام البين * لانى رأيت العافية وهى متعلقة بذنب رحيله عنا * والى البلايا وهى مشتملة على قربه منا * فاخترت على مقامه رحيله * وآثرت اغتمامى له * وقلت يا عين * لان ترى فراق ما تحبين * خير من ان ترى فى من تحبين ما تكرهين * فالحمد لله الذى اقصى بى من المكروه الى اخفه وقعا * واقله لذعا * وانتهى بى من المحنة الى غاية لم تستغرق اقصى امكان الدهر * ولم تستوعب ابعد غايات التجلد والصبر * وما نقص من الشر * فهو زائد فى اقسام الخير * وما وقع من المكروه فهو محبوب وان كره ظاهره * ومحمود وان ذم عاجله * وما كنت احسبنى اعيش حتى احمد الله على فراق الاصدقاء * واتكلم فى مواقف الضراء * بما يتكلم به فى مواقف السراء * ولقد اغرب على الدهر وماكنت اظن يغرب على * ويزيد من بوادره على ما لدى * هذا ايد الله الحاكم وقد بث الاعداء شباك الغدر * ونصبوا حبائل المكر * واستفرغوا فى السعاية جهدهم * واخرجوا اقصى ما عندهم * فابى الله تعالى وله الحمد الا ان يقع فى البئر من حفر * وان لايحيق المكر السيئ الا بمن مكر * وخرج الحاكم من غيابة تلك الاهوال * خروج المشرفى من الصقال * وقد فديت عنه عين الزمان * وقصرت

دونه

دونه خطوة الحدثان * اذا اذن الله فى حاجة * اتاك النجاح بها يركض * اذا الله سنى عقد شئ تيسرا * والحمد لله الذى لم يرنى وجه الحق اسود * ولا ناظر العدل والتوحيد ارمد * ولم يشمت الناقص بالفاضل * ولم يضحك الحق سن الباطل * ثم الحمد لله الذى جلى تلك الضبابة * وقشع تلك السحابة * وغسل عن وجهى وعن وجه اهل الحق تلك الكآبة * ثم الحمد لله الذى ختم للحاكم بالصبر الى حضرة تزفرف عليها الرجال * وعليها تحوم الهمم والآمال * واليها تنتهى الرغبة والسؤال * فلا مجاز لهمة خلفها * كما لا منتهى لها دونها * ولا غاية لطالب قبلها * كما لا نهاية له بعدها * وارجو ان الدهر المحارب قد سالم * وان البخت المعاند قد سلم * وان مدة الفترة قد تناهت * وان غاية المحنة قد انتهت * وان عسكر النحوس قد عزم على القفول * وان نجم الهم قد اذن بالافول * وانا بعد هذا كله اتعجب من كثرة قولى الحمد لله ثم الحمد لله * واقول هذا حمدى على فراق الاصدقاء * فكيف حمدى على اللقاء * وهذا شكرى على المحنة * فكيف به على المنحة * وقد كان مات لعبد الملك بن مروان ابن فقال الحمد لله يقتل اولادنا ونحبه * وانا اقول الحمد لله الذى فرق عنا اخواننا ونحمده *

﴿ وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولى سوق الطعام ﴾ ﴿ بعناية وهو امى ﴾

كتابى وقد علم الله تعالى ان امرك مستول على افكارى * وشاغلى عن ساعات ليلى ونهارى * فانك بصدد شغل ان كفيته لم تشكر * وان عجزت عنه لم تعذر اذ كان الاحسان فى شرطك * والاساءة غير مظنونة بك * والذى اراه لك ان تقسم لكل ساعة حقا من نفسك * وتصرف الى كل وقت طائفة من شغلك * ولا تبيت ليلة الاوقد اقت وظيفة يومها * ولا تمر بك ساعة الا وقد توفرت عليها بقسيمها * ولا تؤخر عمل اليوم الى الغد * ولا تهمل نفسك فى شغل السبت الى الاحد * فان الاشغال اذا تزاحمت اعمت الناظر * وشغلت القلب والخاطر

وبلدت الكافي و الماهر * و كيف مثلك و انت اعزل اليد من سلاح الكتابة * مصروف عن اعظم حظوظ الكفاية * فاياك و تعريض ما أبى عند و لى نعمتى للنضوب * ووجهى للشحوب * و على بن سعيد ذو القلمين * والفضل بن سهل ذو الرئاستين * و اسحق بن كنداح ذو السيفين * وصاعد بن مخلد ذو الوزارتين و فى المتقدمين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين * وقيس بن مسعود ذو الجدين و ابن الشريد ذو السهمين * و النعمان بن المنذر بن ماء السماء ذوالقرنين * وكعب بن مانع ذو الكتابتين * وجعفر ذو الجناحين * وعثمان ذوالنورين * وفلان ذو اليدين * و فلان ذو الشمالين * وفلان ذو البردين * و عبدالله ذو البجادين و ابوبكر الخوارزمى ذوالغرامتين * وذلك انى ثقلت على و لى نعمتى مرة فى حوايجى ثم اثقل عليه اخرى فى حوايجك ثانية * على انه ايده الله تعالى واسع الحكمة طويل الخطوة * كثير التوسع و المسامحة فى باب الاموال مع الكمال * يسامح فى بدرة سائلا * و يضايق فى حبة عاملا * وكذلك الكريم يتسع من حيث السخاء ويضيق من حيث الوفاء * و يبتذل ماله تخرجا * ويحمى دينه تحرجا * فلا يحملنى معه على خطة ان اجابنى منها الى مرادى استوحش * و ان منعنى اوحش ولا تأمن السم باصفهان * اذا كان درياقه بخراسان * وفى هذا القدر ذكر لمن كان له قلب * و اغاثة على من له لب * الاستاذ فلان ايده الله تعالى * قد كثرت كتبى اليه * وطال وعرض صداعى عليه * و لذلك لم اكاتبه فى هذه العلة التى عظم موقعها منى * وجل خطرها فى قلبى وعينى * ولقد اعتل بعلته الكرم * وشكا شكاية السيف و القلم * وكسفت به شمس الادب * و تزعزع له عرش العرب * فانما علة مثله تغير عالم * وفساد امم * وخراب مسالك * و اضطراب ممالك * و كرة النقص على الفضل * و دولة الجهل على العقل * ووهن على العلم و اهله * وفترة فى الكرم و حزبه * فالله تعالى يعيد بصحته الى الدنيا ضياءها * و يرد على السحب ماءها * ويجعل ما يستأنفه من عمره * ويستقبله من عيشه * مصفى من الغير * منقى من الوضر * و خالصا من كل خوف و خطر * و صافيا من كل شوب و كدر * ليكون ما مضى كفارة * وما بقى نعمة * سيدى فلان قد فطمنى عن عادته الجميلة * وارتجع ما كان

عندى

عندى من عطيته الجزيلة * وقطع عنى كتبه التى اذا وردت الى حسدت على لمسها يدى * وعلى لحظها عينى * واحتسب على ما زاده الله تعالى جلالة قدر * وكل كال بدر * ولكن تلك الزيادة يحاسب عليها الاعداء لا الاصدقآء * فاما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها فلا بل زيادة النعمة توجب زيادة الصدقة * وفضل المال يقتضى فضل النوال * والتواضع فى الرئاسة * احدى شبائك السياسة * فاقرأ اعزك الله تعالى سلامى عليه * وعرفه انى قد كنت رويت ابياتا والقلب غير مقسم الافكار * والحفظ غير كليل القرار * فلما سلبنى الدهر ثوب الشباب * ومزق على رداَء الجمال والكمال نسيتها * فلما عاملنى سيدى فلان بما ذكرته ذكرتها ولقد احسن الى * من حيث رد روايتى على * وان كان اساَءبى من حيث ارتجع منى بره * وجانس فى دهره * وفديت من له اثناء كل مساءة منه مسرة * وفى ضمن كل جفوة منه مبرة * ومن اذا احسن كان احسانه خالصا من كل شوب * وصافيا من كل عيب وريب * وان اساَء كانت اساءته بالاحسان مشوبة * والى غير جهتها مقلوبة . ﴿ والابيات ﴾

كفى حزنا ان لا صديق ولا اخ * يفيد غناء لا يداخله كبر
والا التوى او ظن انك دونه * وتلك التى جلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا اوفى على غيره اليسر
وما ذاك الا رغبة فى وصاله * والا حذارا ان يميل به الدهر

﴿ وكتب الى ابى القاسم الدوادى اول ما افتتح بمكاتبته ﴾

كتابى وعزيز على ان يجمعنى والفقيه بقعة * او تشتمل علينا جملة * والكتابة فيما بيننا دارسة الاثر * مهملة الورد والصدر * واشد على من هذا ان افتتح ذلك بسؤال حاجة * او امزج ماءه وبهاءه بتكلف كلفة * ولقد حاسبت على هذا نفسى * وعاتبت فيه قلبى * فرأيت ان جفاء يؤدى الى البر * وان ذنبا ينتسب الى العذر عذر * وان حاجة حملت على طى بساط الحشمة *

وعمارة طريق المكاتبة والمباسطة * حاجة عظيمة البركة * محمودة التفصيل والجملة * فعذرت نفسي اعزني الله تعالى قبل ان تعتذر * وغفرت لها قبل ان تستغفر * ونسيت قول الاول

وما حسن ان يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

حتى كان هذا البيت لم يجر بين قلبي وكتبي * ولم يسافر بين جنبي وقلبي * وحتى كأني لم ادرسه صغيرا * ولم ادرسه الناس كبيرا * وحتى كأني لم ار الديوان الذي هو فيه * والشعر الذي هو بعض قوافيه * والعجب اني في هذا الفصل بينما انا اعتذر * اذ صرت افتخر * وبينما انا اضع من نفسي لجنايتها * اذ صرت اعدلها لحفظها وروايتها * وهكذا من جمح به قلبه وبنانه * واستنزله تبيينه وبيانه * بل هكذا يكون من جرى في ميدان الكتابة وهو راجل * ورمى في هدف البلاغة وسهمه افوق ناصل * ثم نرجع الى حديث المكاتبة * والله لو كان من الورق اعز من الوفاء * واغرب من السخاء * والقلم اغلى من الماء * في وسط الدهناء * واقل من المغرب العنقاء * واعوز من الكمال في النساء * ومن الصدق في الشعراء * ومن ترك الريا في القراء * والحبر والمداد اضيق من الانصاف في الاصدقاء * وحسن العشرة في الندماء * بل اضيق من امانة الشركاء * بل اضيق من خاطر ابي تمام حيث قال *

قدك اتئب اربيت في الغلواء * حتى كأنه لو لم يقع على احلى من هذا الابتداء

لما كان لي عذر في ترك مكاتبة الفقيه * وبيني وبينه ثلث الخريطة * ومسيرة سبع للقافلة * هذا في الظاهر فاما في الحقيقة فبيننا الف فرسخ بذراع الميل * وخطوة الفيل * فان الخطوة بين المتحابين * فراسخ كثيرة * ومراحل طويلة عريضة * ما زلت ايد الله الفقيه اورد على قول عمر بن ابي ربيعة المخزومي *

يا اهل بابل ما نفست عليكم * من عيشكم الا ثلاث خصال

ماء الفرات وطيب ظل بارد * وسماع محسنتين لابن هلال

فاقول

فاقول هلا حسد اهل العراق على المتصرفين * او الرافدين * او على الرطب السابرى * والتين الوزيرى * والعنب الرازقى * او على فرضتهم من ماء الساج والعاج * وطرازهم بنوع الخز والديباج * لا بل هلا حسدهم على ان فيما بينهم مشهد امير المؤمنين سيد الاوصياء * ومشهد الحسين سيد الشهداء * وهلا حسدهم على ان ارضهم واسطة العمارة فى خط الاعتدال * بين الجنوب والشمال * وهلا حسدهم على ان الرأى كوفى * والاعتزال بصرى * والخط انبارى * والحساب سوادى * والتشيع عراقى * وهلا حسدهم على قراء الكوفة * وعباد البصرة * وابدال الابلة وعلى من هاجر اليهم من الصحابة * و نبغ فيهم من التابعين وابدال الامة * وما الذى خالف به الى ان حسدهم على ظل هو مشترك بين سائر البلدان * وعلى قينتين كسائر القيان * بكل مكان * فى كل زمان * حتى حدثت نفسى بمناقضته * وحملت خاطرى ولسانى على معارضته * فاذا انا جالس تحت قول الطائى

نقضنا للحطيئة الف بيت * كذاك الحى يغلب الف ميت
اذا ما الحى هاجى حشو قبر * فذلكم ابن زانية بزيت

وتذممت من ان اعارض بلسان خوارزمى * وعقل طبرى * وخاطر العجمى * من لسانه عربى * وعقله قرشى * ونشوءه مكى * وظرفه مخزومى * فعدلت عن المعارضة الى المناقلة * فقلت يا اهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن معاوية الجعبرى فيكم * وكون ابى القاسم الدوادى منكم * وحصول شراب الكشمش لكم * وان بقعة خصت بالفقيه اوافرة القسم من الاقسام * معلاة السهم من بين السهام * غير عاتبة على الحظوظ والايام * فلا زالت البقاع ببقائه تضئ وتزهر * والايام بجماله تتباهى وتفخر * ولا زالت الفصاحة من لسانه فى مسكن لا تريد منه بدلا * ولا تبغى عنه حولا * ولازال العلم يأوى منه الى ركن منيع * وجناب مريع * واطال الله تعالى للمحاسن بقاءه ولا سلبه زينه وبهاه * وجعل من يحسده فداه

﴿ وله الى تلميذ له وكتب اليه رساله وقصيدة ﴾

وصل كتابك المبشر بخبر افاقتك عن علتك * بشارة لو تصدقت لها بمالى وذبحت لها على وجه القربان اطفالى * لكان ذلك صغيرا جللا * ومباحا مبتذلا * وفى ضمنها القصيدة التى كبرت بل صغرت * وقلت بل كثرت * اما كبرها وكثرها فلجلالة قدرها * وعظم امرها * واما صغرها وقلتها * فلانها فى جريدة الشعر وحدها * لامثل لها قبلها ولا بعدها * وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة * وما ارى هذه العلة الا زادتك رجحانا * ولا نقصتك الا نقصانا * ونقصان النقصان اول الرجحان * كثر مدحى ايدك الله تعالى لما يرد على من نثرك وشعرك * بل درك وبحرك * حتى خشيت ان تحسب انى ازف مدحى الى كل خاطب * وابذل شهادتى لكل طالب * وان يظن انى اقارضك الثنا * واصارفك الجزا * ولا والله ما لى للدنيا استحسان * الا والى جنبه احسان * وانى لضيق ذرع التزكية والثناء * قصير خطى المدح والاثناء * محاسب اقلبى اذا مال * وللسانى اذا قال * لا امدح الا ممدوحا بكل لسان * ولا ارضى الا مرتضى بكل مكان * ولا اقبل مدلس الفضل * ولا اتبع مغشوش القول والفعل * ولا يستفزنى رعد كل سحاب * ولا يستخفنى طنين كل ذباب * وسرعة الشهادة طريق من طرق الخفة * وابتذال المدح والتزكية باب من ابواب الزلة والملق * والمجازفة بحساب القال * اقبح من المجازفة بحساب المال * لان الغلط فى المال سماحة وندى * والغلط فى القال حماقة وعيا * واقصى غايات فوات المال ان يكون من صاحبه فقيرا * وادنى غايات فوات الصواب ان يكون صاحبه سخيفا حقيرا * وبين الخسرانين نفس مديد * وبون بعيد * ومن لم يعرف صرف ما بين النقصانين * لم يعرف صرف ما بين الخسرانين * ومن لم يحس بنقص ما عليه * لم يحس بفضل ما له * ومن لم يحاسب نفسه سرا * حاسبه غيره جهرا * ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبين * جمحا به الى غاية اولها ندامة * وآخرها ملامة * جعلنا الله تعالى ممن اذا تكلم لم يضع زمام كلامه فى يد هواه * واذا

شهد

شهد لم يلق رق شهادته فى عنق سخطه ورضاه * وحشرنا فى زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين * واذا سكتوا كانوا سالمين * انه ارحم الراحمين * رجعنا الى حديث الرسالة والقصيدة * نظمك ايدك الله تعالى احسن من نثرك * ونثرك احسن من شعرك * فكل واحد منهما عيار على صاحبه حسنا وجمالا * ومثال له تماما وكمالا * فالحمد لله الذى جعل بيانك متكافئ الشرف * متعادل الطارف والطرف * وجعل سماء محاسنك مقابلة لارضها * وبعض مناقبك منعوتة ببعضها * ولو انصفتك لاحييتك بقلبين * ومدحتك بلسانين * كما انك تحسن الى من جانبين * وتبرنى من اونين * ولكن الى غاية ينتهى المدد * وعند طاقته يقف المجتهد * فاما اعتذارك بالعلة * من وقوفك دون الغاية * وجريك فى بعض الحلبة * فاحسن من الحسن استزادتك منه * واجمل من الجميل اعتذارك عنه * والكتاب مذ ورد يدور فى العيون والافهام * ويسافر دون الدوى والاقلام * وفهمت الفصل فى حديث المصيبة * وانما كانت نازلة طرقت ثم مرت * وشقشقة هدرت ثم قرت * واذا قابلنا بين حسنات الدهر وسيئاته * ووازنا بين طرفى ارتجاعه وهباته * خرج له علينا حاصل كثير * ولكن الانسان الى الشكاية اعجل * وطريقها عليه اسهل * ولقد اعطتنى الايام حتى صرت لا احمدها اذا وهبت * واخذت منى حتى صرت لا اذمها اذا اخذت وسلبت *

وفارقت حتى ما ابالى من انتوى * وان بان جيران على كرام
فقد جعلت نفسى على النأى تنطوى * وعينى على فقد الصديق تنام

﴿ وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه ﴾

كتابى وقد كنت اخرج الى اخوانى من عهدة تقصيرى * واقر لهم بما فى من عيب تفريطى وتعذيرى * واعرفهم انى فى تعدهم دون مقتضى حقوقهم * واخرج مما اريده فى برهم الى عقوقهم * حتى اتفق الآن من ورود فلان * ما كشف عن غيبى * وابرز من عيبى * ونادى على بانى صديق مقال *

لا صديق فعال * وان مودتي مجازية لا حقيقية * ولسانية لا قلبية * واقل ما يجب على وقد حضر مثله في داري * ان انثر عليه صك عقاري * ثم اعتذر اليه من قلة نثاري * وان اعبق على وجهد كل نسمة احتويها * واحل له كل عقدة اتصرف فيها * واصبح صائما * وابيت قائما * ثم اعتد ذلك كله في جنب الواجب هباء منثورا * وقليلا محقورا * ولقد كنت تذكرت وروده على حتى رجوته وتمنيته * ثم خفته واتقيته * اما رجائي له فحياء للقياه * واما خوفي له فعلما بقصوري عن بلوغ رضاه * وضعفي عن اقامة شريطة ما يقتضيه حبي اياه *

وكنت كبكر تحب النكاح وتفرق من صولة الناكح

* واما ولدي فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمة * ودرة يتيمة * وقلبته عن عقل كثير * وادب غزير * وشعر يحسده عليه الاعداء * وتغبطه به الاصدقاء * يلتقط بالابصار ويخزن في الافكار * وقريحة اصفى من ماء السماء * واصح من الوفاء * فهو بحمد الله على قرب اسناده * وحدوث ميلاده * شيخ قدر وهيبة * وان لم يكن شيخ سن وشيبة * ووالد من حيث الذكر والفخر * وان كان ولدا من حيث العرق والنجر * ومثل والده فلان خرج فاغرب * وادب فهذب * وولد فانجب * ان الاصول عليها ينبت الشجر * وليست النجابة في هذا البيت موروثة عن كلالة * ولا خارجة عن رسم وعادة * امتعنا الله تعالى بهذا الوالد الذي سبق الاولاد * واحيا الاباء والاجداد * وارغم الاعداء والحساد * وكتب اسمه في حسنات الايام * بل في حسنات الانام * كما كتب شعره في محاسن الكلام * والهمنا من شكر نعمته به علينا ما يرتهن به بقاها * ونتمنى معه بهاها * فان النعم اذا ارتبطت بالشكر اقامت وسكنت * واذا لقيت بالكفران قامت فظعنت * واما ايام فلان عندنا فقد كانت اطيب من ليل المراد * ولكنها اقصر من ساعات الاعياد * ولكن * لم استتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه * وما كان قدومه الا هيجا الشهوة * وتطرئة للشوق والصبوة * وذكاء للقريحة التي كانت تفرقت بالصبر والسلوة * وسبحان من جعل فراقه بالمن الرازي * ولقاءه بالمن البغدادي

و

وجعل مدة غيبته مشاهرة ومعاومة * ومدة اوبته مسايعة ومياومة * ولو انصفنا الدهر لكانت مدة الفراق * فى اوزان مدة التلاق * وكان السم بازائه الترياق سألت فلانا عن جسم سيدى فى صحته وعلته * و فى ضعفه وقوته * فعرفنى ما سرنى فلا زال صحيح الخلق * كما هو صحيح الخلق * وقوى الجسم كما هو قوى الدين و العلم * وسليم الاعضاء كما هو سليم الود والوفاء * ولا زالت اوقاته تتنافس بهاء * وتتفاضل حسنا وضياء * يومها فوق امسها * ودون غدها * وقد كنت قبل لقاء فلان * رطب اللسان بانشاد *

متى يكون الذى ارجو وآمله * اما الذى كنت اخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت انشد

صلى الاله على امرء ودعته * واتم نعمته عليه و زادها

﴿ وكتب الى صاحب البريد بالرى كتبها من اصفهان ﴾

قد كنت احسب الفراق يسير الخطب * هين الوقع * قليل العبء والثقل * خفيف الكل و الظل * حتى دهيت بفراق سيدى فعلمت من مقدر الفراق ما كنت جهلته * ووجدت من شخصه ما كنت اضللته * وعلمته من طريق المطالعة والمعرفة * و انما كنت اراه من طريق التخيل والصفة * وتذكرت قول جرير

او كنت اعلم ان آخر عهدكم * هذا الفراق فعلت ما لم افعل

و لكنى لو علمت انى اقعد تحت اعباء الاشتياق * و انفسخ تحت ثقل الفراق * لصحبت سيدى فراشا او ركابيا * اوطباخا او شاكريا * ولو وسعت اكثر من ذلك لقلت اصحبه كاتبا اوحاجبا * او نديما او صاحبا * او مغنيا او ضاربا * و لكننى اخشى ان يتفضل سيدى بقبولى * و ينشط لحضورى * و يحملنى عند المشاهدة على شرائط المحبة * و يتقدم الى بالخروج من العهدة * و يقول ايها المبرز علينا نفسه فى معرض الدعوى العريضة * دونك فاكفف عما

ادعيت * او فاكفف عما حكيت * وعد واضرب عما اظهرت وابديت * فاذا بسيدي ابي بكر اخجل من بخراء تكلمت * ومن فوهاء تبسمت * قد جلس على قافيـة الدهش والتحير * وقع جراب الخجل والتشور * وحك لحيته خجلا * وعبث بلحيته ارتياذا وذهلا * واخذ يتشاغل بالحديث عن السدي * وعن الحسن البصري * وعامر الشعبي وينشد

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الانخذال * ومن سقطات المقال * ومن دعاوى المحال * سبحـان الله ليت شعري ما الذي جمح بي الى كل هذا الهذيان * وما الذي حملني على ان اركض في عرض هذا الميدان * وما الذي مال بنا من ذكر الاشواق * ومن حديث الفراق * الى كل هذا الحديث الغث * والكلام الرث * وهكذا من يركب الجواد وليس بفارس * ويكاتب وليس بكاتب * ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها * ولم يسلك طريقها * ولم يختلف الى اهليها * ولم يعثر قدمه فيها * قد خرجنا الا من هذا الميدان * ورجعنا الى باب هدر البوم والغربان * وانا والله اشوق الى سيدي منه الى احراز خصل المجد * وتحصيل قصب الحمد * بل اشوق منه الى الاحسان الذي هو اخوه وشقيقه * والافضال الذي هو شريكه ورفيقه * بل اشوق منه الى اصفهان * والى فراق خراسان * بعد ما عاين من تفاوت احوالها * وسخافة رجالها * وحقارة اعمالها بل عمالهـا * ولو لم يرسيدي فيهـا من طبقات التخلف غير كـاتب هذا الكتاب * لكان كافية في هذا الباب المخلقون صانهم الله تعالى قد انفذت رسولي اليهم * وعرضت مالي وقليل جاهي عليهم * فانقبضوا ولا الومهم على ذلك بعدما رأيت من انقباض سيدي عمن كان لايبخل عليه بملك خراسان * وتاج انوشروان * وصرح هامان وطرازي قاشان وخورستان * وبعد ما عرض عليه ما يملك عرضا غير سابري *

و

و بذله بذلا غير مجازى * و الانقباض فى غير مكانه توكيد للحشمة * و ظلم للود و الثقة * و قطع لعلائق المباسطة و المخالطة * و كذلك الانبساط فى غير مكانه استهداف للهوان * و اكتساب للمقت و الشنان * و فتح لباب الهجران * وتعرض لقطيعة الاخوان * والسلام

﴿ وكتب الى اردهل وقد ورد عليه خبر علته ﴾

كان قد ورد على خبر علة الشيخ و بلغ منى ما لم يبلغه شئ قبله * ولا يبلغه شئ بعده * واردت ان ارسل اليه فى ذلك رسولا * و افرد نحوه كتابا * ثم رأيت فى قراءته للكتاب تعب ناظره * و فى و صول الرسول شغل خاطره * فابقيت عليه بقية تحتها جفاء * و راعيت حقه مراعاة فى اثنائها تغافل واغضاء * وقد ورد الان خبر افاقته من علته * جعل الله تعالى ذلك آخر محنته * و اول نعمته * فكان سرورى بالاخرى * فى وزان غمى بالاولى * لاغم الله فى الشيخ اصدقاءه * وحرس من الحوادث حوباءه * و من الغير فناءه * ولا ارانى الزمان فيه ظفرا * فان الزمان حديد الظفر * لئيم الظفر * دقيق النظر حلو المورد * مر المصدر * معين اللئام على الكرام * و الليالى على الايام * ميلا منه على الضوء للظلام * تقاطرت على كتب ثلثة وفلان يذكر ما وجده لكتابى عند الشيخ من ايجاب * ولحاجتى من اسعاف و اطلاب * حتى قلم عنهم اظافير الايام * و قشع لهم ضبابة الاهتمام * و اراهم من النجاح ما لم يروه فى المنام * وهذه نعمة احتاج لها الى دهر اوسع من دهرى * والى عمر انفس من عمرى * والى شكر ابلغ من شكرى * فاما هذا الدهر وهو العمر النزر * فما يسع ان اشكر فيه حرا * اللهم ارزقنى زمانا اوسع من زمانى * و لسانا افصح من لسانى و بنانا اجرى من بنانى * حتى اقضى بالشكر حقوق اخوانى * فلا بذل الا بجود ولاجود الا عن موجود * و لكن الدعاء غاية من ضاق امكانه * و لم يساعده

زمانه * وقطعت عن مسافة همته * خطوة جدته * وبه يكافى من قلت بسطته * وعجزت مقدرته * وانا اسأل الله تعالى ان يجعل الشيخ غاية لسؤال كل سائل * ومثابة لامل كل آمل * ورحلة كل راحل * وان يجعل السن اصدقائه * مشغولة بشكر آلائه * كما جعل قلوبهم مشغولة برجائه * وانفسهم مرتهنة بنعمائه * ويجعلهم بل يجعل زمانهم بهائه * والسلام

﴿ وكتب الى يزيد صاحب سمرقند ﴾

صدر عنى الى حضرة سيدى كتابان * احدهما عامى والآخر خاصى * فلا جرم حرمت جواب الماضى * ولم ارزق جواب الثانى * وقد انتظر غيرما جاءنى به الزمان * وعارضنى به الحرمان * لان الزمان لا يستحق منى حسن ظن * ويستأهل ان اصيبه بعين * مع ذنوبه الى التى اذا ذكرتها كانت غيبة سيدى اولاها * وانقطاع اخباره عنى وسطاها * ولكن لانى كنت اظن ان سيدى يغلب بكرمه لومه * ويهزم بيمنه سومه * ويحولنى عن شكايته الى شكره * وينقلنى عن حربه الى صلحه * فالحمد لله الذى جعل سيدى كاهل زمانه * وان قدمه عليهم بفضله لاقرانه * واخرجه من وحشة الوحدة الى انس الجماعة * ونقله فى معاملته لى عن قبح البدعة * الى حسن السنة * فخالطته بهم * وشكوته شكايتى لهم * وقلت فيه قولى فيهم * فيا سبحان الله فى اى طالع ولدت * وعلى اى بخت رزقت * حيثما اواصل ارى صدا * وايناما اتوجه لا ارى سعدا * قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم ياخير البساتين * الحمد لله حتى انت تجفونى
قدكنت منتظرا هذا جئت به * وليس خلق على غدر بمأمون

﴿ وانا اقول ﴾

قولا لمولاى فى الدنيا وفى الدين * الحمد لله حتى انت تجفونى

و

وصرت اناقض ابن المعتز في شعره * طربا مني على مخاطبة سيدي وذكره * والطرب يرخي العنان * ويبصر العميان * ويجرئ الجبان * ويجري اللسان والبنان * لا زال ذكر سيدي يطرب اخوانه حتى ينطقوا وهم بكم * ويعربوا وهم عجم * ويفصحوا وهم غتم * ولا زال اصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه ويرتجعه * ظمأ منهم الى فائدة من فوائد كلامه * وخرصا على غريبة من غرائب لسانه واقلامه * واطال لهم بقاءه وصل ام صرم * اعطى ام حرم * اهان ام كرم * انصف ام ظلم * فلا خير في حب لا تحمل اقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه * وانما العشرة مجاملة * لا معاملة * والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف * ولا تحتمل الحساب والصرف * ولكني انما اعاتب سيدي لاتوصل بذلك الى حلاوة اعتابه * واخاطبه بما لا ارضاه له لاتسبب به الى ما ارضاه من جوابه * وارجو ان الناس يغتفرون سوء الابتداء لحسن الجواب * ويعلمون ان الخطأ اذا سبب الصواب * فهو ضرب من الصواب * ليت شعري ما الذي ورد على سيدي من عمله * وهل رأى صيدا ام قيدا * ووجد سعدا ام سعيدا * ويا ليت شعري ما الذي استفاده بعدنا من الاخوان * ووجده في سؤال المودة والخلصان * وعهدي به يلتقط الاخوان التقاط الحب * وينتقيهم انتقاء اللب * ويدخرهم بين العين والقلب * ويعدهم الكنز الذي لا عمل فيه للزمان * والركاز الذي لا نصيب فيه الى السلطان *

﴿ وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الامير قابوس ابن وشمكير ﴾

كتابي وانا بما يترامى الي من اخبار نعم الله تعالى على الوزير في حله وترحاله وسائر متصرفاته واحواله * قرير العين * قوي الظهر * شديد الازر * راض من افعال الدهر * اسمع كل يوم بشرى * واحتمل للايام نعمى * فاما احوالي

متماسكة ببقاء نعم الوزير على * وآثاره لدى * فان فارقتنى امطاره فاكثر غدرانه ما نضب والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين *

قد كانت كتبى انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه * عن ان اقرعه بالكلام الوسط * وشفقة على ناظره من ان اجيله فى الخط اسقط * وعلما منى انى اذا قطعته على هذه النية فقد وصلته * واذا جفوته فقد بررته * حتى ورد على خبر حركته الى هذه الوجهة التى ركب اليها مطية الاقبال * وجذب نحوها ازمة الآمال * واستظهر عليها بعساكر الايام والليال * فلم اجد بدا من الاذكار بنفسى التى انما ارتبطتها لتلك الخدمة * وامسكت رمقها ببقاء تلك النعمة * ولعمرى انى لاعرض منها ماء راكدا * ومتاعا كاسدا * ولكن الوزير بصدد حرب * وعارض خطب * والمحارب يحتاج الى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة وعتادا * والعامة حشوا وسوادا * قد شمرت ايد الله الوزير ذيل المحارب * ورفعت رجل الراكب * وفارقت خراسان عزما وان كنت بها جسما * واذا ورد على له اذن طفرت الى عسكره طفرة تطوى المراحل * وتأكل المناهل * بعد ان حصلت من العتاد والعدة * ومن الشوكة والشكة * ما ينتظم شرائط اوس بن حجر الكندى * ومزرد بن ضرار الثعلبى * قال اوس

وانى امرؤ اعددت للموت بعدما * رأيت له نابا من الشر اعصلا

﴿ وقال مزرد ﴾

* وعندى للحرب العوان مهند *

هذا غير ما عندى من العدة التى يصنعها غير الله صانع * ولم يبعها غير الايام بائع * على ايد الله الوزير من انتماء اقبالى الى اقباله * درع لا تصدعها الايام * ولا تنفذ فيها السهام * وعلى رأسى من واقية دولته مغفر * لا تعمل فيه السيوف * ولا تمر بطريقه الحتوف * وبيدى من صنعة يمينه وبركته * قوس وترها الجد * وسهمها السعد * وفى عنقى من صقال نعمته سيف يقطع الآجال * لا الاوصال * ويهزم الاقدار لا الرجال * وتحتى من نتاج

شوقى

شوق اليه فرس اذا سرت به طار * واذا وقفت به سار * الشوق عنانه * والايام ميدانه * والعجلة سرجه * والسوط لجامه * والعزيمة لببه وحزامه * فان اذن لى الوزير فى ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة * المكنوف بجوانب الدولة والكرة * رأى منى بحمد الله تعالى فارسا ملء العين * كما سمع منى عالما ملء الاذن * فيعلم حينئذ ان اقباله خرج له تلميذا انتظم فيه فروسية اللسان * وفروسية السيف والسنان * ويكر فى معركة الطعان * كما يكر فى معركة البيان * ويثبت اسمه فى جريدة العلماء والفرسان * فان الاقبال ربما التقى طرفاه * والكمال ربما اعتدل جانباه * والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسره * واذا كان الوزير وهو استاذ فارس الميدانين * وسابق الرهانين * وكانت يده تجيل قدحى الشجاعة والكرم * وتجمع بين السيف والقلم * وتحذق آداب العرب والعجم * ولم يكن القباء اليق به من الطيلسان * ولا الدفتر فى يده اخلق من السيف والسنان * فلا بد لنا معاشر تلاميذه من ان نرقى على درجه * ونمشى فى منهجه * واذا كانت حياته نفسها الله تعالى حياة امه * ونفسه صانها الله تعالى مقسمة من نفوس جمه * فلا بد من ان تفديه تلك النفوس بنفوسهم * وان يلقوا دونه السيوف بوجوههم بل برؤوسهم * وان يخدموه فى مواطن المنايا * كما خدموه فى مواهب العطايا * وان يبذلوا معه مجهودهم قتالا * كما بذل معهم مجهوده نوالا * وان يبتذلوا فيه النفوس الكريمة * كما ابتذل فيهم النفايس العظيمة * هذا واجب فى قضية الكرم والمجد * لازم فى شريطة الوفاء والعهد * على انى اظن العدو اذا ظللته تلك الراية المنصورة يخطو خطوة اولها جرجان * وآخرها خراسان * تقبلا لاوليه * وجريا على وتيرة ابيه * فانه اعقل من ان يقذف امه ويخالف اباه * ومن خالف والده فقد نفاه * سيهزم من رجل طالما هزم * وينهزم ابن رجل طالما انهزم * ومن اشبه اباه فما ظلم

* * *

﴿ وكتب الى كثير بن احمد يعزيه عن ابنة له ﴾

نحن معاشر اولياء الشيخ ومتحملي اعباء نعمته * والمتسمين بسمة جملته * اذا صدئت قرائحنا * وفسدت اذهاننا * جلوناها بمجالسته * وغسلنا عنها وضر التغير باتباع طريقته * وسسنا انفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسته * لبطانته ثم لرعيته * واذا كانت الحال هذه فمن المحال ان نبيع على الشيخ ما اشتريناه منه * وان نجلب اليه ما جلبناه عنه * وان نقيم انفسنا مقام المتعلمين * وان نحمل اليه مواعظ بذله * كلامه منها ابرع * وبداية توقيعاته منها ابدع * ولكن لا بد للمحب ان ينطق لسانه وقلمه * بما يترجم به عن ودائع صدره * ويعبر عن نيته وسره * ولا بد لمن شارك ربيبه فى ايام الرخا والمواهب * من ان يشاركه فى ايام الغموم والمصائب * ليكون قد خدمه فى النوبتين * وتصرف معه فى الحالتين * واثبت اسمه فى جريدة الشركاء الساهمين مرتين * وبلغنى خبر المصيبة فاغتممت بها غمين * ونفذت الى سهام الفجيعة من طريقين * اما احداهما فهى انى اغار على هذه الجنبة الكريمة * وعلى هذه الدولة المستقيمة * من ان ينفذ فيها رمية الزمان * او تتناولها يد من ايدى النقصان * واما الثانية فهى انى علمت ان الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء * ولم تقابل بالاذاعة والاشتكاء تضاعف داؤها * وزادت اعباؤها * وانما الغم سم ترياقه الباثة * والموت خرق رفوءه التسلية والتعزية * قال ذو الرمة *

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفى نجى البلابل

واذا كان لا بد من عين تصيب طرفا من اطراف الكمال * ولا بد من عوذة يعوذ بها وجه الجمال * فلان تكون الواقعة فى الصغير * خير من ان تكون فى فى الكبير * ولان يقع سهم الزمان على النسوان * امثل من ان يقع على الذكران * فالحمد لله تعالى الذى جعل فى طى المحنة منحة * ومزج الترحة بفرحة * فستر عورة من حيث سلب انسا وزهة * وكفى مؤنة من حيث جلب فجيعة * وابقى الكبير من حيث اخذ واحدة صغيرة * وجعل والدا من حيث

اثكل والدة وهكذا تكون مصائب المقبلين المجدودين * فان الدهر اذا ساءهم فى القليل * احسن اليهم فى الجليل * واذا كاشفهم فى الخفى المستور * صانهم فى الجلى المشهور * والمدابرون مثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفا * وخالصة بحتا والدهر يعلم اين الزبون * ومن المغبون * وانا اسأل الله تعالى ان يجعل المتوفاة لوالديها فرطا واجرا * وكنزا من كنوز الجنة وذخرا * وان يجمع بينها وبين البتول * السيدة فاطمة بنت الرسول * وبين خديجة الاسدية * وآسية الاسرائيلية * بنات الاكرمين * وازواج المرسلين * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين * وان يحشرها شفيعا تقبل شفاعته * وتقضى فى والديه واهل بيته حاجته * ويعوض عنها الشيخ اخا لها سوى الخلق والخلق * شريف الفعل والعرق * ليستوفى الشيخ فى يومه اجر الصابرين * وفى غده جزاء الشاكرين * وليكون قد قضى الله تعالى حق الربوبية * من طرف العبودية * وان تكون هذه الحادثة خاتمة حوادث الزمان * وساقة عساكر النقصان * فلا يرى بعدها فى تلك الدار الشريفة * الا موهبة مستطرفة * وفائدة مستجدة مستأنفة * حتى يشتغل بالتهانى عن التعازى * وبالمدائح عن المراثى * والسلام

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى جوابا عن كتابه ﴾

ورد كتاب السيد مبشرا من خبر سلامته بالبشرى التى تنسى كل بشرى * وبالنعمى التى تلغى كل نعمى * وبالفائدة التى تفطم فوائد الاولى والآخرى * وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار عن تأخر كتابه عنى * وشمول النعمة بامثاله للناس دونى * امتلأت عجبا * ورأيت لى فى كل جارحة قلبا * ورأيت السيد قد سلك بى من التواضع طريقا قد رفعه الله تعالى عنها * وجعله بنجوة منها * وتكلف ما لو تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط * وراكبا مطية الغلو والاشتطاط * وكيف به هو وانما كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر * وعز وفخر * ومال ووفر * وكبر وكثر * وحياة وعمر *

فكيف كتابه الينا * وسلامه علينا * والرئيس اذا اعطى المرؤوس فوق حقه * فقد استرجع منه * واذا باسطه بما لا يسعه قدره فقد انفض عنه * والاشياء اذا افرطت الى الرجحان * عادت الى النقصان * ذكر السيد انه لا يرضى لمكاتبتى عفو كتابته * ولا ينزل فيها على حكم بلاغته * وهذا كلام اولا انه قد جرى به بنانه * ونطق به لسانه * لقلت تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا * ولقد جئتم شيئا ادا * الكتابة ابد الله تعالى السيد صناعة تجانستى انها مجانسة النور للظلام * ومناسبتى لها مناسبة الاوز للنعام * ولم اقرع بابها * ولم اعلق باسبابها ولم اعاشر اربابها واصحابها * ولا ادعيتها بقلمى ولا بلسانى * ولا ادعاها لى اصدقائى واخوانى * ولا تمنيتها اذ كان التمنى انما يتعلق بذنب الامكان * ويمشى فى طريق الكيان * ولا احتلمت بها اذ كان الانسان * انما يتوهم وهو وسنان * ما يتفكر فيه وهو يقظان * ولا دعوت الله تعالى بها لانه امرنا ان نسأله ما لا ينقض العادة * ولا يفسد التكليف والمصلحة * ولو كنت اجوز على نفسى شيئا منها لجوزته من طريق اتصالى بجانب السيد * فان المواصلة ربما صارت مقاربة * والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبة * وهب ان ذلك كان فكم وكم مقدار ما يتعلق بذيل المعاير من دراهم الصيرفى * وما عسى ان يعبق بثياب الجليس من طيب العطار والصيدلانى * وكم يحصنى من الكتابة على مجالسة السيد فى كل اسبوع ساعة * وعلى روايتى له فى كل شهر كتابة اورقعة * اللهم الا ان يكون السيد اراد بما ذكره رياضتى لا تهذيب * والتعرض لى بذكر الكتابة لكى اكاتب * فان هذا من ابواب الحث والبعث * وصنف من اصناف الرقى والنفث * قد يقول الاستاذ لتلميذه احسنت يا سيد الادباء * واصبت يا واحد العلماء * ليلحظه طعم التقدم * وليرقيه فى درجات العلم بالتعلم * فان كان ذلك هذا السيد اراد * فقد بلغ المراد * وها انا هبعد اليوم * اقرع باب الكتابة * واتسلق على حيطان البلاغة * واجمع ما اقدر عليه من رسائل السيد فاحفظها صدرا صدرا * بل سطرا سطرا واردد كل واحدة منها خمس مرات بل عشرا * فان خرجنى ذلك

ذلك فالحمدالله تعالى الذى رزقنى * ثم للسيد الذى حركنى * وان تكن الاخرى فبلغ نفس عذرها مثل مُنْجِح * ذكر السيد ان اعتداده بى اعتداد العلوى بالشيعى * والمعتزلى بالمعتزلى * وانا اقول مكافيا لا مباريا * ومتابعا لا موازيا * اعتدادى بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بى * اعتداد الصحابة بالنبى عليه السلام * واعتداد الشيعة بالوصى * واعتداد المعتزلة بالحسن البصرى * واعتداد الحجازيين بالشافعى * واعتداد الزيدية بزيد بن على رضى الله تعالى عنه * واعتداد الامامية بالمهدى * لا بل اعتداد العاشق باللقا * والظمآن بالرى * لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبرى * بالسيد ابن محمد العلوى * وهذا ميدان يحتمل الفرسان * وفصل يتسع للتصرف والجولان * ولكنى اكره ان اشق على السيد فى الجواب * وان اكلفه دخول هذا الباب * ذكر السيد ان انكفاءه الينا قد قرب * وان نجم الغيبة قد صغر * وذرعها قد قصر * وانا اسأل الله تعالى ان يصدق هذا المقال * ويحقق هذا الفال * ويرينى تلك الطلعة التى اذا رأيتها لم انغص بغيبة الغائبين * واذا فقدتها لم اتهنأ بحضور الحاضرين * واذا نظرت اليها فيومى سعيد * بل عيد * وفصلى مربع بل ربيع * واذا تصبحت بها تصبحت بالنظر الى النبى والوصى عليهما السلام والى البتول ابنة الرسول * والى السبطين الشهيدين * الحسن والحسين والى السجاد زين العابدين * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين * سألنى السيد ان اسأله بعض هدايا تلك الناحية * لا والله ما اعرف نفيسة * ولا طرفة خطيرة * تعدل عندى وجهه فليهده الى * وليخلع نظرى اليه على * وليعلم انه اذا فعل ذلك فقد زف الى الدنيا فى معرض الجمال * واهدى الى السعود بين طبق ومكبة من الاقبال * ولم يدع لعين التمنى بعد ذلك مطمحا * ولا لقوس الاقتراح والتحكم بعدها منتزعا * لا يكتب الى السيد بخط غيره * لانى اذا قرأت كلامه من آثار بنانه * فقد جنيت الورد من اغصانه * وقليل لمن ادلى بمثل وسيلتى * واتسم بمثل سمتى * ان تنبعث له البنان والاقلام * وان ينتق له الخط والكلام * وان يعزل على حكمه والسلام *

**
*

﴿ وكتب الى كاتب ﴾

اعتذر سيدى من صغر الكتاب واختصاره * فقد اغناه الله تعالى عن تكلفه من اعتذاره * وانما الصغير ما صغر قدره * لا ما صغر حجمه * فاما ما افاد * وجاوز المراد * فليس بصغير * بل اكبر من كبير * واما شكره لى على تفصيلى لكلامه * فانى من هذا بعد فى ميدان عريض مديد * وفى شوط بعيد * لم ابلغ عشر عشره * ولم اقض منه ايسر يسره * والحق انى وان اجتهدت فانى غير بالغ منه ما فى ضمن النية * ولا آت على ما فى الهمة والامنية * ولكنى ساقف عقلى انتهاء الطاقة * واحمل مجهودى اقصى الغاية * والتمادح بيننا بعد الحال التى عتقت * حتى اخلقت * وقدمت حتى هرمت * فصل لا يحتاج اليه * ولا يعرج عليه * واسأل الله تعالى ان يجعل اخوتنا متصلة فى الدنيا باخوتنا يوم الدين * فان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين *

﴿ وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة ﴾

عظم على الشيخ ادلالى * وكثر على قلبه اشغالى * وفتح عليه كرمه من حوائجى بابا لا يسد * ولا يرد * ولكنى اذا قلبت سلعة الشكر * ونشرت طراز الاحسان والبر * لم ار غيره يشتريه * او يرغب سواه فيه * واذا عرضت جريدة الكرم * وافضت قداح المساعى والهمم * جاء اسمه صدر الجريدة * وقدحه معلى القداح السبعة * فارجع اليه وعن يمينى الرجاء يقربنى منه * وعن يسارى الحياء يطردنى عنه * وما احب ان يشرك الشيخ فى لسانى غيره * ولا ان يحتوى على قلبى الا ذكره * فانى آنف لكرم المتاع * من لؤم المبتاع * واستحيى لنفاسة هذه الملابس * من خساسة اللابس * واغضب للمركب الكريم * من الراكب اللئيم * واحب ان ازف ابكار المعانى وان اغرب فى الثناء * لمن يغرب فى السناء * وان ازوج الشيخ من صنعة لسانى كرائم

لا

لا تجتليها الا عيناه * ولا تنظمها الا يداه * قد علم الشيخ انى عقدت هذه الصنيعة * وافقت هذه المعيشة * لتكون صونا لوجهى عن ذل السؤال * وحجابا لعرضى دون الابتذال * ولاجعل ما يدخل منهـا من الكفاف * جسرا الى الصيانة والعفاف * فاحبب نفسى الى اصدقائى * واخفف ثقلى على جلسائى * فان السائل ثقيل الطلعة * كريه الزورة * مشنوء اللحظة واللفظة * معرفته غرامة * ومنادمته ندامة * ومجانبته امان وسلامة * فمن اعاننى على حفظ ما اعتقدته * وامسك على جوانب ما استفدته * فقد كفى اهل المشرق كلى * وخفف عن رقابهم ثقلى * وضرب بين لسانى وبينهم سترا ثخينا * ومد عليهم دون استبطائى وعتابى كنا كنينا * ومن اخرجنى من صيانة الدهقنة * واحوجنى الى ابتذال المسألة * فقد عرضهم لخطبين * وعرضهم لحد السيف من جهتين * لانهم بين ان يعطوا فيحتسبوا مرارة العطاء * او يبخلوا فيصطلوا بحرارة الذم والاستبطاء * وما من الخطتين صغيرة وما فيهما لمختار خيرة * على ان خروجى من خراسـان الى غيرها * وضع من اهلهـا * فلو ارتبط الجواد حق ارتباطه لمـا عار * ولو احسن الى البازى لما طـار * وان مقامى حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود * ولو ملكت اعنة الايام * وجاز حظى على الحظوظ والاقسـام * لكانت مدائحى الى اهلهـا مصروفة * ومعاتباتى على غيرهم موقوفة * ولما جلست تحت قول ابى عبادة البحترى

عذلتنى فى اهلهـا واسترابت * جيئتى فى سواهم و ذهابى
ورأت فى سواهم من مديحى * مثل ما عندغيرهم من كتابى

هذا على انى ارى ريح الكرم هبت جنوبا وشمالا * وعساكر المجد قد زحفت يمينا وشمالا * وسوق الادب قد قامت * واطراف المسالك قد استقامت * وليل النقص والجهل * قد جلاه فجر الفضل والعقل * والجود قد اقبل بوجه الغالب * والبخل قد ادبر بقفا الهـارب * وارى الدهر قد افتر عن يتيمته * وانجلى عن كريمته * وجاء بواحده * الذى لم يزل لسان محامده * وعنـان مراشده * والذى لم يزل يرجف به لسـان الامانى *

وتتقاضانى فيه ايام زمانى * وهو الشيخ الاجل ربيب الدولة * وغذى النعمة * وسليل الكفاية والوزارة * وفرع السياسة والرئاسة * وناشر ميت الآمال * وناقد قيم الرجال * وناشر الوية المقال والفعال * وقد علمت ان الدهر البخيل * لا يسمح الآن به الا ليكون للاحرار ركزه * وليدون للافاضل دولة * ولتهب للخير ريح طالما ركدت * وتنفق للفضل سوق طالما كسدت * ورجوت ان اكون احد من ينتصف به من محنه * وينتزع فى ايامه حقه من مخالب زمنه * فقد طال ما ضرب الزمان على رزقى وغصبتنى ايامه ولياليه حقى * اسأل الشيخ ان يعرض كتابى عليه * ويوصل كلمتى اليه * ولا يقول كيف يكون الرسول اجل ممن ارسله * وكيف يكون السفير اعظم ممن سفر له * فان الكريم يعز من حيث يهون * ويشتد بأس الرمح حين يلين * وهو ايده الله تعالى الحكيم الذى لا يوصى * والمشير الذى لا يعصى * واذا سعى فى هذه الحاجة ففى امره سعى * وعن ماله نضح ورمى * وعن عاتقه القى حملا * وطرح ثقلا * لانه ان حرم سهمى الاصابة * ولم ترزق دعوتى الاجابة * فانى ملق كل خراجى عليه * وراجع به عنه اليه * اذ كنت لا ارى الفرج الا لديه وانشد

سبيلى ان اعطى الذى تسألوننى * وحق ان يجدى على ولا اجدى

﴿ وانتقيه ﴾

اذا كنت لا انفك اغدو مطالبا * فلم انت عباد ولم انا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاج بعين من يعلم انه فيها سهيم * ولصاحبها قسيم * وانه يكدح كدحا له بعضه * ويجلب جلبا له شطره * وانى لاعلم انى قد هتكت ستر الحشمة * وخرقت حجاب الهيبة * وان هذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال * ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال * ولكن الثقة تطلق اللسان * وتجرى الجنان *

و

﴿ وكتب الى وزير صاحب خوارزم ﴾

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله فى لؤلؤ منثور * وطراز منشور * واستمليت منه نسخة الود الصريح * والعهد الصحيح * والخلق السجيح * ووجدت الشيخ قد استرقنى رقا لا تحل عقدته ولا ترد عهدته * وكفانى مهما لا يكفيه الا مثله * على ان ذكرى مثله ارجاف بالزمان وفعله * وكذب على الفلك واهله * وامنية من اكاذيب الامانى * وترهات من لسانى * هيهات الدهر ابخل من ان يأتى بكريمته * ويجىء بمثل يتيمته * والكرم اقل مبتاعا * واكسد متاعا * من ان ينازع الشيخ بهاه * اويسلبه رداه *

والجود اخشن مسا يابنى مطر * من ان تبزكموه كف مستلب

اخبرنى الرسول بما عمله الشيخ من حيله الدقيقة * وفتله من اسبابه الوثيقة * فى ذلك الخال حتى اخرجه من العدم الى الوجدان * وصيره من الوهم الى العيان * فحمدت الهى الذى رزقنى صديقا يحفظ على * ما اضيعه بيدى * ويحسن بى من حيث تسىء نفسى الى * وقد كنت خاطبت الشيخ فى امر هذا المال بكمال جرأتى عليه * فصدق ثقتى بسعة ساحة احتماله * فان شكانى فقد كافانى * وان اسلفنى شكرا فعلى اداؤه * وعلى الله جزاؤه * ولو انصفت الحال بيننا * والجهة الجامعة لنا * لخرجت اهذا الوافد الاثير لدى والكريم على من مالى * ولقاسمته ولدى وعيالى * ولجلت العالم اليه بين طبق ومكبه * والفلك بين دنيا وآخره * ولكنى نزلت على حكم طاقتى * وانتهيت الى غاية وجدى وجدتى * وعولت على عقدى ونيتى * ونكست راس خجل منشور * وغضضت طرف قاصر مقصر * وانشدت

لو كنت اهدى على قدرى وقدركم * لكنت اهدى لك الدنيا وما فيها

الذى طلبه الشيخ من الكتب ساحمله الى خزانته ولو على رحلى * وانسخ ما ليس عندى ولو على خدى * ولوددت لو كان دمى حبرا وجلدى ورقا *

واصابعی اقلاما * وذاك عنـدی يسير بنسی * وصغير يلغى * وقليل لا يسمع ولا يرى * على انه اوباسطنى الشيخ فيما عدا الكتب * من الفضة والذهب * لكان آخر امره منتظما باول امتثالى * وطرف قوله متصلا بطرف فعالى * فان النـاس يتخذون الاصدقاء * ليكسبوا بهم الثرآء * وانا اكسب الثراء * لا تخـذ به الاصدقاء * والصديق هو العقدة التى يحلهـا الدهر * والذخيرة التى لا يفسدها الخير والشر * والكنز الذى لا ينقص منه الغنى والفقر * وسائر الاعلاق تفقد من حيث توجد * وتحل كما تعقد * ويدب اليها الفناء * كما يتفق لهـا البقاء * ويتسلط عليها الاعداء * كما يحسد عليها الاصدقاء * وتعـمها النار فتحرقها * ويصيبها الماء فيغرقها * فالذهب والفضة حجران يغنيـان ان حركا * ويفسـدان ان تركا * والضياع والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبها ان رحل * ولا تنزل بنزوله ان نزل * والعبيد والاماء حيوان * يتحكم فيهـا الحدثان * ويعمل فيها عمـله الزمان * فاذا حاربته الايام سقم * واذا سالمته هرم * فهو معرض للحادثات * اما بالخيانة واما بالممات * والثياب والفرش ورق يجف اذا استعمل * ويخلق اذا اهمل * والعتاد والسـلاح رفيق ربما خان من حمله * واعان على من قاتله * وصار فى يد المحـارب * آفة على الصاحب * والحلى والجواهر زجاج يسرع اليـه الكسر * ويبطئ عنـه الجبر * اظهاره خطر * واخفاؤه حذر * خفيف المحمل على من سرقه * ثقيل الوطأة على من فقـده * والزرع خبز مخبوز فناؤه افتقار * وبقاؤه احتكار * من بذله عرضه للفناء * ومن بخل به عرض عرضه للهجاء * والاثاث والشوار اجسام هامدة اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت * واذا رفعت صدئت وتغيرت * والفئ والماء * غريم كفيله الارض والسماء * وهما كفيلان لا يغرمان * ولا يلزمان * ولا يلازمان * والخيل والسوام زرع تجففه الريح والهواء * ويحكم فيه الصيف والشتاء * ويتداوله الفنـاء * والكتب مالك جالس على قافية السرقة * موضوع على شبكة الخيـانة * يسرقه كل امين * ويتهم عليه من ليس بظنين * وقد اكثرت ايها الشيخ فى هذيانى * ووضعت عنـان قلبى وبنانى بيد لسانى * فان يكن

ما

ما جئت به مفيدا فقد ابدعت واغربت * وان تكن الاخرى فقد اضحكت واعجبت * فلم اخل ان جئت بفائدة * ان كنت ضحكة ونزهة زائدة *

﴿ وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب ﴾

وصل كتاب سيدى المنتظر المؤتلف * والمستبطأ المتشوف * بعد ان عاتبت الدهر على تأخره ولمته * وبعد ان ذممت فيه البخت وشتمته * وبعد ان نظرت اليه وهو غائب مثالا * ورأيته فى النوم خيالا * وبعد ان عددت له الليالى والايام عدا * وحسبت فيه الاوقات والانفاس ضربا وعقدا * وبعد ان ظننت الظنون بسيدى وبوده * وتوهمت الايام فى وفائه وعهده * وحسبت وانا استغفر الله انه قد اثبت اسمه فى جريدة الغدر * وجانس ابناء الدهر * وبعد ان انشدته فيه

لم تزل تجهل الخيانة حتى * علمتك الايام كيف تخون

فويلى ان لم يعف سيدى عنى * ولم يغفر لى ما بدر منى * ولم يجعلنى فى حل من سوء ظنى * وفهمته * ولم ازل اكرر قراءته حتى حفظته * ثم تزودت فى ذلك حتى حفظت غاية باءاته وصارت روايته تقطع على صلاتى * وتستهلك اكثر اوقاتى * ثم عرضته على اصدقائى * واصدقاء ولائى * فما منهم الا من سألنيه * ونافسنى فيه * واستعارونيه * ونيته ان لا يرد العارية * ولا يؤدى الامانة * ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما اعادوه * ذكر سيدى من شوق اليه مالم يتكلم فيه الا عن لسانى * ولم يترجم الا عن شانى * ولقد طويت بعده بساط المدام * ورفعت صحيفة المؤانسة والندام * وطلقت الراح ثلاثا * وفارقت الغناء بثاثا * حتى جفت الاقداح واستخصتنى الراح * ونسى بنانى الاترج والتفاح * ولقد ترك سيدى بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسه * وآثار الفرح والانس طامسه * وديار المنادمة والمجالسة مقفرة * واطلال المحادثة والمساعدة متنكرة * قد هبت عليها بغتة ريح

الادبار * وطلع عليها نجم البلاء والاقفار * ونفذ فيها حكم الفناء * ولمستها يد العفاء * سألني سيدي عن ذكرى له وكيف لا يذكره من يراه * وان كان لا يلقاه * بل كيف يذكره من ليس ينساه * وكيف يسلو عنه * من لا يرى عوضا منه * وكيف يغب ذكره من لا يفتح عينيه * على اكرم منه عليه * واحب منه اليه * وقد عرفته انا هجرنا الشراب * واغلقنا هذا الباب * ثم ان شربنا في كل فترة نبوة * او بيعة خلافة * فلا نقل الا تذكاره * ولا تحية الا اذكاره * ولا حديث الا انسنا به كان ووحشتنا له الآن * ولا اقتراح على المغني الا شعر في اوله ذكر غيبته * وفي آخره تمني اوبته * رد الله تعالى سيدي الى اخوانه الذين انا اولهم في المحبة * وان كنت آخرهم في الرتبة * على حالة يقع الشكر وراء حقها * وتكل مطايا التعديد والبشر في مسافة طرقها * والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين * وانا اقول ردك الله تعالى غانما الى غانمين * فان من سعد بلقياه فهو غانم كما ان من حرم النظر الى طلعته فهو غارم * وارجو ان يتقدم سيدي بوصوله عند الفطر فيجتمع لي عيدان وفطران * كما اجتمع على بغيبته صومان * على ان صوم العين * اشد من صوم البطن * فان مسافة صوم العين مجهولة الامد والعدد * مخوفة الزيادة والمدد * ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهلة * قريب العشية من الغدوة * فحصتي من صوم هذه السنة المباركة حصتان * ويومي منه يومان * وتأبى صروف الدهر ان تأتيني الا مزدوجة في قران * وذلك اني صمت عن النظر الى طلعة سيدي شهري رجب وشعبان * وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان * وقد قال الخليع الشامي

سكران سكر هوى وسكر مدامة * فتى يفيق فتى به سكران

﴿ وانا اقول ﴾

صومان صوم نوى وصوم عبادة * فتى يعيش فتى له صومان

* * *

﴿ وكتب الى ابي القسم وقد انهدمت داره عليه وسلم ﴾

بلغني خبر الهدة فالحمد لله الذى هدم الدار * ولم يهدم المقدار * وحين ثلم المال * لم يثلم الجمال * ولما سلط الحوادث على النشب والخشب * لم يسلطها على العرض والحسب * ولا على الدين والادب * ولا بد للنعمة من عودة * ولا بد لاعين الكمال من رقيه * فلأن يكون ذلك فى دار تبنى * ومال يجني ويثمى * خير من ان يكون فى النفس التى لا جابر لكسرها ولا شئ يفى بقدرها * وصادف ورود هذا الخبر على * رمدا فى عينى * قد حصرنى فى الظلمة * وحبسنى بين الغم والغمة * وتركنى ادرك بيدى * ما كنت ادرك بناظرى * كليل سلاح البصر * قصير خطوة النظر * قد ثكلت مصباح وجهى * وعدمت بعضى الذى هو آثر عندى من كلى * ابعد الاشخاص عنى * اقربها منى * فالبيض عندى سود * والقريب منى بعيد * قد خاط الوجع اجفانى * وقبض عن التصرف بنانى * ففراغى شغل * ونهارى ليل * وطوال الحظى قصار * وقصار اوقاتى طوال * فانا ضرير وان عددت فى البصرآء * وامى وان كنت فى جملة الكتاب والقراء * قد قصرت العلة خطوتى قلمي وبنانى * وقامت بينى وبين يدى ولسانى * وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات تماثل مبانيها * وتكافأ مقاطعها ومباديها * فتقول العلة ذلة * والوحدة وحشة * والغلب سلب * واللحظة لفظة * والهوى هوان * والاقارب عقارب * وانا اقول المرض حرض * والرمد كمد * والعلة قلة * والقاعد مقعد *

﴿ وكتب الى ابي احمد الرازى ببندر نيسابور ﴾

ورد على كتاب الشيخ بعد ما كدت اتطفل عليه بخطبته * واسبقه الى المكرمة فى الابتدآء بمثله * ثم ابى الله تعالى ان يكون الفضل الا لاهله * وان ينبت الكرم الا على اصله * وفهمته وافادنى من خبر سلامته فائدة هى الغنى * بل المنى

بل الكنوز والقنا * بل المراد والهوى * بل السناء والعلى * بل العالم والدنيا *
بل خير الآخرة والاولى * وهى السلامة التى لا يتضرر بها الشيخ عنى * ولا
يختص بمزيتها دونى * اذ كانت الاحوال بيننا متقاسمة * وسائر اسباب السراء
والضراء متساهمة * وسألت الله تعالى اولا * والآن اسأله ثانيا * ان يجرى
على الشيخ نعمته * ويرد غربته * ويعجل اوبته * ويبصره رشده * فى
الرجوع الى بلده * الذى هو بحضوره مصر مباه الامصار * وبغيبته عنه
مفاوز بل قفار * كما ان اهله اذا كان فيهم ناس * واذا غاب عنهم نسناس *
والله يلهمه قول النابغة

فحلى فى ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

وان اكرم الخيل اشدها حنينا الى وطنه * واعتق الابل اكثرها نزاعا نحو
عطنه * والدنيا رستاق نيسابور قصبته * وعقد نيسابور واسطته * ولو علمت
انى ادفع من غيبة الشيخ الى هذا الامد البعيد * والنفس المديد * وانه اذا فارق
قوما طلقهم * واذا لقى آخرين عشقهم * لاخذت من الزمان الف كفيل *
ووضعت الارصاد بكل سبيل * ولو رده على * لوكلت بحفظه عينى بل عينى *

شددت باعناق النوى بعد هذه * مرائر ان جاذبتها لم تقطع

والآن فقد ادبنا الشيخ ببعده * فما رأيه ان يعفو عنا بقربه * فيكون قد ارانا
قدرته * ثم اسبغ علينا نعمته * وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب *
ومقدار المحنة اذا غاب * كان كتاب الشيخ الطف من عتبه * واقصر من
اوقاتى بقربه * واظنه اشفق على من التعب فيه اذا طال * وظن بى الكسل
والملال * فما زلت اعرفه مشفقا على * حميد الاثر لدى * وان استعفيه من
هذه الصدقة * واشتهى ان لا يبرنى بهذه الشفقة * وان تكون كتبه الى *
اطول من يده على * وابسط من لسانى فى شكرى حميد آثاره لدى * فانى اذا
رتعت فى رياض قوله * واجلت عينى وخاطرى فى ميدان فضله وطوله *
تقلبت فى روضة وغدير * وادرت يدى فى جنة وحرير * ولم اعدم معنى
يلقح

يلقح الذهن * ولفظا يمتع العين والاذن * وفقرة استفيدها * ونكتة اقرأها ثم اعيدها * وان كان تذكر الايام الماضية لا يفرغ قلبي لاستيفاء العائد *

فلا يبعد زمان منك عشنا * بنضرته ورونقه العجاب
لياليه ليالي الوصل تمت * بايام كايام الشباب

وكأن ابا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسي * ويميت نفسي * وقد استسلمت للفراق فليمض في حكمه * لا بل فلينفذ في سهمه * وكتاب الشيخ يزيل بعض ما بي * ويشفيني من اوصابي * فليهده الشيخ الي فان اهداء السرور به الى مثل قلبي صدقة مبرورة * وصنيعة مشكورة * وكلما قرب مني الدواء فترا * تأخر عني الداء شبرا *

﴿ وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان ﴾

لولا ما يمين الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت او قلت وان كان ليس مع عطاياه جليل * كما انه ليس مع تواضعه قليل * لافنيت في هديتي اليه الاعلاق والجواهر * ولاتعبت في حملها اليه الخف والحافر * ولسبقت في ذلك الاولين * واتعبت فيه المتأخرين * عرف الله تعالى الشيخ بركة هذا المهرجان * وافرده بذلك عن سائر ايام الزمان * ولا زال يلبس الايام قشيبها وهو جديد * ويقطع مسافاة سعدها ونحسها وهو حديد * والسلام

﴿ وكتب الى ابي سعد احمد بن شبيب ﴾

ما اقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه * وما اكثر ما انشدت بيت كشاجم في وداعه وعناقه *

لم استتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

كأنه كان ذلك الرجل قائما معنا * اوكأنه قاله هذا البيت لنا * ولقد كانت

الايام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد * قصيرة الرفد * فانها مطلتني بلقائه سنين طويلة ثم اسعفتني به ساعات قصار فبينما انا اشكو مطلها * اذ صرت اشكو بخلها * و بينا انا استدرك عليها الماضي * اذ اصبحت اطلب اليها الباقي * و بينا انا انشد

ايا ليلة الوصل لا تنجلي * ويا ليلة البعد لا تنقضي

غدوت انشد * هـذا الذي قيل له اطيب ما كان فني * ولعمري اني موسر من الصبر * قوى بنيـة القلب و الصدر * حيث ابيت ببلدة و صاحب الجيش باخرى وليس بيني و بينه بعد الخافقين * ولا سد ذي القرنين * ولا جبل قاف * ولا سورة الاعراف * ولقد رضيت من الشوق بالدعوى * و من اللقاء بالمنى * و غششت فيما بعثـه من الهوى * والله اسأل ان يجمع بيني وبينه على ما يثلج صدري * و يقر عيني * وان يريني الدهر و هو وافد من حشمه * والسعد وهو خادم من خدمه * و الايام وهي رسـله في اوليائه واعدائه * و المنايا وهي سـهامه في صباحه ومسـائه * والاقبـال وهو خليط من خلطائه * والسرور وهو نديم من ندمائه * والعز وهو مستدير بافيائه * والشرف وهو مطنب بفنائه * وهذا الدعاء مني خجل قطعت به الحديث لما توجهت به المسألة على * وخرج الجواب من يدى * و لو صدقت فيما ادعيته * وكنت من الشوق على ما حكيته * قلت للشوق اذ دعاني لبيـك وللحـاديين كرا المطايا * ولانضيت الركـاب * وفارقت الاحبـاب * وركبت كاهل الخطر * واعروريت ظهر السفر * حتى انيخ بحضرة طال ما حضرتهـا العلى * وانزل على سدة طال ما سدت زوايا الندى * وانظر الى طلعة عليها للكـرم ديباجة خسروانية * وفيها للطلاقة روضة ربيعية * رجعت من حضرة الوزير بعـد ان افرغ على من سجـاله * و اسبغ على من نواله * ما خفف ظهرى بل اثقله * وانطق لساني بل اخرسه * وارخص شكرى بل اغلاه * و ابقى مديحي بل افناه * واني حين امدح البحر بانه غزير * والبدر بانه منير * واعلم الناس ان الدهر كبير * وان الرمل كثير * كنت كاحد عباد الله المكلفين

المكلفين الذين قولهم هبا * وعملهم جفا * ابقى الله تعالى ذلك السيد لتفتخر به الشام * وتفخر به الكرام * وتجمل به الايام والانام * واقام به سوق الكرام * وقد اقام * وادام بسلامته عز الحمد والمجد وقد ادام * وليت المكارم كانت جواهر لا اعراضا * وخلقا لا اخلاقا * فتتمكن من رؤيته العين * ويأتى عليها الوزن والكيل * فيدركها الجاهل بحاسة بصره كما يدركها العاقل بحاسة فكره * فاستريح من الدلالة على معرفتها * ومن اقامة البينة على صفتها * وصلت الجارية وردتها لانى رأيت موصلها شابا واذا اجتمع الشابان فقد اجتمعت النار والحلفاء * بل اجتمع الظمآن والماء * وهذا ميدان لابليس فيه مجال * وزاوية له فيها افعال * وان النساء لحم على وضم * وصيد فى غير حرم * الا ان تلاحظ بعين غيور * وتلازم بنفس يقظ حذور *

﴿ وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع الفاظه عن كتابة مثله وطلب نسخة شعره ﴾

نسخة شعرى التى طلبتها يا ولدى سائرة اليك * وغير مضنون بها عليك * ولكنى اذا امتعتك بها الآن اعنتك على طول غيبتك * وصرت بعض آفات اوبتك * فارجع فديتك * وانجز ما وعدته واسمعه ممن قاله تزدد به عجبا * فحسن الورد فى اغصانه * رأيتك ياولدى تخاطبنى فى كتابك بالفاظ ان كنت انت ابا عذرتها لقد اختصرت طريق الكلام * وصرت بعض محاسن الايام * وان كنت اخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها رد * ولا يجب عليه فيها حد * ولا يعاقبه السلطان * ولا تتبرأ منه الاقوام * واغرت غارة لا يلزمك منها قود القتلى * ولا ارش الجرحى * ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والايامى * وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك * ولا يثلم له دينك وامانتك * فيا ايها المغير النظيف الغارة * والسارق البرى الساحة اشركنا رحمك الله فى بعض ما رزقت * واجعل لنا سهما مما سرقت * واعطنا

قليلا مما اخذت * ولا تبخل علينا بما ليس من ملك يديك * ولا من ميراث ابويك *

﴿ وكتب اليه ايضا ﴾

كتبك يا ولدى عندى تحف وشمامات * وانوار وباكورات * افرح باولها * وانتظر ورود ثانيها * واشكرك على ماضيها * واعد الايام والليالى على باقيها فكثر على سوادها * ووفر على اعدادها * واعلم انى احبك حبا مستكنا وباديا *

احبك ما لو كان بين معاشر * من الناس اعداء لجر التصافيا

وانى آنس بك حاضرا * واشتاق اليك غائبا * شوقا لو عرفته لتكبرت على الورى * ولم تقم وزنا لاهل الدنيا * وكنت لا تنظر اليهم الا بمؤخر عينيك * ولا تكلمهم الا ببعض شفتيك

﴿ وكتب الى حاجب ركن الدولة بالرى ﴾

الكتاب الذى عظم الحاجب باصداره شانى * واعاننى به على زمانى * واهل زمانى * ورد وثمرة الفؤاد منه بعد فى اكمامها لم تزهر فتغتنم * ولم تدرك فتطعم * واذا نجحت الشفاعة من حيث لقحت * وزكت اغراس المعونة من حيث زرعت * ولاحت على صفحات احوالى اثار الزيادة * وظهرت فيها مخايل السعادة * اقت رهج الحمد والشكر * وانطقت بهما لسان الدهر * وقلت ما يتعب الراوى * ويحير السامع والرائى * ويوقع للخواطر شغلا طويلا * وللسان الاقلام عملا ثقيلا * والى ان تيسر من ذلك ماهو فى ضمان الايام * وفى ودائع الحظوظ والاقسام * فانى اسأل الله تعالى ان يطيل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات الغير * محروسا من عثرات القدر * اقباله وسعده مقتبل * وبابه مستقبل * وبنانه بل كمه بل تراب مجلسه مقبل *

و

﴿ وكتب الى ابي عبد الله النحوي الخطيب بالري ﴾

ان تكلفت للشيخ ذكر ما اسلمني له فراقه من الهلع * واهداه الى من انواع الغم والجزع * جريت معه في ميدان الاعتداد * واستقبلت بكلامي قبلة الشكر والاحماد * ورأيتني اشكر نفسي على ان اؤدي فرضا * واحمد جوانحي على ان يجيب بعضها بعضا * وان سكت بقيت في نفسي حاجة * واستولت على قلبي حسرة * ورأيتني ابخل على نفسي بشكاية المضرور * وانفث عليها نفثة المصدور * فلا ادري أأقول على ان القول كلفة * ام اسكت على ان السكوت غصة * ولكني انشد قول المولد

واشهد الله وحسبي به * اني الى وجهك مشتاق

ما زال قلبي مقيلا لذكر ليالينا تلك الطوال القصار * اللواتي كانت ظلماتها انوار * وساعاتها كلها اسحار * حاربنا فيها النعاس بجيش السمر * وسهرناها ولم نجد مس السهر * فكلما مال بنا النعاس الى شقه * وكاد يستعبدنا الملال برقه * نفضنا عنا غبار الكسل * وجلونا عن اعيننا بل انفسنا صدأ الفتور والملل * بحديث مطرز بالادب * مرصع باخبار العجم والعرب * يسكر من سمعه وان لم يشرب * ويشهد على بهيمية من شهده ان لم يطرب * بالفاظ انيقة النظم وثيقة النثر * ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر * فيعود النشاط امضى ما كان حدا * واصفى ما كان فرندا * واثقب ما كان زندا * ولو عاوضني دهري * واشترى جميع عمري * وباقي عصري * ورد الى تلك الليالي الزهر * المحجلة الغر * لكان قد احسن الي واربحني * وخسر علي * وهيهات الدهر تاجر لا يغبن في تجارته * وامير لا يغلب على امارته * ولكنا نقطع الدهر قالا وقيلا * ونعلل فيه قلبا عليلا * يسر الله لنا حالة يعود بها الانس في احسن زينته * واتم بهجته * وادالنا على الفراق الذي وجدناه لئيم الظفر * قبيح المنظر والمخبر * واعاد لي تلك الاوقات المسعودة المحمودة * التي سرقتها من دهري * ورأيتها غرة عمري * وصقلت فيها بلقاء الشيخ ذهني وفكري * وانشدت فيها من شعري وشعر غيري *

وفرحة الاديب بالاديب * كفرحة الطبيب بالطبيب

ولو طلبت من الشيخ عوضا لكنت قد اعنت الزمان * واستحققت بطلبتي المحال والحرمان * والفضل اليوم اقل طالبا * واعز صاحبا * واجذب جانبا * واخيب كاسبا * من ان يعظم غير الشيخ بين طرفيه * او يضم عليه كلتا يديه * سقى الله ايامنا بيد الشيخ الجليل * فاني لا اعرف سحابة تندي نداها * ولا تسق سقياها * وانما طلبت الغاية في الدعاء * وسموت الى اقصى مراتب الاستسقاء * وقد قال ابو الطيب المتنبي

سقى الله ايام الصبا ما يسرها * ويفعل فعل البابلي المعتق

وكأنه قال سقى الله ايام الصبي خمرا فانما فرحها ساعة * وطيبها مجاز لا حقيقة له مع بشاعة طعمها اولا * وثقل خمارها ثانيا * والذي دعوته به من السقيا يبقى ولا يفنى * ولا يستبشع بل يستحلى * ويستطاب ويستمرى * بلغني ان فلانا زعم ان سمعه لا يسع لاستماع كلامي * وانه يستعظم ما يرى عليه الناس من اعظامي * والذنب للعين العشواء في محبة الظلماء * وكراهية الضياء * وفم المريض يستثقل وقع الغذاء * ويستمر طعم الماء * والجعل يتغذى بالسرقين * ويموت من الورد والنسرين * ومن الريحان والياسمين * ومن طمس عين الشمس * فقد نطق في الحس * ومن حارب جيش العقل * وخلع ربقة العدل * ورضي لنفسه بمجانسة الجهل * فقد كفى خصومة مؤنة عتابه وعقابه * وقد امن زيادة المحنة لتمام ما به * كتبت هذه الاحرف ولم يبق مني الحر الشديد * والسفر المديد * قلبا يدري * ولا بنانا يجري * فاني * قد ذبت غير حشاشة ودماء * ما بين حر هوى وحر هوآء * فاما حر الهوآء فشاهده حاضر * ودليله ظاهر * واما حر الهوى فان هواي مقصور على مولاي * وقلبي حما لا يحله غيره * ولا يعمره الا ذكره * وارجو ان لا اعدم على ما قلته من قلبه شاهدا * ومن علمي به رائدا *

* *
*

و

وكتب الى قاضى الرى ابى الحسن بن شادان

كتابي ايد الله تعالى القاضى من قم وانا فيها بمكة حر الاحجاء * وبعمان هواء لا ماء * بل كتابي وانا فى سلامة الا من الحر الذى يذيب دماغ الضب * ويشبه قلب الصب * وهذا سرقته من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس باول غارة الكردى على الحاجى ولا باول اخذ الطرار * مال التجار * ولا باول تجمل المتكاتب * بكلام الكاتب * وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه * وهل اجرينا اقلامنا الا على اثار قلمه وبنانه * وهل اغترفنا الا من بحره * وهل نطقنا الا بنظمه ونثره * وهل على الارض عار ان تطلب سقيا السماء * وهل بالفقراء نقص ان يأخذوا صدقات الاغنياء * وهل يعاب النهر ان يستمد من البحر * وهل يضع من السارى ان يستنير من البدر * لا بل كتابي عن سلامة الا من مباينة الجمال * ومن عشرة الجمال * على ان الجمال جمل وهو ينطق بلسان * وتشبه خلقته خلقة الانسان * لا بل كتابي عن سلامة الا من سبعى من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهية * ومن كل نفس بعد تلك النفس الزكية * فانى منذ لقيتها وزنت العالم باخف صنجه * وقومت الدنيا باوكس قيمة * على انى ما خرجت منها الا طريد حياء * ووقيذ عطاء * وفدت على الوزير ابن عباد وحقائبي مملوة رجاء * وصدرت عنى وهى مملوة مدحا وثناء * ولقد غاص فى معناى على دقائق من الكرم اخترعها * ونوادر من الجود ابتدعها * لو كانت ابياتا لكانت اوابد * ولو كانت قصائد لكانت قلائد * ولو كانت الوانا لكانت غررا * ولو كانت حليا لكانت دررا * فلما رأيت ان لا ازداد فى صنائعه طبقة * ولا ارقى فى نعمه درجة * الا ازددت عنها تبلدا * وبحقها تقاعدا * هربت لاكون اوحد فى الهزيمة من الجميل * كما انه اوحد فى بذل الجزيل * ولا غرب فى الهرب على الشعراء * كما اغرب فى العطاء على الرؤساء * وليجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع وفحواه * وان فرقت بيننا حقيقته ومعناه * خلفت على القاضى من دقائق اشغالى ما اذا تفكرت فيه قرعت له سنى * وتعجبت

منه ومنى * ورأيتنى قد ابتذلت الكبير للصغير * ونطت الحقير بالخطير * ولكن الكريم اذ رأى المكارم لم يجل عن دقيقها * ولم يدق عن جليلها * وقد يتواضع الاسد لصيد الارنب * وافتراس الثعلب * وان كان يفترس الفيل * ويصطاد الزنديل * فاما انا فانى اخترت لغرس مودتى من تزكو تربته * وتحمد صحبته * وانزلت حاجتى بمن داره مفيض حوائج الاحرار * وبابه مثابة الشكر من الاقطار * ومن نظر الى ندماء الوزير واصحابه * والى حجابه وكتابه * علم انه لم يلقطهم الا بوائد الفراسة * ولم يغص عليهم الا بمعونة من التوفيق والهداية * وانه طالع ما وراء العواقب * بمرآة من التجارب * وانه الرجل اذا قدح بالظن اثقب * واذا ولد بالرجاء انجب * واذا نظر الى الناس عرف النقاية فانتقاها * والنفاية فانتفاها * وعلى هذه الجملة كان اختيار القاضى فصادف صنعه مصطنعا * ووافق بذره مزدرعا * ووقع الجميل منه موقعا * ليت القاضى لا يقول هذه الحاج لا تساوى كل هذا الملق * وكل هذا السجع الملفق * فانى لم يبق فى قلبى سجعة الا نشرتها * ولا فى لسانى فضلة الا احضرتها * والسلام

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة ﴾

كان صدر عنى الى حضرة الشيخ كتاب انشأه الشوق اليه * وكثرة التلهف عليه * وكتبته يد الحمد والشكر * واملاه لسان الحديث والذكر * وعزيز على انى فى هذا الفصل الذى هو شباب الزمان * ومقدمة الورد والريحان * غائب عن مجلسه الذى حضوره شرف دهر * واستئناف عمر * ورفعة قدر * لا بل عن وجهه الذى اذا لقيته لقيت به السعد طالعا * والنجح مطالعا * وفارقته ففارقت شخص البركة واليمن * وهيكل الاحسان والحسن * والدهر غريمى فى استئناف تلك الحالة القديمة * ومراجعة تلك الحضرة الكريمة * وانا اراجع * فهل الشيخ مراجع * وانا تائب * فهل رضى الشيخ الى آئب * وسائق اليه ربقتى * واوقف عليه

طاعتى

طاعتي * فان صفح فطالما انكسرت المودة ثم انجبرت * واقبلت الاحوال بعد ما ادبرت * وطالما تقدم عتاب وتأخر اعتاب * وطالما زجى الساعي بالضرب فخاب * ورمى بين الاحرار سهمه فما اصاب * وطالما كان قليل الهفوة * وبسير النبوة وعارض الجفوة * سيما لمجيد الرضى * وكريم العتبى * وكثير الرحمى * لا بل الصلة حلف القطيعة ابقى * والمودة بعد النفرة اخلص وابقى * لان العتاب قد صفى مآءها * وجلا اقذآءها * وابرز عن غش مفسديها * ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها * وان دام الشيخ على حقده * ولم ينحل عن عقده * لم يجدني بحمد الله كاسد الشعر * رخيص المهر * قوى الجزع ضعيف الصبر * ولم اسقط عليه سقوط الذباب في القدر * وانما الادب سلعة تنفق على الكرام والشيخ منهم * وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم * ولقد خصني من بين الازمان زمن لئيم * ووقع في قسمي من البخوت بخت ذميم * حيث صرت الزم خراجا التزم بنو المدبر اضعافه للبحتري * واضايق في ضيعة وهب امثالها محمد بن الهيثم الغنوي لابي تمام الطائي * حيث قال البحتري

ولم لا اغالي بالضياع وقد دنا * على مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لي تربيعها واغتلالها * وكان عليكم عشره وخراجها

﴿ وقال ابو تمام الطائي ﴾

فدع ذكر الضياع فبي شماس * اذا ذكرت وبي عنها نفار
ومالي ضيعة غير المطايا * وشعر لا يباع ولا يعار

فان كان اولئك رؤساء فليس رؤساؤنا برؤساء * وان كان هؤلاء شعراء فلسنا نحن شعرآء * وقد عرف الشيخ انى لا اقيم على الخسف * ولا احل الا خطة النصف * فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها * ولا يخليها من سيفها وسنانها * فعل

﴿ وله رحمه الله تعالى ﴾

ورد على كتاب من ورائي * من اسرتي ووكلائي * يذكرون فيه ان الشيخ

قد ترك لهم خراج هذه السنة * وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنة * ومثله من عقب الفساد بالصلاح * وعفى بالمراهم على اثار الجراح * وانا اعلم ان ما كان منه من الاولى كانت نادرة وفلتة * وان ما كان منه من الاخرى كانت قصدا وعمدا وفطرة * فان الكريم اذا اساء فعن خطية * واذا احسن فعن عمد ونية * والحر اذا جرح اسا * واذا خرق رفا * واذا ضر من جانب * نفع من جانب * وان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فافعاله اللاتى سررن الوف * والله تعالى يطيل بقاء الشيخ لممتحن يخلصه * ولفاضل يستخلصه * ولعارفة يسديها * وصنيعة يوليها * ورغبة يعطيها * ومعال يوشيها * وكريمة يجليها * ومهمة يكفيها * وملمة يداويها * وايام كايامنا هذه يداريها * ودولة سامية يليها * وجنية من جنيات الكرم يجتنيها * ومسعاة من مساعى الشرف يبنيها * وذخيرة من ذخائر الشكر يقتنيها * وغاية من غايات الفضل يحتويها * ويسبق اليها اهاليها * وصفوة من المعالى يصطفيها * وحسنة يرغب فيها * وفى ذويها * اسأل الله تعالى ان يعيننى على شكره * وان يزيدنى من بره *

﴿ وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان وتوفيت اخت الوزير ﴾

كتابى اطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته * ومن مستقر عزه الى مستقر عزه * فانا بما تبعنى من عنايته * وشيعنى من عساكر حياطته ورعايته * ونسبت اليه من خدمته * ولاح على صفحات احوالى من مواسم نعمته * صالح الحال * بل ناعم البال * راض من الايام والليال * والحمد لله ذى الجلال * وصلى الله على محمد وآله خير آل * قد كنت احسب ايد الله تعالى الوزير انى اتوصل الى بره * واكرع من بحره * وارد شريعة نواله * واضرب عطنى بين جاهه وماله * اذا وردت حضرته البهية * وطالعت طلعته الزكية * فاذا فارقتها انحسمت على مواد المواهب * ولم تصافحنى ايدى

الرغبات

الرغبات والرغائب * فاذا انا بنعمته يشيعني غائبا * كما تتلقاني حاضرا * وتمشي على عقبي ظاعنا * كما تنزل ربعي قاطنا * كالغيث يستقبل الطالب * ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر * طلوعها على الحاضر * وذلك انى وردت هذه الناحية المغمورة ببركات نعمته * المكنوفة بافضاله وفضله * فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام * ومن دقائق الافضال والانعام * ما ترك مطايا الشكر محسورة مبهورة * وجعل ايدي التعديد قاصرة مقصورة * وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحرية * وضرب في قالب الفتوة والانسانية * وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار * ويصرفها على حكم الاختيار * اوله ثناء جميل * وآخره عطاء جزيل * وفيما بينهما ترحيب وتأهيل * وتعظيم وتبجيل * بر حتى سر * وعظم حتى افحم * وافضل حتى اخجل * وتركني اتردد بين محاسن قوله وافعاله * واجيل طرفي بين طرفي تنزيله وانزاله * واذكر به اخلاق الوزير التي ما رأيت كريما الا ذكرنيها لاستيفائه منها * ولا لئيما الا مثلهما لي لتخليه عنها * يذكرنيه كل خير رأيته وشر * فما انفك منه على ذكر * وكيف اتعجب من علق الوزير اتخذه * ومن سيف بنانه شحذه * ومن جواد هو ضمرة للرهان * ومن حر هو عليه نسخة الحسن والاحسان * ومن تلميذ استفاد منه * وخريج صدر عنه * فهيهات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفري * وان الخيل على حسب فرسانها تجري * وحق لنهر انشعب من بحر ان يكون غزيرا * ولنجم استضاء من بدر ان يكون منيرا * على انه بالآباء تقتدى الاولاد * وعلى اعراقها تجرى الجياد

والسيف ما لم يلف فيه صيقل * من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرني ما رأيته قول من سئل عن ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنهم فقال له السائل اني لم استكثر منه فصفه لي فقال انظر الى اثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد فاذا اقول في جر هذا شرره * وفي سيف هذا اثره * وفي كريم هذا نتائج سؤدده * وآثار يده * فسبحان

من جمل نعم الوزير تكنفني في الحضور والغيبة * وتحيط بي من الجوانب الستة * فاذا حضرته ظالمني * واذا فارقته تبعني *

فني كل نجد في البلاد وغائر * مواهب ليست منه وهي مواهبه

المصيبة التي قرعت صفاة الوزير في المتوفاة زكى الله عملها * وحقق في مغفرته املها * وان كانت نالت كلا من خدمه * ومتحملي اعباء نعمه * بالغم الذي لا تنجلي كربته * والجرح الذي لا توسى ضربته * وخصني من بينهم بالنصيب الاوفر * والقسم الاكثر * فاني اغار لجنبة الوزير من ذكر النساء اولا * واتطير لنعمته ان تحالها التعازي والمراثي ثانيا * وآنف له من ان اقيمه مقام من يوعظ وينبه ثالثا * والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقة والخواطر مجيبة * والشعر ليس بعازب * والشيطان ليس بغائب * والطريق الذي نهجه الوزير لنا في الادب عامر ومسلوك لا متروك وقد كان ابو الطيب عزى سيف الدولة عن اخت له فقال

يعلمن حين تحيي حسن مبسمها * وليس يعلم الا الله بالشنب

ولو عزاني انسان عن اخت لي بمثل هذا لالحقته بها * وضربت رقبته على قبرها * ولا مجال للهم والغم بين عزاء الوزير وبهائه * ولا مرتع للبكاء والفجعة بين بقاء النعمة عليه وبقائه * وانا اكتب للزمان سجلا بانه اذا تخطأ فناه * واخطأت حوادثه حوباه * فسائر ما يأتيه صغير محتقر * ومنسي مغتفر * وباطل وهدر * وسيرد على الوزير شعر غلامه ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمة * ولم يخلد الى الغيبة * ولم يدخر شعره * ولم يجئ بعد عروس عطره * ووالله ما انصفنا ولي نعمتنا * ومالك رقنا * وجالب رزقنا * فيما نشاركه في نعمائه * ولا نشاركه في بكائه * ونساهمه في احوال الرخاء * ولا نقاسمه احوال البلاء * ولا نساعده على البكاء * ونحمل اعباء منته * ولا نحمل اعباء محنته * قضية والله سدمية * وسنة حدوبية * لا زالت الحوادث عن فنائه ناكبة * والخطوب عن نفسه وانفس اعزته عازبة * وصروف الايام عن مستقر عزه مصروفة * والحاظها دون تطرف نعمته

مطروفة

مطروفة * ولا زال يتعرف من الله تعالى صنعا يزكو طريفه على تليده * ويقع عتيقه وراء جديده * واراناالله جماعة اوليائه فيه * ما تضيق ساحة رجائنا عن بغيته * ويأتى على صالح دعائنا برحمته * فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله * وماله ثمره الله * وقلدنى نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان فى طريقه ذهب * وعلى قالبه ضرب * وكأن خدم الوزير كثرهم الله فى تشابه افعالهم * وتكافؤ احوالهم * حلقة مفرغة * لا يدرى ما طرفاها * وسبيكة ذهب لا يعلم اسفلها افضل ام اعلاها * وكلما فقدت منهم درهما وجدت دينارا * وكلما فقدت دينارا وجدت قنطارا * والوزير اوسع لمكافاة خدمه * فانما يتقارضون من فضلات ما عندهم ماء نعمه * ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه * ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه * ومدار الاحسان والاستحسان عليه * وما عسى اقول فى مدح الوزير ونعمه * الا ان استعير لسان طفيل الغنوى فاقول

جزى الله عنا جعفرا حين ازلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
ابوا ان يملونا ولو ان امنا * تلاقى الذى يلقون منا لملت

﴿ وكتب ايضا الى بندار نيسابور من الرى لما رجعت الوزارة الى الوزير ﴾
﴿ ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد ﴾

كتابى اطال الله بقاء سيدى من حضرة الوزير عن سلامة بسلامته مشتبكة * وحال بجميع احواله متمسكة * والحمد لله تعالى على النعمة عليه اولا * وعلينا به آخرا * وقد صدر كتابى الى سيدى مشحونا بجد رجوت انه يحجبه * وهزل لم اشك انه يطربه * والجد فى غير وقته كثافة * كما ان الهزل فى غير موضعه سخافة * وخير الكلام ما انتزع من ضده الى ضده * ورتع بين هزله وجده * واستوفى صفة القائل رحمه الله تعالى «وكلام كأنه قطع الروض وفيه الصفراء والحمراء» وردت ايد الله سيدى من حضرة الوزير على رجل زادته الرفعة تواضعا * والصيانة تبذلا * حتى

كأن الايام كتبت له وثيقة بان يستبقي جميل عهدها بجميل عهده * ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده * وكأن صروف الدهر شارطته انها لا تفيء له حتى يفيء لاخوانه * ولا توافقه حتى يخالف اهل زمانه * وما ظن سيدي برجل نفذ توقيعه في البر والبحر * وجاز حكمه في اهل نجد والغور * وخدمه اعيان العرب والعجم * وقبل يده ملوك الجيل والديلم * وصارت لحظة منه تغني * ولفظة منه تقني * وسطر من سطوره يحيي املا * ويقرب اجلا * وخلوة من خلواته تزيل نقما * وتحل نعما * وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر الشبيبة * ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا * وعلى سجيته المعروفة المألوفة ترددا وتحببا * يصل ببشره * قبل ان يصل ببره * ويحيي القلوب بلقائه * قبل ان يميت الفقر بعطائه * اكرم الناس عليه * اكثرهم حوائج اليه * وابعدهم منه * اشدهم انقباضا عنه * حتى كأن الله تعالى لم يبلغه ما بلغه * ولم يسبغ عليه ما اسبغه * الا ليكذب الفرزدق في قوله

قل لنصر والمرء في دولة السلطان اعمى ما دام يدعى اميرا

فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

وليصدق زيادة الاعجم في قوله

فتى زاده السلطان في الحمد رغبة * اذا غير السلطان كل خليل

وانا من بين الجماعة قد خضت به بحر الغنى * وركضت به في ميدان المنى * ورأيت يقظان * ما لم اكن احتلم به وسنان * وزفت لي الايام بمشاهدته من ابكار النعم ما اتقاعد عن نشره * واصغر عن قدره * واست اسمح من البياض بالمقدار الذي يسع تفصيل هذه الرغائب * ويستوي في اقسام هذه المواهب * ولكني اقتصر بالمكاتبة على الجملة * واكل التفصيل الى المشاهدة * فلسان العيان * انطق من لسان البيان * وشاهد الاحوال * اعدل من شاهد الاقوال * وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن الى اهله * ورجع الى اصله * واحب ان يرى عليه عنوان اليسار * ويجلو نفسه على عدوه وصديقه في معرض الاستظهار * ويعلم الناس انه زرع رجاء * فحصد عطاء

عطاء * واسلف من الكلام عرضا زاهقا * فأخذ من المال جوهرا نافقا * وفرح الشاعر اذا قبل شعره * ونفق سعره * كفرح التاجر * صاحب الجواهر * اذا اشتريت يتيمته * والشيخ ابى البنت ذا خطبت كريمته * وجدت فلانا وفلانا ندماء ابن العميد رحمه الله وقد البسهم الخذلان ثيابه * ونفض عليهم الادبار ترابه * ونبذهم الاقبال وراء ظهره * ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه * فهم ارخص من التمر بكرمان * واضيع من الورد فى شهر رمضان * واثقل من الفرو فى حزيران * واكسد من ابى بكر الخوارزمى بخراسان * وكذلك تكون مصارع البغى والعدوان * وحقائد البهت والبهتان * ولقد جلسوا على قارعة الاعصار * واعترضوا يد التحكم والاقتدار * واستهدفوا لسهام الايام والاقدار * اولا ان امورهم افضت الى رجل عليه من التوحيد والعدل مانع * ولديه من الحلم والحياة وسيلة وشافع * هذا وقد ولغوا فى دمه * ورتعوا فى لحمه * وخبوا واعنقوا فى ذمه * بل فى شتمه * فلم يبقوا فى القوس منزعا * ولم يتركوا للصلح موضعا * فلما دفع الاقبال ربقتهم اليه * وصارت حياتهم وموتهم فى يديه * اسبل عليهم ستر العفو والمغفرة * واسبغ فيهم حكم الصفح بعد المقدرة * وقلم عنهم اظافير الحدثان * وقام دونهم فى وجه الزمان * وما قتلهم الا يوم احياهم * ولا افناهم الا حيث استبقاهم * ولو كانوا يرجعون الى نفس مرة * والى اعراق حرة * لكانوا الى نظر عين الشمس اقوى عينا من النظر الى طلعته * ولكان المقام فى القفر بل فى القبر اهون عليهم من المقام فى حضرته * ولئن غرهم الكرم والتكرم وطردهم الحياء والتندم * فلعن الله تعالى من لا يعرف الالم الا فى جسمه * ولا النقصان الا فى ماله * ومن لا يقتله العفو ولا يأسره الانطلاق ومن لا يعد الا حفظ اللغة والاعراب * ورواية اشعار الاعراب * هذا جسم الادب فاين روحه * وقشر الفهم فاين لبه * ولو كانت المروءة رجلا لكان كريم الطرفين * شريف الجانبين * مهذب العرق * حسن الخلق والخلق * ولو

كانت المروءة امرأة لكانت غضيضة الطرف * ناصعة الظرف * وفية جميلة العشرة للاهل ولو كان كفران النعمة طعاما لكان قذرا و وضرا * او شرابا لكان عكرا كدرا * ولكن كل انسان ينمى الى عرق اوليه * وكل اناء يرشح بما فيه * وما اذكر المتوفى رحمه الله تعالى الا بخير * ولا اقابل نعمه الا بشكر ولكنى احب لرئيس مثله ان يختار ندماءه * وان يشترط على المحاسن جلساءه * وان يكون اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام * لا من حيث حظوظ الجدود والاقسام * وان يكون افضاله عليهم * على مقدار ما يجده من الفضل اليهم * ليكون قد اصاب بعارفته مظنة الاستحقاق * ولم يلقها على طريق الاتفاق * وليكون قد ارتاد فاحسن الارتياد * وانتقد فلم يظلم الانتقاد * فاما ان تكون الندماء يتقربون الى الملوك بهتك الاسرار من الاستار * ويأكلون خبزهم بلحوم الاحرار * فذلك مما يضيق عنه مسلك الحرية * وينطق بحضرته لسان الانسانية * ولقد كشفت الايام من حلم هذا الصدر عن غاية لم تطمح اليها عين * ولم تقرع بها اذن * ولم يعتريها ظن * فصارت صلاته من الاجال * كصلاته من الاموال * وتصدق بعرضه على اعدائه * كما تصدق باموالهِ على اوليائه * ليكون الجود متكافئ الطرفين * والسؤدد متعادل الوصفين * ولئلا يبقى فى الكريم غاية الا انتهى اليها * ولا للمدح جليلة ولا دقيقة الاغاص عليها * فلان قد ابطأ على * فليت شعرى الريح قلعته * ام الارض ابتلعته * ام الافعى نهشته * ام السباع افترسته * ام الغول اغوته * ام الشياطين استهوته * ام اصابته بآفة * ام احرقته صاعقة * ام رفسته الجمال * ام اغتاله الجمال * انتكس على ظهر جمل * ام تدحرج من رأس جبل * ام وقع فى بئر * ام انهار عليه جرف شفير * ام جفت يداه * ام قعدت رجلاه * ام ضربه الجذام * ام اصابه البرسام * ام جمش غلاما فقتله الغلام * ام تاه فى البرام * اغرق فى البحر * ام مات من الحر * ام سال به سيل زاعب * ام وقع فيه سهم من سهام الاجال صائب * ام عمل عمل لوط فارسلت عليه حجارة من طين منضود * مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد * وكأنى به وقد سمع هذا الفصل فغضب

على

على * وشتم طرفى * وما اردت بما قلتــه غير الشفقة * ولا نطقت الا بلسان المقة * وانما اتبعت فيه السنة * فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة * وهذه مزحة خفيفة * وان كانت ثقيلة عليه * وظريفة وان كانت سخيفة لديه * ومحبب الى سامعها وان كانت بغيضة اليه * وقد اعتذرت والعذر وان قل * دواء كل ذنب وان جل * والسلام

﴿ وله الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور ﴾

كتبت وقد اذن الدهر بالعتبى بعد العتب * وبالصلح بعد الحرب * ورد الله تعالى على من الاقبال * ما كان غصبنيه البخت العاثر * والحظ الغادر * ورد كيد الساعى فى نحره * وردد غصته فى صدره * والحمد لله تعالى على انعامه علينا بما ليس له عندنا شكر * ودفعه عنا ما ليس لنا عليه صبر * فما اعظم النعم على غير الشاكر * وما اعجب زوال المحنة عمن ليس بصابر * ذكر سيدى حال تلك الضيعة الضائعة * التى اول عهدى بها آخر عهدى بالوجه المصون * والعرض المخزون والخطب ايد الله تعالى سيدى فى تلك الضيعة جليل * والحديث فيها طويل * لا اسع له حتى اعقد لعجائبها حسابا * واصنف فيه كتابا * واستأجر لتفصيل ذلك وشرحه كتابا * يرتبونه بابا بابا * ويجعلون له رؤوسا واذنابا * هذا بعد ان اشترى كاغد سمرقند كله * وابرى قصب الدنيا دقه وجله * ويكون مدادى ماء البحر * وعمرى عمر النسر بل الدهر * وماظن سيدى بضيعة الزمتنى الجزية بعد ان كنت الزمها الصغير والكبير * واستأديها الرعية والامير * واخرجتنى من عز السلاطين الى ذل الدهاقين * وجمعت على فنون الاغنياء وغم المساكين * وشغلنى صداعها عن اشغال الدنيا والدين * يستغل الناس الغلة * وانا استغل القلة والذلة * ويزرعون فى الارض حبا * فيحصدون حبوبا * وانا ازرع فى قلبى كربا * واحصد كروبا * وقد صرت من اجلها اخدم قوما كنت استخدمهم * واسلم على اناس كنت اذا كلمونى لا اكلمهم * ويحجبنى من لو حضر

بابى من قبل حجبته ويعرض عنى من لو سألنى فيما مضى ما اجبته * قد كنت ابغض الهوان اذا مر ببابى * فاليوم قد ادخلته دارى وبين ثيابى * والى من يشكو المفعول به وهو الفاعل * ومن يطلب بالقتيل وهو القاتل * والسلام

﴿ وكتب اليه ايضا ﴾

كان الحاكم قدم فى امر ضياعى وانا حاضر ما قوى حسن ظنى به وانا غائب وحفظ الصديق حاضرا ود * وحفظه غائبا عهد * ومن احسن مشاهدة فقد حفظ الاخاء * ومن حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء * فلما غبت عن الناحية اصابت تلك الناحية عين الغير * ودب الى الحاكم حوادث البشر * ووقع فى تلك الضيعة من الصنيعة * وفى تلك الغلة من القلة * ما بغض الى المال * وحبب الى الفقر والاختلال * وتركنى كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين * وانهزمت فرسخين * واقت ديدبانين على مرقبين * وانما يكره الفقر لما فيه من الهوان * ويستحب الغنى لما فيه من الصوان * فاذا نبع الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر * واليسر هو العسر * لا بل الفقر على هذه الصفة والحالة والقضية اجل من الغنى حالا * واقل منه اشتغالا * لان الفقير خفيف الظهر من كل حق * منفك الرقبة من كل رق * لا يلزمه اداء الزكاة * ولا تتوجه اليه غوائل النائبات * ولا يستبطئه اخوانه * ولا تطمع فيه جيرانه * ولا ينتظر فى الفطر صدقته * ولا فى النحر اضحيته * ولا فى شهر رمضان مائدته * ولا فى الربيع باكورته * ولا فى الخريف فاكهته * ولا فى وقت الغلة شعيره وبره * ولا فى وقت الجباية خراجه وعشره * فانما هو مسجد يحمل اليه * ولا يحمل عليه * وعلوى يؤخذ بيديه ولا يؤخذ من يديه * يتجنبه الشرطى بالنهار * ويتوقاه العسس بالليل وفى الاسحار * فهو اما غانم او سالم والغنى انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه * وصيد كل نفس طالبه * وطبق موضوع على شارعة النوائب * ومنصوب على مدرجة المطالب * تطمع فيه الاخوان * ويأخذ منه السلطان * ويتطرق اليه الحدثان * ويتحيف ماله النقصان * فاذا كانت

حاله

حاله حالى فوقع عليه اسم الاغنياء * واصابه من الضرر ما يلحق بالفقراء * فقد نظم له بين المحنتين * وخرج عليه الزمان من كمينين * لان حقوق الاغنياء ترهقه من جانب * وتبذل الفقراء ومهانتهم تلحقه من جوانب * فلا هو غنى فيتسلى بوفره * ولا هو فقير فيستريح الى فقره * فهو كمؤدى الخراج وليس له غلة * وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوة وليست له ملة * فقد جمع المشقة والمضرة الحاضرة * وخسر الدنيا والآخرة * ولولا ان تضييع المال * ضرب من العجز والاخلال * وخصلة من خصال النساء لا الرجال * لكنت اترك تلك الضيعة نسيا منسيا * واجعل حديثها بساطا مطويا * ولكنى لا اغبن عن الصغير * كما لا ابخل بالكبير * ولا اغالط فى القليل من حيث لا اضايق فى الجليل * ولقد كسدت بخراسان لانى بها موجود والموجود مملول * كما ان المعدوم مسئول * وما ارخص الماء اذا وجد * واغلاه اذا فقد * وربما غلا الشيء الرخيص والله تعالى اسأل ان يهب ريح الكرم * ويطلع نجم الهمم * ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم * بمنه وكرمه *

﴿ وله الى فقيه بلاد قومس وقد ورد عليه أبنه للقراءة ﴾

ورد على كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه * وحرص كان عليه * وبعد ان اقترحته على الدهر * وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر * ولم ادر بايهما انا اشد سرورا ابالكتاب وهو ايسر واصل * ام بحامله وهو اجل حامل * فلان ولدى قد اقتطعت له من فراغى فلذة على انى لو درسته حتى تحفى الاقلام * ويفنى الكلام * وتحصر الافهام والاوهام * ثم لقمته العلم لقمة * وسبكت له الادب فقرة * والهمته جوامع الكلم وافرغت فى خاطره اداب العرب والعجم * وخرجت له من حد الافهام * الى حد الالهام * لكنت فيه عن قضاء حق من حقوق الفقيه قاصرا * ولكان وقوعى دون ادنى مواجبه على ظاهرا * ولكن الاقرار عذر قوى * كما ان الانكار ذنب طوى * وقدكان هذا الولد اديبا مجملا *

فصار بحمد الله تعالى اديبا مفصلا * وكان اغر فصار اغر محجلا * وارجو ان الله تعالى يحيي به مآثر سلفه الصالحين * ويعلي به منازل آبائه الاولين * وان يكون اولهم علما وادبا * وان كان آخرهم ميلادا ونسبا *

﴿ وله الى خلف بن احمد ﴾

ورد كتاب الامير متضمنا المواعظ التي تفلق الصخر * والحكم التي تشرح الصدر * يأمرني فيه التأدب بادب الله تعالى والتنجز لموعوده ويشير علي بان اتدرع درعا من التماسك * ترد عني داعية التهالك * وفهمته ولعمري ان الرزيئة بفلان رحمه الله تعالى وان كانت عظيمة تنسي العظائم * وتوهي العزائم * فان عظة الامير مما يهون الخطب * ويكشف الكرب * ويداوي القلب ولقد ضربني الزمان بحد حسامه * ورماني بانفذ سهامه * فان اجر على سبيلي الاولى في الجزع * وادرع داعية الوجد والهلع * فلعظم خطب الرزية * ولثقل وطأة البلية * ونفوذ السهام النبلية * ولئن استسلمت للقضاء * واستقبلت قبلة الصبر والعزاء * فلبلاغة العظة * ولزوم الحجة * ولما وفق الامير له من مداواة القرحة * ورد ضالة السلوة * على انى اوثر الآخرة على الاولى * واحل التأسي على الاسى * لاكتسب بذلك من رضى الله تعالى في الآجل ذخرا * ومن طاعة الامير في العاجل فخرا * فاكون قد نسقت بين الطاعتين * واستوجبت بهما الثواب في الدارين * ولاكون قد اصبت بمصيبة احاط بها اجران * وابتليت بعسر اكتنفه يسران * فاذا المحنة فرادا * واذا النعمة مثنى * والله تعالى يرحم الماضي رحمة تضيء قبره * وتحط وزره * وتضاعف اجره * وتلحقه بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وعترته * ومواليه وشيعته * ليرتع معه في روضه * ويشرب بيده من حوضه * وليحشر في اعلام اهل دينه * ويعطى كتابه بيمينه * ويطيل عمر الامير حتى تصير خدمه من ابنائه * ويعز نصره حتى يكون خدمه

وحشمه

وحشمه من اولاد اعدائه * ان رأى الامير فى هذه المخاطبة لفظة ينبو عن قبولها طبعه * ويتجافى عن استماعها سمعه * صرف ذلك الى دهش الروعة * وشغل القلب بالفجعة * على انا ان اصبنا فبدولته * وان اخطأنا فلهيبته *

﴿ وكتب الى ابى قاسم بن ابى الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل ﴾

انا اهنئ الدنيا يوم عزلك * كما كنت عزيتها يوم ولايتك * فلئن عد اقبالك فى مثالبها * لقد ذكر ادبارك فى مناقبها * ولئن كانت عوتبت يوم رفعتك * لقد اعتبت يوم وضعتك * وانت والله الجليل يسر بفراقه * والخليل هنئ بطلاقه * ولقد كان معرض النعمة قبيحا عليك * مستغيثا من يديك * كأنك ابا القاسم لم تتول الا لتصديق الاول

وكل ولاية لا بد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

ولم تعزل الا لتترجم عن قول الآخر

ستعزل ان عزلت ولا يساوى * صنيعك فى صديقك نصف فلس

لا بل كأنك ما قلدت الا ليشتد غيظ الاحرار * ويقوى طمع الاشرار * ولتصل زيادة فى ذنوب الايام الى الكرام * وحجة عليها للئام * ولقد خالفت قول الحجاف

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا * يوم الهياج وان علوا لم يضجروا

فلقد ظفرت فلم تضبط نفسك نشاطا * ونكبت فلم تملك استك ضراطا * فضقت عن احتمال الفرحة * كما عجزت عن احتمال الترحة * فلم توجد يوم سعدك شاكرا * ولا يوم نحسك صابرا * فالحمد لله الذى جعل امسك لنا عبرة ويومك لنا نعمة * ولا عدمنا فلكا دار بردك الى قيمتك * وصير حالتك فى وزان آلتك * فلا زلت بعدها غضيض الطرف * راغم الانف * صديقك يرحمك *

وعدوك يظلمك ويتهضمك * اقرب الناس اليك * اكثرهم بكاء عليك * وادناهم منك * اشدهم هربا عنك * والسلام على من قال آمين

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى بعد ابيات استبطأ جوابها ﴾

قد حلت الى حضرة الشيخ ابياتا عاتبته بها * بل اعتبته فيها * وهى عروس كسوتها القوافى * وحليتها المعانى * ولعمرى لقد زففتها الى كفوء كريم * وعرضتها من كرمه على قيم عظيم * فان كانت حظيت ورضيت فبالرفاء والبنين * مائة سنة على مئين * وان كانت الاخرى فقد يصبر الكريم على من لا يحبه * ولا يميل اليه قلبه * والعاقل اذا ابغض انصف * واذا احب الطف * وعلى كل حال ان وجد الشيخ حرة فليسق الى مهرها * وان لم تكن حرة فليوفر على خدرها * وليعلم انى غريمه فيها * وخصمه عنها * والسلام

﴿ وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم ﴾

قد كنت ايها الفقيه عزمت ان اواتر عليك كتبى * وانبئك فيها بخبرى * وافضى اليك بعجرى وبجرى * واستأمنك فى جل احوالى ودقها * وفى باطل اشغالى وحقها * ولكنى عورضت من المحن بما لم يترك لى قلبا يعقل * ولا بنانا يعمل * واقل ما لحقنى غضب الامير على وهذه حالة يفقد بها العقل * ويشيب لها الطفل * ويتوقع معها الموت بل القتل * ولقد نشبت بين اظفار الخوف * وعلقت بحبالة الحتف * فلا انا لما ورآى آمن * ولا لما امامى آمل وما كنت احسب انى انظر الى قبرى * قبل انقضاء عمرى * ولا انى ارى شخص ملك الموت فى حياتى * قبل ان يجئ وقت وفاتى * ولعمرى لقد رأى الحاسد ما كفاه وشفاه * واضحكه منى مثل ما ابكاه * فلئن كان وشى بى الواشى لقد ابلغ * ولئن كان قد تعنى فى افناء اجلى لقد افرغ * ولقد كنت ارجوان يسعى

ما يسع الاحمر و الاسود * ويشملني ما شمل الادنى و الابعد * و لقد اعتذرت فان عذرت * فاليوم قبرت ثم نشرت * وان تكن الاخرى فهذه غدرة الا تكن نفعت * فان صاحبها قد تاه فى البلد فالى اين المهرب من الفلك الدوار * و من القدر الجبار * ومن خطر الليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المتأى عنه واسع * و من المجير من رجل الانام داخل تحت ملكه * و الايام منخرطة فى سلكه * و هل الهارب من المجدود الا كالهارب اليه * وهل الصادر عنه الا كالوارد عليه و من ذا يزاحم ركن الزمان * ومن ذا يبيت على وساد الثعبان * ومن ذا يرجو الدواء و الموت داؤه * و يثق بالاصدقاء و الايام اعداؤه * فلان قد احسن المحضر * و حارب عن القضاء و القدر * وليس الكرم عن مثله ببديع * و لا الجميل من اهل بيته بنزيع * فانما يجرى على عرق جاذب * ويعمل على قياس واجب * و انى لاتلهف عليه تلهف آدم على الجنة * و احبه حب الصحابة للسنة * و اشتاق اليه شوقه الى وجه سؤاله * و اعشقه عشقه لبذل نواله * والسلام

﴿ وكتب الى ابى على البلعمى لما بلغ منه عتبه وخرج توقيعه بالتقريع واللوم ﴾

ذكر الشيخ انى تنقلت بعرضه المصون * وتمندلت بقدره المكنون المخزون * وقد كنت احسب الشيخ امنع على السعاة جانبا من ان يقرعوا صفاة حلمه * ويخترقوا باباطيلهم طريق عزمه و حزمه * و لقد هدم على الوشاة * حصنا كنت اعددته * و حلوا عقدا وثيقا كنت عقدته * و سلبونى علقا نفيسا اشتريته بنفسى لا ابالى * وحاربونى بعدة كنت احسبها انها لى * و لقد كنت ارى البعيد به قريبا منى و اسرى فى الظلماء بضوء رضاه عنى *

فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

و ها انا هارب من نفسى فانها ان غضب الشيخ على * كانت اقرب اعدائى الى *

و منهم لاعضائى فانها عيونه وجواسيسه لدى * و من عاداه الشيخ حاربته نفسه * وزحف اليه نحسه * وصار خير يومه امسه

و لا وساد على سم الاساود لى * و لا قرار على زأر من الاسد

لعن الله من يفسد ذات البين * ويسعى بالنميمة بين المحبين * فلقد حارب بسلاح كليل الا انه قطع * و ضرب بعضد واهية الا انه اوجع * و انما النمائم من سلاح النساء * و من حصون الضعفاء

﴿ وكتب اليه لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه ﴾

لو بغير الماء حلقى شرقا * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

كيف يقدر ابقى الله الشيخ على الدواء * من لا يهتدى الى وجه الداء * وكيف يدارى اعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء * وكيف يعالج علة القرحة العمياء * ام كيف يسرى بلا دليل فى الظلماء * ام يخرج الهارب من بين الارض والسماء * الكريم ايد الله تعالى الشيخ اذا قدر غفر و اذا اوثق اطلق * واذا اسر اعتق * ولقد هربت من الشيخ اليه * وتسلحت بعفوه عليه * و القيت ربقة حياتى و مماتى بيديه * فليذقنى حلاوة رضاه عنى * كما اذاقنى مرارة انتقامه منى * ولتلح على حالى غرة عفوه * كما لاحت عليها مواسب غضبه وسطوه * و ليعلم ان الحر * كريم الظفر * اذا نال اقال * وان العبد لئيم الظفر اذا نال استطال * و ليغتنم التجاوز عن عثرات الاحرار * و لينتهز فرص الاقدار * والحمد لله تعالى الذى اقامه مقام من يرجى ويخشى * و ركب نصابه فى رتبة شاب الزمان و مجدها فتى * و اخلق العالم و ذكرها طرى * فجعله فى الميلاد كريمها و سليلها * و فى الرتبة قدوتها وجليلها * وليعتقد انه قد هابه من استتر * ولم يذنب اليه من اعتذر * و ان من رد عليه عذره فقد خرج الى الشجاعة بعد الجبن * و اخرج ذنبه الى صحن اليقين من ستره الظن * وفق الله تعالى الشيخ

لما يحفظ عليه قلوب اوليائه * وعصمه بما يزيد به فى جماجم اعدائه * وليس بين الموالاة والمعاداة الا لقية بشعه * او لفظة قذعه *

﴿ وكتب الى ابن سمكة القمى وقد اهدى اليه مع كتابه هدية ﴾

لما وردت الناحية تسالبونى تسالب الطرفة * وتهادونى تهادى السمامة ووزنونى بمعيار الامتحان * واجرونى فى ميدان الرجحان و النقصان * فوجدونى بحمد الله تعالى جوادا يجرى ما وجد مذهبا * وهزوا سيفا يقطع ماصادف مضربا * ولقد عاينوا رجلا هون عليهم من قبله * وبغض اليهم من بعده * واجلت الغبرة عن المزور وهوحامد * وعن الزائر وهوشاكر * جلت الى سيدى كذا غير طامع فى قضاء حق من حقوقه على * ولا شق غبار حسنة من حسناته لدى ولو اهديت اليه تاج كسرى * وخراج الدنيا * وخاتم سليمان * وذخيرة الهرمزان * وصدقة البصرة * وجوهر الشمسرة * وكسوة الكعبة * مع الدرة اليتيمة * مع جواهر الخلافة * نعم ولو اتحفته بمال قارون الاسرائيلى * وكنز النطف بن حبر التميمى * وملك عمرو بن حريث المخزومى * ولو كسوته البردة النبوية * واعطيته الشطرنج الكسروية * ولو غرست شجرة طوبى فى داره * واجريت نهر الكوثر على بابه * وجعلت ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فى قبضته * ولو قلت فيه ماقال حسان بن ثابت فى آل جفنة * ومدحته بما مدح به زهير هرم بن سنان بن ابى حارثه * وشهدت له بما شهدت به الخنساء لاخويها صخر ومعوية * وصنفت فيه ما صنفه الجاحظ فى محاسن احمد بن ابى داود الايادى * واغرقت اغراق الامامية فى المهدى * وفضلته تفضيل الشيعة للوصى عليه السلام واعتقدت فيه اعتقاد النصارى فى المسيح اولا * واعتقاد المانوية فى مانى ثانيا * وانقطعت اليه انقطاع الاخطل الى بنى مروان * واعتذرت اليه فى تقصيرى عن مدحته اعتذار النابغة الى النعمان * ثم لم ادع بيتا نادرا * ولا مثلا سائرا * الا جعلته سلكا انظم به محاسنه * وقيدا اقيد به مناقبه * حتى افنى فى ذلك بياض سمرقند

واحق اقلام مصر و واسط واشغل فيه وراق الكوفة و كتاب السواد فانهم منبع هذه الصنعة * ومعدن هذه الحرفة * لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيف الحيرى للطالبين * وتجرد هروان بن ابي حفصة للعباسيين * واتعبت في ذلك الكرام الكاتبين * حتى تركتهم محسودين لاعبين * لما كنت الا مقصرا ولكني اذا قررت عذرى * واقررت بتقصير سيرى * وقصور قدرى * فقد جاوزت عقب الاستزادة وسيدى اعلم بخفايا عقدى * واعرف بحاله عندى * والسلام

﴿ وكتب الى تلميذ له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم ﴾

كتابي وقد خرجت من البلاء * خروج السيف من الجلاء * وبروز البدر من الظلماء * وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لايشتاق اليه * وودعتني وهي مودع لايبكى عليه * والحمد لله تعالى على محنة يجليها * ونعمة ينيلها ويوليها * كنت اتوقع امس كتاب الشيخ بالتسلية * واليوم بالتهنئة * فلم يكاتبني في ايام البرحاء بانها غمته * ولا في ايام الرخاء بانها سرته * وقد اعتذرت عنه الى نفسي * وجادلت عنه قلبي * فقلت اما اخلاله بالاولى فلانه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها * واما تغافله عن الاخرى * فلانه احب ان يوفر على مرتبة السابق الى الابتداء * ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء * لتكون نعم الله تعالى موقوفة من كل جهة * ومحفوفة من كل رتبة * فان كنت احسنت الاعتذار عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان * وليكتب الى بالاستحسان وان كنت اسأت فليخبرني بعذره * فانه اعرف مني بسره * وليرض مني باني حاربت عنه قلبي * واعتذرت عن ذنبه حتى كانه ذنبي * وقلت يا نفس اعذري اخاك * وخذي منه ما اعطاك * فمع اليوم غد * والعود احمد *

﴿ وكتب الى احمد بن شيب ﴾

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم * بل خلقت لبذل الدينار

الدينار و الدرهم * بل خلقت لامساك العنان والعلم * بل خلقت للنعم والنقم * بل خلقت لجميع آداب العرب والعجم * فرويته لما رأيته * وحفظته لما لحظته * ولو انصفته لجعلت الفلك صحيفته * والدهر راويته * ولما اجلت فكرى فيه * واحطت علما بمعانيه * ورتعت بطرفى وخاطرى فى مقاطعه ومباديه * وتفكرت فى رتبة صاحب الجيش فى الرتب * وفى رتبة كتابه فى الكتب * انشدت

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت ان الناس للناس ناقد

ولو انصفت هذا الكتاب لما فرغت منه * الى الجواب عنه * ولكن بعض الاجوبة خدمه * كما ان بعض الابتداآت نعمه *

﴿ وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم ﴾

كتبت ايد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال * خروج المشرفى من الصقال * لا بل خروج البدر من خلل السحاب * وحالى الآن بين الرجا والقناعة متماسكة والحمد لله * وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله * وعلى آله صفوة الله * وصل كتاب صاحب الجيش وافادنى من خبر سلامته ما غفرت له ذنوب الايام الى * وجناياته على * وفهمته فوجدت صاحب الجيش فى غضبه على * رقيق صفحة الاحتمال * قريب غور الصفح والاجمال * مضايقا من حيث تتوسع الكرام * مخالفا لما توجبه الاحلام * يفطن للذنب الخفى * ويتغاضى عن العذر الجلى * لا ينزل فى المكافاة الا على حكم الاعداء * ولا يستقبل بالمعاملة الا قبلة الاستيفاء * ولا يعلم ان للعبيد على الموالى ذمة وان كان عليهم حق * وان للمماليك من طريق العشرة احرار وان لزمهم رق * هذه حالة المملوك فكيف بالحر الذى يأخذ مثل ما اعطى * ويستوفى على قدر ما اوفى * واما انا فانما ادللت على صاحب الجيش لاطرق له على الى الاحتمال * ولاوفر له نصيبه من الفضل والادلال * على انه يحمل التواضع على الكبر * ويميل مع المحاباة

على القدر * فاذا اخذ بنا فى طريق المؤاخذة * وعاشرنا على المكايلة والموازنة * فما له عندى الا السكوت حتى يرضى * والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فانى اظن ان الدهر لا يرضى عن ذلى الا بقتلى * ولا يتوفر من اعناتى * الا عند وفاتى * وهلا حاربنى الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعى للاقران * وكيف صبرى عند الضراب والطعان * ولقد رمانى الادبار بسهم على انى لم البس له جنة * ولم اعد اوقعه عدة * فانى والله لست بالصبور على مس العتاب * ولا بالقلب على وحشة الاحباب * ولانى لست على هجرك جلد القوى ولا على عتبك شاكى السلاح ومن غرائب القضاء * ونوادر اخبار السماء * انى ما قرأت لصاحب الجيش كتابا اطول من هذا طولا * ولا اضفى منه ذيولا * فليت شعرى لم طول هذا التطويل * وجاء بهذا الكلام العريض الطويل * الا انه لم يشف قلبه الا بلوغ النهاية فى الشكاية ام لانه ما وضعنى تحت القلم الا درت على اخلاف كتابته * وانهارت قوافى اجراف خطابته * ام لانه اراد ان يعرفنى انه طويل امد العربدة * مديدنفس الذمة والمحمدة * اذا شاء قال * واذا قال اطال * واذا غضب كان عقابه جليلا * واذا رضى كان ثوابه جزيلا * ولم يبق لى الآن شئ اعلل به قلبى العليل * واداوى به همى الدخيل * الا فرحى بما اسمعه من خبر سلامته فى نفسه نفس الله تعالى مدتها * وفى اسبابها حرس الله تعالى جنبتها * ولقد رضيت بالقليل ونزلت على الربح الطفيف ولكن كل اللباس يلبس العريان * وكل الطعام يأكل الغرثان * واستغفر الله ليس لى سلامة صاحب الجيش بالطفيف * ولا تؤذن الموهبة فيه بالخفيف * ولكن خوفى غضبه قد حيرنى حتى سلبنى عقلى * وحتى صيرنى لا املك قياد قولى * وما اعتذر من هيبتى فى مثل هذا المقام الهائل * ولا الام على دهشتى لهذا الخطب النازل * والشجاعة فى غير مكانها خرق * والجلادة على ما لا يقتضى الحال حمق *

⁂

و

﴿ وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشتكى اليه وزير صاحبه ﴾

قرأت كتاب الشيخ فكاد سرورى بسلامته * لا يفى بندامتى على مفارقته * وذكر الشيخ ما فتحه الله تعالى عليه من ابواب المنن * واغلقه عليه من ابواب المحن * فسبحان من اذا اغلق بابا * فتح ابوابا * و اذا قطع سببا اوصل اسبابا * واذا بخل عباده فخزائنه مفتوحة * و اذا قبضوا ايديهم بالرزق فيده مبسوطة * و انا الى الشيخ مشتاق شوقا لو قسم على القلوب لملأها صبوة * ولم يدع فيها سلوة * وما اشكر نفسى على ان تشتاق الى من لا ترى منه بديلا * ولا تجد الى السلو عنه سبيلا * و يحسب الشيخ ان طرفى بطرفه معقود * و ان باب نسيانه وتناسيه على مسدود * و انى ان اصدرت كتابى اليه بالسلامة مع ان قلبى غير سليم من الالم * و لا صحيح من الوان السقم * فانما اريد بذلك التفاؤل للكتاب * واتباع رسوم الكتاب * فلان قد بلغنى اطنابه فى ذكرى * وتفضيله لى على ابناء عصرى * وهذا سلف اسلفنيه * و انا بمعونة الله تعالى اؤديه * وما ازن نفسى بالصنجة التى بها يزننى * ولا ازينها بالفضل الذى به يزيننى * فان كان كما قال فلعل الفضل دب الى * وخرج من الكمين على * لانى عاشرته فاعدانى فضلا * وهذبنى قولا و فعلا * وانا فى ذلك جنيبته ان قبلنى جنيبه * وخليفته ان قبلنى خليفه * و لقد اغرب ذلك الحر على اهل دهره * وخالف طريقة غيره * حيث ذكرنا ونحن اصدقاء العسرة * و اخوان الفترة * فلم يغيره السلطان * ولم يطغه الشيطان * ولقد شهد له وحده بانه كريم * ومن اللؤم واللوم سليم * على قضية قول ابى تمام

و ان اولى البرايا ان تواسيه * عند السرور لمن آساك فى الحزن
ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وشهادة ابى تمام فى الكرم * تقوم مقام شهادة امة بل امم * ولئن كان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين عند الانبياء و الحكام * فان ابا تمام ذو الشهادتين

عند الاحرار والكرام * ولى على ذلك الولد حق الابوة * كما ان له على حق البنوة * والآباء ابوان ابو ولادة * وابو افادة * فالاول سبب الحياة الجسمانية والآخر سبب الحياة الروحانية * والسلام

﴿ وله الى وزير خوارزمشاه اما نكب ﴾

قد امتدت مدة هذا البلاء * واوهمتنا ان الدار دار البقاء * لا دار الفنا * وصار الخطب فيها سببا من اسباب سوء الظن بالانام * وداعية الى قلة الاستنامة الى الايام * ونصرة لفعال اللئام على الكرام * ولقد عجبت من ذلك الامير كيف استبدل العبيد بالاحرار * وكيف تحول من ظهر الفرس الى ظهر الحمار * كأنه لم يسمع فى الخبر * بدل الاعور * اريد بذلك قول الشاعر

افنيت مذ قلنا غداة اتيتنا * بدل لعمرك من يزيد الاعور

ولما سمعت ايد الله الشيخ بهذه النادرة التى تضحك الثكالى * وتترك العقول حيرى * قلت لا اله الا الله وما اعرف لها فائدة الا انها انطقت الناس بالتوحيد * وان كان على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتحميد * اللهم اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى العجائب * ويتغرب اذا سمع الغرائب * فانه اذا كثر العجب زال التعجب كما قيل

على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

فاما الآن فقد كان ما كان فانى ارى للشيخ ان يلبس للدهر ثوبا من الصبر ثخينا * ويولى حوادثه ركنا من التماسك ركينا * وان تجده الايام حرا * وان تصفيه الحوادث اذا اذاقته مرا * وان يدارى مع ذلك سلطانه * ويصغر بلسانه اساءته * ويكبر احسانه ويروض لسانه فى الخلق على شكره * لئلا يجمح به فى الجلوة الى غيره * فانما ايام المحنة موج من تطأطأ له تخطاه * ومن وقف على طريقه ارداه * ومن قابل ايام الادبار بوجهه صدمته * ومن قاتل عساكر الاقبال فى ايام كرها هزمته * ومن طالب السلطان بالنصفة طلب

صبرا

صبيرا * ومن حاسب على قليل من العتب لقي كسيرا * وآفة الناصح آلته * وعيب الكامل في وقت المحنة دالته * لانه يطالب بثمن نصيحته * ويدل على صاحبه بكفايته * ويعتقد ان طول الخدمة * آكد حرمة * وان تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمة * ولعمري ان ذلك كذلك ولكن الغضب ينسي الحرمات * ويدفن الحسنات * ويخلق للبري جنايات *

وان امير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

﴿ وكتب الى ابي محمد العلوي ﴾

لو لا اني لا احب ان افتتح كتابي الى السيد بعتاب * وان اكلفه الى تكلف حجة وجواب * اوجد سهامي في الملام مسددة * وسيوفي في التقريع محددة * وعلم اني اذا ضربت بلساني لم تقم ضريبتي * واذا رميت لم تنج رميتي * ورد كتاب الشريف ايده الله تعالى وهو الكتاب الشريف كاتبا * السعيد حاملا * المغبوط ناسخا * المحسود راويا * وفيه الكلام الذي لا يبليه الزمان * ولا تمجه الآذان * وقد افرد السيد فيه كل واحد من اوليائه وشيعته بلطف وتناوله من البر والتحفي بطرف غيري وما كنت اعلم اني سكيت الحلبة * ولا اني ساقة الكتيبة * ولا ان اسمي آخر الجريدة * ولعمري ان شيعة السيد لكبار ولكني لا اصغر عنهم وانهم لكثير ولكن مثلي لا يضيع فيهم واعوذ بالله تعالى من الكساد * فانه اخو الفساد * واستجيره من اكون محبا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين * وسقف لا يبقى الا على عمادين * وصفقة لا تتم الا ببيعتين * وان قوما انا صغيرهم لكبار * وان امة ابو ذر شرها لخيار * خرج السيد فخبا نجم العلم وافلت شمس الادب وانهدم ركن السحاب وفل سيف العطاء وغارت عين الاريحية * وانثلم جانب الانسانية * وانهزمت عساكر الكرم * واغبر وجه السيف والقلم * ونضب ماء الحياء * وركدت ريح البهاء * وخرب بنيان العقل * وتضعضع جبل التوحيد والعدل * واخلقت ثياب الافضال والفضل * وتهافت نظم القول والفصل * ودك

جبل السخاء والبذل * وانشد كل من وجد من فقده * ونظر الى ثكل المكارم من بعده * ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد * وانا من بين الجماعة كالواله الثكلى * وكالفاقد الحرى * اقلب طرفى لا ارى من احبه * وفى الدار ممن لا احب كثير * اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خاليه * والى ربوع الفضل عافيه * والى سدة الشرف وقد خلا جنابها * واصطفقت ابوابها * انشدت

واصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الارض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو للكرام انشى نفسا * وللفضل امثل شخصا * اذا ناظره العربى صار اعجميا * واذا ناظره الاعجمى صار عربيا * واذا رآه المعجب بنفسه طلق كبره * وفارق فخره * فهو رفيق الجود وخليله * وزميل الكرم ونزيله * وغرة الدهر وتحجيله * حضرته حضرة الآجال والاموال * لا بل حضرة الاقوال والافعال * لا بل حضرة الرجال والكمال * تنصب اليها مواد الرغبات * وتنشد فيها خيول الطلبات * من تأمله علم ان الله تعالى فرق المحاسن على اهل كل زمان * وجمعها فى زماننا هذا فى انسان * فسبحان من اذا شاء خص بعض عباده بالفضل * ورفع بعض بلاده على بعض بالاهل * من غير ان يكون ظلم احدا او حابى احدا وصف عراقى خراسان فقال * نسوانها كرجالنا * ورجالها كجبالنا * ورايت انا اصفهان فقلت * صبيها كرجلنا * ورجلها ككهلنا * وكهلنا كشيخنا * وشيخها كنبينا * ولم لا تخرج اهل تلك البلدة فى قالب الكمال * ولا يستوفون شرائط الرجال * ولا ينظمون فى طرق القول والفعال * وهم يرون كل يوم واردا * ويشهدون وافدا * ويسمعون نغمه * و يطالعون نعمه * لان فيهم مثابة الجود * وقرارة الوفود * وكعبة الآمال * ومحط رحال الرجال * وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب * ويجلسون فى سدته مع كل ناثر وشاعر * ولا يعدمهم ان ينظروا الى ذى صناعة معاشية او معادية * والى ذى آلة رياضية اوعقلية * فترق السنتهم وتصفو اذهانهم * وتنتزه ابصارهم * وتدق افكارهم * لاقتباسهم علم كل مكان * واستماعهم

تبيان

تبيان كل لسان * ولترددهم بين اللغات المختلفة * و بين الاخلاق المتباينة * فهم يبصرون ويستبصرون * و يرون فيروون * ويسمعون فيحفظون * واين بهم عن ذلك وهم يترددون فى مغيض العلم و الادب * و يتزاولون فى موسم العجم والعرب * وهذا الى ما يسمعونه من كلام الوزير الذى لو سمعته الوحش لانست * ولو خوطبت به الخرس لنطقت * او استدعيت به الطير لنزلت * ومن جالس صاحب صناعة حذقها * ومن طال استماعه الحكم نطقها ونعم المعلم الجوار * و نعم الرسول الاسماع و الابصار * كتاب كذا يجب ان يجعل المنع منه صوانه * و العين بل القلب مكانه * فان الغيرة على الكتب من المكارم * لا بل هى اخت الغيرة على المحارم * و البخل بالعلم على غير اهله * قضاء لحقه ومعرفة لفضله * وانى لاحسد على الورقة من لا احسده على البدرة * و انافس فى حرف او حرفين * ما لا انافس فى دينار او القين * واغار على الادب الكريم * من المتأدب اللئيم *

و ارثى له من موقف السوء عنده * كرثيتى للطرف و العلج راكبه

ولوددت لو ان يكون الادب فى جبهة الاسد * ولو اصبحت الدفاتر فى انياب الاساود و وددت لو ان كتب ورقة بدينار * او كتب دفتر بقنطار * فلا يتأدب الا شجاع كمى * ولا يحرز الدفاتر الا جواد سخى * طولت على السيد واكثرت * وهذيت فيما حررت و اضجرت * ولسان الهذر * ناطق بالضجر * والسلام

﴿ وكتب الى ابى العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله ﴾

قد اسلفت الشيخ من شكرى * ما اوجب عليه صلاح امرى * و السفارة بينى وبين دهرى * و السلف فى الدراهم محظور مستقبح * وفى الشكر مباح مستملح * وحاجتى هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ يسع جلائل الامور و دقائقها وكنت طويت مسألة الشيخ فى ادراج المتاركة * ودخلت فى باب المساكتة * ثم ردنى اليه * انى لم ار معبر الكرم الا عليه * ولا ارى منبع الارزاق الا من يديه * طلب الشيخ شيئا من رسائلى فرحبا بالحج طالب *

واكرم خاطب * ومن سعادة الصهر كرم اختانه * ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف من نظر فى ديوانه * ولو قدرت جلعت الورق من جلدى * بل من صحن خدى * والقلم من بنانى * والمداد من اجفانى * ولامليت هذه النسخة على السفرة البررة ليكتبوه بيد العصمة * ويجلدوه فى بيت الحكمة * بل لو علمت ان مثل الشيخ يطلبه * وان مثل يد الشيخ بسطها الله تعالى بالخيرات تكتبه * لحاسبت عليه قلبي ولسانى ادق حساب * وطالبت شيطانى بتنقيحه وتهذيبه اشد طلاب * ولقلت لخاطرى دقق طرزك * وجود بزك * فان المتاع كريم * والثمن عظيم * وقد قيل الراوية احد الشاعرين * وانا اقول الراوية احد الشعرين

﴿ وكتب الى ابي الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل ﴾

كتابي عن سلامة لا اتهنأ بها الا بسلامة الشيخ والحمد لله تعالى على سلامته * وعلي سلامتي فى جملته * وصلي الله تعالى على سيدنا محمد النبي وعلى عترته * لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمني اليها * وانتظرني لديها * فنزلت منه فى اوسع منزل * وعلى اكرم منزل * اكرمني الشيخ نازلا * وشيعني راحلا * وقضي حق عاجلا وآجلا * وفي الجملة ان الشيخ وجد امرى ميتا فاحياه * ورأى النجاح مني بعيدا فادناه * وصادف اقبالي مريضا فداواه * ولقد اراحني الشيخ ببره * بل اتعبني بشكره * وفرغني بصادق قيامه * لا بل شغلني بتعديد احسانه وانعامه * وخفف ظهرى من ثقل المحن * لا بل اثقله باعباء المنن * واحياني بتحقيق الرجاء * لا بل اماتني بفرط الحياء * فانا له بعد اليوم عتيق * واسير بل طليق * ومن انقذ انسانا من الفقر * وانتاشه من مخالب الدهر * وفكه من اسار العصر * فقد اعتقه من الرق الاكبر * ونجاه من الموت الاحمر * والرق رقان * رق الملك ورق الهوان * والاسر اسران * اسر العدو واسر الزمان * ولست ارضى لشكر السيد لساني ولا بناني * ولا استصلح لذكر مآثره وآثاره كلامي * فاني

ولا

ولا كفران لله كابل شفرة الكلام * سليم وقع الاقلام * قصير رشاء اللسان * قريب غور البيان * ولكنى استعين فى ذلك بالسنة اصدقائى * واقلام معارفى واودائى * فنجتمع عليه * ونهدى ما نلفقه بيننا اليه * لا زال الشيخ للاحرار عضدا * ولسانا ويدا * وعمادا معتمدا * ولا زالت الالسن عليه بالثناء ناطقة * والقلوب على مودته متطابقة * والشهادات بالفضل له متناسقة * ولا زالت اولياؤه مستدرين بافيائه * منيخين بافنائه وعفائه * مستعلين به على اعدائه * وجعلنى الله فداه ان كنت اصلح لفدائه * واحسن عنى جزاه اذ كان اوسع لجزائه * واطال بقاءه اذ كان بقاء المكارم فى بقائه *

﴿ وكتب الى ابى سعيد المتوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة ﴾

وردت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى * وخضت غمار المهالك والردى * ونظرت الى الآخرة وانا فى الدنيا واول ما مر بى سوء الدخول على ظهر الحمار ومعاشرة الحمار * على ان الحمار ايضا حمار * الا انه قصير الاذنين يمشى على رجلين * وكأنى كنت بين حمارين * الا انى كنت بين جنسين غير انى ادركت المراد * وحمدت المراد * وساعدنى الزمان وما كاد * ومن تعلق بذيل المقبل اقبل * ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل * فها انا ذا للشيخ صنيعة ولامره تابع وجنيبة وظيفتى * فى الملأ شكره * وفى الخلاء ذكره * والسلام

﴿ وله اليه ﴾

قضيت بهذه الناحية حاجتى * وعمرت بعد الخراب حالتى * اذ سرت اليها ممتطيا عناية الشيخ بى * ومرافقا نظره لى * ولولا سكون قلبى الى حفظه على ما ورائى * وقيامه دونى فى وجوه اعدائى * لما تقدمت الا وقلبى

متأخر ولا اقبلت الى مقصدي الا وعزمي متذبذب * فان القلب اذا اشتغل بما وراءه لم ينفذ رأيه فيما امامه * والرجل اذا قيدها عقال الوجل * لم تنطلق نحو مظنة الامل * فسبحان من ذخر لي كنزا * ووهب لي من جانبه شرفا وعزا * وجعلني اطير بجناحيه * واتناول ما اريد من يديه * واذا مات ملكي احياه * واذا تبلد بختي امضاه * واذا سخط على دهري ارضاه * فلا جرم لقد ملكني ملكا لا تحل عقدته * ولا تخاف عهدته * لا سلبني الله تعالى النعمة ببقائه * ولا نزع عني ثوب الجمال ببهائه *

﴿ وكتب الى فقيه هراة بعد ان خرج منها عليلا ﴾

تأخرت كتبي عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة القلة صغراها * والعقلة وسطاها * والغيبة كبراها * وما لي عذر في واحدة منهن * ولا منهن كلهن * ولكن المحجوج بكل شيء ينطق * والغريق بكل حبل يتعلق * ولقد عققت الود * وظلمت العهد * ونصبت جنبي للملام * واستهدفت لسهام الكلام وكأني بعساكر العتاب وقد زحفت الى * وحملت علي * والتقريع على مقدمته * والتوبيخ على ساقته * والهجر الصرف على مجنبته * فارقت تلك الناحية والحمى رفيقي وزميلي * والنافض عديلي ونزيلي * وقد ودعت الدنيا * وحصلت في مخالب ابي يحيى * حي اليأس والوسواس * ميت النفس والانفاس * لا تطاوعني يدي ورجلي * ولا يساعدني لساني وعقلي * ابعد شيء عني الحياة * واقرب شيء الى الوفاة * ولا اظن عمري الا حسوة طائر * او لفتة ناظر * ثم ساق الله تعالى الى عافية اخرجت من الكمين * ولم تحبس لي في الظنون * فجاء اسمي من جريدة الموتى * ورجعت الى الاولى من الاخرى * وعاش الامل * ومات الوجل * ولولا اني معتزلي لقلت تأخر الاجل * فالحمد لله تعالى الذي قرب الاجل ثم اخره * واورده حوض المنية ثم اصدره * لا بل اماته ثم انشره * وحقيق ان يشكر ربا اذا ابتلى عوض الاجر * واذا غفر عرض للزيادة بالشكر * حمدا يتصل امداده * ولا يفنى اعداده *

و

﴿ وكتب الى تلميذ له ورد عليه كتابه بانه عليل ﴾

وصل كتابك ياسيدي فسرني نظري اليه * ثم غمني اطلاعي عليه * لما تضمنه من ذكر علتك * جعل الله تعالى اولها كفارة وآخرها عافية * ولا اعدمك على الاولى اجرا * وعلى الاخرى شكرا * وبودي لو قرب على متناول عيادتك * فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض اعباء علتك * فلقد خصني من هذه العلة قسم كقسمك * ومرض قلبي لمرض جسمك * واظن اني لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وانا اعل منك فاني بحمد الله تعالى جلد على اوجاع اعضائي * غير جلد على اوجاع اصدقائي * ينبو عني سهم الدهر اذا رماني * وينفذ في اذا رمى اخواني * فاقرب سهامه مني * ابعد سهامه عني * كما ان ابعدها عني * اقربها مني * شفاك الله وعافاك * وكفاني فيك المحذور وكفاك * ورفع جنبك * وغفر ذنبك * وشرح قلبك * واعلى كعبك *

﴿ وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا ﴾

وصل التفاح في طيب نشرك * وحلاوة نظمك ونثرك * وحسن ذكرك * وكان اعبق من كل طيب غير خلقك * واحسن من كل حسن غير خلقك * وعدتني سرعة انكفائك * وذكرت افراقك من دائك * فما ادري على اي الخبرين كان شكري لله تعالى اكثر عددا * واكثف مددا * وباية البشارتين كانت نفسي اسر * وعيني اقر * صدق الله هذه البشرى * واتم عليك هذه النعمى * وها انا قد مددت الى الطريق عيني * واخذت اعد الخطى بينك وبيني * احسب كل انسان رسولا * وكل شخص كتابا الى محمولا * فجعل الله تعالى اتحافنا بنفسك * ولا احرمنا حظنا من انسك *

﴿ وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة ﴾

تأخر عني كتاب شيخي حتى نسيت ايام المراسلة * وصرت ارى في المنام اوقات المكاتبة والمواصلة * وحتى ظننت ان الاقلام قد حفيت * وان القراطيس قد فنيت * وان الكتابة قد نسيت * وان المطالعة والمفاوضة قد طويت * وان المداد قد صار في جبهة الاسد * او يجلب من السويس الابعد * وان الدواة قد اصبحت تامية * وان الدولة قد عادت اعجمية * ثم راجعت فناظرت نفسي * فوجدت الذنب مقسوما بينه وبيني * فتحملت حصته منه * وانفردت بجميعه عنه * وذلك اني خرجت وسافرت هذه السفرة * فوقعت في الخال فترة * والغائب ملقى وملق * ومنسي اومتناسى * فلان كان افقر من الانبياء * فان فقرآهم اكثر من الاغنياء * واعرى من الحية * وانقى كيسا من الراحة * يده صفر * ومنزله قفر * وغدآوه الخوى * وعشاؤه الطوى * ووطاؤه الارض * وغطاؤه السماء * وادامه التشهي * وطعامه التمني * وراحته زوجته * ورجله مطيته * لا يرى الدرهم الا في المنام * ولا يحس الدينار الا بالاوهام * ولا يشبع الا في اضغاث احلام * بابه مجلس الغرماء * وذيله متعلق الخصماء * قد ضرب عليه الخذلان رواقا * وبنى فوقه الادبار طاقا * ونشر عليه الرزق * وحرمه الخالق والخلق * واسع المنى * ضيق الغنى * افرغ دارا من فؤاد ام موسى عليه السلام لو مرت به الريح لاخذ منها * ولو زار الذباب لطمع فيها * خصيب العين * جديب البطن * لان العين تشبع بنظاره * ولا يشبع البطن الا عن حقيقه * كأن الارزاق قسمت ورزقه غائب * وكأن البخوت وضعت وبخته هارب * وكأن الفلك يعاديه * والدهر يناويه * وكأنه اثكل الرزق ولدا * اوكسر له رجلا ويدا * فعمدت اليه فجبرت كسره * وطردت عنه فقره * وحاربت دهره * وزففته زف الهدى الى متى * وعللته تعليل الصبي بالمنى * ورأيت حاله قد انحرفت انحرافا لا يتدارك * وانحلت انحلالا لا يتماسك * فلم ازل ارفو خرقها * وارتق فتقها * واجلو عنها صدأ الادبار * واغسل عن اطرافها وضر العسر والاقتار

والاقتار * فما هو الا ان رأى بيده الدرهم والدينار * وطوى مراحل العسر الى اليسار * حتى نسي نفسه * وجحد امسه * وتطاول بيد قصيرة * وتعظم بنفس حقيرة * وقلب على مجن غادر * وصافح نعمتي عليه بيد كافر * وقبح اقماءه لي وكان حسنا * وخشن مسه علي وكان لينا * فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بادب الله تبارك وجهله حق رزق الله تقدس رددته الى قيمته * وجعلت نقمته في وزن نعمته * ونزعت عنه قميص عافية اساء لبسه واستعماله * ولم يعرف له بهاءه وجماله * وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت * ورددت اليه روحه وقد ابتدأ يموت * فمن رآني فليتهم على الدرهم يديه * وليوكل به عينيه * وليجعل وكيله نفسه * وقهرمانه كيسه * وشريكه قفله * وحارسه عقله * وخادمه خاتمه * وصديقه صناديقه * وليعلم ان درهمه اذا فارقه لم يرجع اليه * واذا صافح يد غيره لم يصافح يديه * واذا اعطى اباه او اخاه فقد زاد في عدد اعدائه * كما نقص من عدد اصدقائه * ومن اراد ان يشتري الاعداء بماله * وان يحارب يمينه بشماله * فليخالف طريقي * ولا يقبل نصيحتي *

﴿ وكتب الى صاحب ديوان الحضرة ﴾

كتابي الى الشيخ من الديوان * وانا فيه ملتحف بالحرمان * مشتمل بالذل والهوان * قاعد بين النقصان والخسران * عن يميني مستخرجان * وعن يساري وكيلان * والحمد الله على تصاريف الدهر واحواله * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله * قد احفيت قلمي ويدي في كتبي الى الشيخ اخطب نظره لي * وانشد ما اضللته من عنايته بي * فلم يعطف على عطفه * ولم يشغل بحاجتي طرفه * واذا اداري مصمت لا يسمع الدعوى * ولا يقبل الرقى * وما اشكو الا نحسي * ولا اهجو الا نفسي * وما خصمي غير حرماني * ولا قرني الا زماني * ورد علينا فلان * ونحن نيام نوم الامنة * وسكارى سكر الثروة * ومتكئون على فراش العدل والنصفة * فما زال يقبح

علينا ابواب المظالم * ويحتلب فينا ضرعي الدنانير والدراهم * ويسير في بلادنا سيرة لا يسيرها السنور في الفار * ولا يستحيرها المسلمون في الكفار * حتى افتقر الاغنياء * وانكشف الفقرآء * وحتى ترك الدهقان ضيعته * وجحد صاحب الغلة غلته * وحتى اخرب البلاد * بل اخرب العباد * وحتى شوق الى الآخرة اهل الدنيا * وحبب الفقر الى اهل الغنى * وحتى نشف الزرع والضرع * واهلك الحرث والنسل * وحتى لقب بالجراد * وكنى ابا الفساد * وصار الدرهم في ايامه * اقل من الصدق في كلامه * وصار الامن في اعماله * اعز من السداد في افعاله * فليته اذ اوحش الرجال * حصل المال * وليته اذ ضيع المال * ارضى الرجال * ولكنه حرم الاثنين * فافلس من الجهتين * والله ما الذئب في الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين * ولا السوس في الخز في الصيف عنده الا من المحسنين * ولا الحجاج بن يوسف الثقفي في اهل العراق الا اول العادلين * ولا يحسب الاثيم في اهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين * ولا فرعون في بني اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين * فان كنا به معاقبين فقد تقضى مدة العقاب * وتختم صفحة العذاب * وان كان الفلك غلط به * والزمان اخطأ فيه * فقد راجع الغالط حسه * ويحاسب المخطئ نفسه * فيجبر ماكسر * ويتلافى ما بدر * والسلام

﴿ وكتب الى ابي الوفا صاحب جيش عضد الدولة ﴾

كتابي وانا بما يبلغني من صالح اعمال الشيخ مغتبط ومسرور * وبما يعرفه الزمان واهله من اعتضادي به مصون وموفور * والله تعالى على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور * التطفل وان كان محظورا في غير مواطنه * فانه مباح في اماكنه * وان كان في بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا * فانه في بعضها يجمع فخرا وذخرا * ورب فعل يصاب به وقته فيكون سنة * وهو في غير وقته بدعة * وقد تطفلت على الشيخ بهذه الاحرف اخطب بها

مودتي

مودتى عليه واسأله ان يرسم لى فى لسانى وقلبى رسما * ويختم عليهما ختما *
وصرت وكيله فيهما فهما على غيره حمى لا يقرب * وبحيرة لا تحلب ولا تركب *
ولما نظرت الى آثار الشيخ على الاحرار * ونشرت طراز محاسنه فى ايدى
القاصدين والزوار * واقيمت له عندى بالفضل شهادة الاخبار والاشعار *
وهما شاهدا عدل * بكل نقص وفضل * ثم لما رأيت نفسى غفلا من سمة
مودته * وعطلا من جمال عشرته * حيث لها من ان يحمى عليها ورد
مورود * ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود * وعجبت من سحاب اخطأنى
جوده وهو صيب وبحر عدانى سيله وهو مفعم

وبدر اضاء الافق شرقا ومغربا * وموضع رجلى منه اسود مظلم

﴿ وله الى ابى الحارث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الجبل وقد ارسله يستدعى كتابه ﴾

مكاتبة مثلى الامير سوء ادب ودعة * وقلة حياء ومسكة * وتركى مكاتبته
بعد ما امكنتنى وقرب متناولها منى تضييع لفرصة من فرص العز * ونهزة
من نهز الفوز * والعاقل يختار خير الشرين * ويميل مع اعدل الشقين *
لم ازل ايد الله تعالى الامير اقترح على دهرى ان يسعدنى * وعلى عمرى ان
يسعفنى * فاتعلق من تلك الخدمة بطرف * واتوصل الى تلك الحضرة بسبب
ويأبى الدهر الا ان يحلئنى عن ورد احوم عليه برجائى * ويغلق على بابا
استفتحه بدعائى * فلما غلبنى الدهر على مرادى * وخالف بين طريق
اصدارى وايرادى * رضيت من المائدة باللقمة * ومن الفضل بالبلغة *
وسلكت مع بختى طريق المصانعة * اذ كان قد سد على طريق المصادرة *
وقلت لا اقل من ان ادس اسمى فى اسماء خدم تلك الحضرة الجليلة * واترب
يدى بغبار تلك الصنائع الجليلة * واخدم ذلك السيد قولا * وان كنت لم ارزق
خدمته فعلا * واكاتبه غائبا * اذ كنت لا اصل اليه حاضرا * فكتبت هذه

الاحرف اصل حبلى بحبله * واعرض بها نفسى لفضله * وانا اخرج الى الامير من عهدة هذه السلعة * واشهد نى وسط فى هـذه الصنعة * فان الهيبة تحصر بنان الكاتب * وتعقل لسان الخاطب * فكيف حالهـا مع المتكاتب * وانا شاكر للامير وان كنت لم ارد بحره * ولم احتلب دره * لما سمعته من شكر الشـاكرين لفضله * ومن اطباق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله * لا بل شكرى له عن غيرى اعظم * والحق لى فيه الزم * لانى لو شكرته عن نفسى شكرته عن انسان * واحتجت فى ذلك الى لسان * واذا شكرته عن الناس شكرته عن امة * واحتجت الى السنة جمة * على اننى اطرى الحسام اذا مضى * وان كان يوم الروع غيرى حامله * جزى الله تعالى الامير عن الجود خيرا فقد اقام له سوقا كانت كاسده * واهب منه ريحا كانت راكده * واحيى منه ارضا كانت هامده * ولقد سلك الامير من الكرم طريقا يستوحش فيها لقلة سالكها * وعمر للمعروف دارا لا يستأنس بها لعدم ساكنها * وبيته فى قفارها * لدروس آثارها * وانهدام منارها * اعانه الله تعالى على صعوبة الطريق * وقلة الرفيق * والهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم * ويقرب عليه مصافاة المكارم * فبالصبر تنال العلى * وعند الصباح يحمد القوم السرى *

﴿ وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة ﴾

تأخر كتابى عنك يا ولدى لانى كرهت ان اكاتبك عن فكر متشعب * وقلب متقلب * واردت ان اخلى خاطرى لجوابك * وان اقضى بذلك حق كتابك * فنى صيانة صاحب الكتاب * ان لا يتجوز له فى الجواب * على ان مصون كلامى عند مثلك غير مبتذل * ومدخر برى عندك ليس بمستعمـل * ولا لوم على المقتر * اذا حمل ما عنده من اليسير الى المياسير * وقد بذل جهده * واتى اقصى ما عنده *

* * *

وله

﴿ وله الى كاتب بعض الامرآء وقد ورد عليه كتابه يشكو فيه الجرب ﴾

وقفت على ما شكاه سيدي من العلة شفاه الله تعالى منها * وعوضه الصحة عنها * ووددت لو قبلتني العلة فدآءه * وامكنني ان اقرض سيدي شفآءه * فكنت انقل اليه الصحة نقلا * وابذل له ما عندي من العافية بذلا * الجرب حكة عافى الله تعالى سيدي منها مادتها يبوسة وحرارة ووقود والتهاب * تمدهما الذي يقتبسان منه طعام وشراب * وفضلة فدفتها الطبيعة الى الظاهر * ودفع الله تعالى شرها عن الباطن * وعسكر من عساكر البلاء * تمده القذارة وتهدمه الطهارة * وتنقص منه البرودة والرطوبة * كما تزيد فيه اليبوسة والحرارة * ومن داوى ظاهره * وترك باطنه * فانما بل حائطا ووراءه النار الموقدة * ورش على سطح بيت فيه الشرار المبثوثة * ويقعد تحت قول الاول

خليلي داويتما ظاهرا * فمن ذا يداوي جوى باطنا

وكيف تقطع مادة نار تطفى عن ظاهر الجسد * وهي تتوقد في باطن الكبد * وكيف يزول دآء سمه مكايله * وترياقه موازنه * وكيف يصح جسم حميته دوآؤه * وغذآؤه دآؤه * وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم * او يفي صغير البناء بكبير الهدم * وكيف يرجو الشفآء من لا يضبط شهوته * ولا يملك يده * ولا يهاجر حبيبه * وطعامه وشرابه * حتى لا يراهما الا خلسة * ولا يذوق منهما الا بلغة * ارى لسيدي ان يصبر على الجوع مع مرارته * وعلى العطش مع حرارته * وان يقتصر من الطعام على ما يكون في اوسط طبقات الرطوبة * وفي اعدل موازين البرودة * ولا بد من هجر اللحم والفاكهة ولا سبيل الى اطرافه فاما البقول فيجب ان لا ترى ولو في المنام * ولا تمس ولو بالاوهام * والسمك وما ناسبه بلية * واللبن وما خرج منه منية * حتى اذا حس في معدته بالخلاء * ووقف من طبيعته على الصفاء * ومن اخلاط جسمه بالاعتدال والاستوآء * استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس فضول السودآء * وتخرج خبايا الصفرآء * وتقمع سلطان البلغم *

وتصفى كدورة الدم * فاذا انجلى عنه خمار ضعفها * وتقشعت غيابة سكرها * امدها بفصاد يخص به الاكحل فانه نهر العروق * والطريق الذى يفضى منه الى كل طريق * تصعد اليه السفلى * وتنزل عليه العليا * وتلتقى عليه الاولى والاخرى * فاذا فرغ منه * وخرج باذن الله تعالى سليما عنه * وعلم انه لم يبق من العارض الا هباؤه * ومن الخوف الا زبله وجفاؤه * يعالج حينئذ باللطوخ التى تغسل ظاهر الجسم * ويجلو صدأ السقم * ولا ينسين الاستكثار من الغسل والاغتسال * ومباشرة الماء الحار على كل حال * فان الجرب فى حيز الحرارة * كما ان الماء فى حيز البرودة * والبارد اذا لقى الحار اطفى بعضه * وان لم يقطع اصله * والضد اذا زاحم الضد وهن سلطانه * وان لم يهدم اركانه * وملاك الامر الحمية فانه لا يكون قوى الحمية الا من كان قوى الحمية * ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيمية * وانخلع عن ربقة الانسانية * وحق على العاقل ان يأكل ليعيش * لا يعيش ليأكل * وكفى بالمرء عارا ان يكون صريع مأكله * وقتيل انامله * وان يجنى بعضه على كله * ويعين فرعه على اصله * فكم من لقمة اتلفت نفس حر * وكم من اكلة منعت اكلات دهر * وكم من حلاوة تحتها مرارة الموت * وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت * وكم من شهوة ذهبت بنفس لا تقوى لها العساكر * وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر * وهدمت عمرا هدمت به اعمار * وخربت بخرابه بيوت بل امصار * والعلل كلها وان لم يشملها اسم * ويجمعها حكم * فهى متباينة الاقدار * متمايزة المقدار * متخالفة الطبقات فى باب النقيصة والعيار * فعلة العشق دليل على لطف الغريزة والترجم عن الرقة الروحانية * وعن النفس الخاصة الانسانية * وعلة النقرس على التنعم والقعود * وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود * وعلى ان صاحبها مخدوم مكفى * اوملك حظى * وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد * وعلى التفريط فى العلاج والتفقد * تنطق بان صاحبها ضعيف المنة فى التوقى * اسير فى يد الحرص والتشهى * غاش لنفسه * قليل البقيا

على

على روحه * وكيف يحفظ اصدقاءه * من لا يحفظ اعضاءه * وكيف يبقى على غيره * من لا يبقى على نفسه * وكيف يؤتمن على من لا يتماين عنه * من لا يؤتمن على بعض منه * وهذه علة تكسب صاحبها خزيا وحياء * وتورثه خجلا واسترخاء * ينظر الى الناس بعين المريب * ويتستر عنهم كتستر المعيب * تنفر عنه الطباع وتستقذره النفوس * وتنبو عن مواكلته العيون * واقل ما يصيبه انه يحرم آلة المطاعم وهى يداه * والة اللقاء والزيارة وهى رجلاه ولو لم يكن من دقائق آفاتها * ومن عجيب هباتها * الا انها تشيخ الفتيان * وتمسخ الانسان * وتجعله اميا بعد ان كان غيرامى * واعجميا وليس باعجمى * تنفر عن نفسه نفسه * وتهرب من فراشه عرسه * ويتباعد عنه اقرب الناس منه لقد كانت جديرة ان يحتشد لدوائها * وتبذل الرغائب فى افنائها ثم هى ربع من ارباع الخذلان * وقسم من اقسام الحرمان * قال الشاعر

اعاذك الله من اشياء اربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وما ظن سيدى بداء قد سارت به الامثال * وقيلت فيه دون سائر الادواء الاقوال * قال رؤبة وقد ذكر علة * هى اعدى من الجرب * عند العرب *

﴿ وقال ابو تمام ﴾

لما رأت اختها بالامس قد خربت * كان الخراب لها اعدى من الجرب

﴿ وقال لبيد ﴾

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فجعله رأس الادواء * ووصفه بانه غاية البلاء * وانما ذكرت فيه ما ذكرت لازيد سيدى فيه فى الهرب منه رغبة * وفى الصبر عليه زهادة * من الله تعالى على سيدنا بالشفاء * وجعل عهده بهذا الداء * آخر عهده بالادواء * انه طبيب الاطباء * وخالق الداء والدواء * وكاشف البلاء *

* * *

﴿ وله الى قاضى الرى ابى الحسن الهمدانى ﴾

قد ملأت مسمع قاضى القضاة ايده الله تعالى بكتبي اليه فى الحاجات وانى لاعلم انى قد دللت عليه حتى امللت * واوجفت حتى اجحفت * ولكنى اتطير بنعمة الله تعالى عليه من ان اعرضهـا لليأس منها * وانسى جوابهـا برد الناس عنها * والسـلام

﴿ وله الى ابى المعالى وزير صاحب الجبل ﴾

وصل كتاب الشيخ بعد ان احتلمت به وسنـان * وهذيت بذكره يقظان * فلمـا رأيته خررت له ساجدا * وشكرت الله تعالى باديا وعائدا * والحمـد لله تعالى الذى ارانى محنة الشيخ قد ادبرت بقفا مبتور * ودولته قد اقبلت بوجه مسرور * وادال ايام سعده على ايام نحسه * وابعد ما بين الحوادث وبين نفسه وجعل يومه خيرا من امسـه * وشر من المحنة كثرة الشامتين * وخير من انكشافها كثرة الشاكرين * فان الذى يشمت بالناس فى وقت الرحمة لئيم * وان الذى يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم * والشيخ بحمد الله تعالى ومنه لمـا امتحن انطق الله تعالى بالدعاء له السنا * وابكى بالشفقة عليه اعينا * لا زال البكاء بعد هذا مقصورا على عيون اعدآءه فان اعدآء * الفاضل اعدآء فضله واضداده اضداد فعله * وكل امرئ صديق امثاله وشكله *

﴿ وله الى سعيد بن سمكة ﴾

نظرت الى ذنبي الـذى استحققت به الهجران * وتقصيت طرق افعالى لاقف منها على الفعل الذى اوجب الحرمان * فوجدت نفسى قد كلفت الشيخ حوائج وحملت اليه بالغرائر الرسـائل والسفـاتج * ولو تركت مكاتبتى الى الشيخ نقية

الاطراف

الاطراف من وضر السؤال * خفيفة الاكتاف من ثقل الادلال * لاتجلى على بالقال * من لا يخل على بالمال * وضايقنى فى العرض اليسير * من لايضايق فى الجوهر الكثير * ليزلنى الشيخ ايده الله تعالى من قلبه * حيث ازلتنى الثقة به وليضعنى من نفسه بحيث وضعنى الود منه * و ليعلم انى سيفه الذى لايفله طول الضرب * ولا يمله مراس الحرب * و اسانه الذى يذب عنه فى الملا * و يدعو له فى الخلا * واخوه الذى ان لم تصرفه اخوة الولاد * صرفته اخوة الوداد * و يجاوز ذلك الى الممازجة والاتحاد * فلان قداستشارنى فى مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم بساط الشيخ صدره * و افق هو بدره * وان ماتفرق فيهم من الفضل ففيه متجمع * وعنه متفرع *

﴿ وله الى ابى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته ﴾

ابلغ قتادة غير سائله * جزل العطاء وعاجل الشكم
انى شكرتك للعشيرة اذ * جاءت اليك برقة العظم

المحمدة اطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنة * كما ان المذمة لنفسها قبيحة منقصة * والمحسن الى الناس كلهم حبيب * و من القلوب كلها قريب * يمدحونه وان لم يحسن اليهم * ويشكرونه وان لم يفضل عليهم * كما ان المسئ فى النفوس صغير و ان كثر مالا و حالا * وقبيح و ان حسن زينا و جمالا * على هذا اسست البنية * وعليه وضعت الفطرة * و فيه اتفقت الخاصة و العامة * ثم ان الاحسان و ان كان كله حسنا على طبقات * كما ان الاساءة سيئة وان كانت كلها على درجات * فمن اصاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها * ولا يعز ثمرها * واسداه الى كريم يرب الصنيعة بلسانه * و يخرج الاحسان فى موضع استحسانه فقد سددت رميته * و اصيبت رمينه * و زكا صنعه * ونما ربعه * و ما اعرف اهل بيت احسن لموضع الصنائع ارتيادا * واجود لاهلها انتقادا * و اصوب

لها اصدارا و ايرادا * من اهل بيت الشيخ ابقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم
وجمل بهم مكانهم وزمانهم * والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج
وعلى منوالهم نسج * فصنائعه فى قوالب الحمد والشكر * وعلى طريق الاجر
والذخر * لا يقع الا بين الشرف والثواب * ولا يوجد الا بين العلوم
و الآداب * فهو ككافل الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا * او يحكم
مهرا * او كبائع الجوهرة النفيسة لا يبرزها حتى يرى ثمنا * او يأمن غبنا *
والجواد محتكر بر * لا محتكر بر * و الكريم تاجر جمال * وان لم يكن تاجر
مال * و الحر وقاية الحر من فقره * وسلاحه على دهره * ولله تعالى بقايا
من عباده * فى بلاده * خلقهم ليعيش بهم العاسر * ويشد بازرهم الفاقر *
ويحيى بحياتهم المعالى و المآثر * فهم ملح الارض اذا فسدت * وعمارة الدنيا
اذا خربت * ومعرض الايام و الليالى اذا حشدت * بلغنى ما صنعه الشيخ مع
فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم * و بره الجسيم * و لم اتعجب من ولد
تقبل قبلة الوالد * ومن طريف نازع التالد * ومن غصن من اغصان
الشرف * نما على عرقه فى السلف * ومن نفس رضعت ثدى المكارم * وربيت فى
حجر الاكارم * فجرت على سنن اوائلها * و احيت فضائلهم بفضائلها * وانما
تعجبت من حسن ما تحرى الشيخ لمعروفه وارتاد * ومن صواب ما عزا واراد
فما اكثر من اخطأ بصنعه طريق المصنع * وخالف بزرعه موضع المزرع * وما
اكثر من يلد معروفه فلا ينجب مما ولد * ولا يبلغ به صاحب المقصد * وهذا
الفقيه بين نفس مقبلة * ودولة مقتبلة * يرمى به كماله و رآه ميلاده * ويسبق
فضله غايات آبائه وجداده * وللدهر فيه مقاصد * وللايام فيه مواعد *
ولله تعالى لطائف سيبلغ الكتاب منها اجله * ويكمل الاقبال فى تمامها عمله *
والحمد لله تعالى الذى جعل الشيخ ممن ابى عذره اصطناعه * واول من بسطت
يده ومد باعه * والحمد لله تعالى الذى جعل همم الشبان مصروفة الى افتراع
ابكار الجوارى * وهمة الشيخ مقصورة على افتراع ابكار المعالى * فالمصطنع
فى الرؤساء و الامراء * كالمصطنع فى العلماء و الفقهاء * فسبحان من وفق بين
الشكلين * وزاوج بين المثلين * وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين *

و

وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طرازاً لايبلى * واوقد من ذكره شهابا لايخفى * فلأ بقوله الاسماع والنواظر * بل القلوب والخواطر * بل الكتب والدفاتر * حتى لم يبق رئيس الا تمنى لو انه كان المصطنع * كما لم يبق فقيه الا تمنى انه كان المصطنع * وحتى قلنا

ما لقينا من احمد بن علي * ترك الناس كلهم فقهاء
اونسينا ما لقينا من جود فضل بن يحيى * ترك الناس كلهم شعراء

لا زال الشيخ يستولي على امد كل غاية بفعله وقوله * وينفرد بحمى كل مكرمة بفضله وطوله * ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان * فيشتريه باغلى الاثمان *

﴿ وكتب الى حاكم سرخس وقد اهدى اليه كتابا طلبه منه ﴾

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولة المجد بقضائها * ونبت عن طالبها فى اقتضائها * فكنت الخصم والحاكم * والمحاكم والمحاكم * وما ابطأ من اجدى * ولا اسرع من اكدى * وارتدت نسخة مقروءة قد عمل فيها القلم والبنان * واثر فيها التبيين والبيان * وسودت حواشيها * ولاحت مياسم التصفح فيها * ولم تكن فى حسن خط كاتبها * ولا جودة تجليد صاحبها * ولا استقامة حروفها * ولا تساوي جوانبها وحروفها * بعد ان سلمت من التحريف والتصحيف * ومن سقم الاشكال والحروف * فاما الكتاب الحسن ظاهرا السقيم باطنا مثل المرأة الحسناء العاهرة يسرك خلقها * ويسوءك خلقها * ومثل الروضة الغناء الوبيئة تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدى النسخة الاولى التى هى مائدة منقوشة ليس عليها دسم * وكيس مصرر ليس فيه درهم * وتقع الثانية خلافها كالعجوز المنتقبة * وكالقفل على الخربة * فانما هى كسوة عامى غبي * اومقبرة يهودى غنى * وتقع فى يدى الثالثة وهى اسم ولا جسم * ودعوى ولا علم * قد قرئت على متعالم غير عالم لا يدرى * ولا يدرى انه لا يدرى * فراؤها زاء * وميمها حاء * وطاؤها

ظلاء * والنظر فيها يعمى * والاستدلال بهـا يعمى * ومن آفة العلم خيانه الوراقين * وتخلف المعلمين * كما ان من آفات الدين * فسق المتكلمين و جهل المتعبدين * وكما ان من آفات الدنيـا كثرة العامه * وقلة الخاصه * و كما ان من آفات الكرم ان الجود ضد المنع * والبخل سبب الجمع * وان المـال فى ايدى البخلاء * دون ايدى الاسخيـاء * وكما ان من آفات الحلم ان الحليم مأمون الجنبه * و ان السفيه منيع الحوزه * قاعد فى خفارة البذاء والسفاهة وكما ان من آفات المال اذا صنته فقد عرضته للفساد * و اذا ابرزته عرضته للنفاد * و كما ان من افات الشكر انك اذا قصرت عن غايته ذممت من اصطنعك * و اذا بلغتها وابلغت فيـه اوهمت من سمعك * وكما ان من آفات الشراب انك اذا اقللت منه حاربت شهوتك * و لم تقض نهمتك * واذا استكثرت اعترضت للاثم والعار * وابرزت صفحتـك للالم و الخمار * وكما ان من آفات المماليك انك اذا باسطتهم افسدت آدابهم و اذهـانهم * واذا قبضتهم افسدت وجوههم و الوانهم * وكما ان من آفات الاصدقاء انك اذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم * و ثقلت عليك نوائبهم وكسبت الاعداء من الاصدقاء * كما يكتسب الداء من الغـذاء * وكما ان من آفات المغنين ان الوسط منهم يميت الطرب * والحاذق ينسى الادب * وكما ان من آفات النساء انهن اذا اكرمن قبح خلقهن * واذا اهن فسد خلقهن * فلما تمـادت مدة الاكداء * ولم اصل الى ما ينظم طرفى مرادى بهبة و لاشراء * نزلت على حكم الامكان * وجريت فى التجوز على رسم الزمان * و حملت نسخة ان لم تكن بتلك السليمه * فليست بتلك السقيمه * و انا اعتذر اليوم منها قولا * و غدا فعلا * و احصل اخرى و لو بروحى ومهجتى * و بدنياى و آخرتى *

﴿ وكتب الى ابى بكر بن سمرد ﴾

انا مترجح بين ان اقر للشيخ بذنبى * واخبره بعيى * وبين ان اسكت سكتة متجاهل و اصفح صفحة متغافل * و ان كنت اعلم ان العفو الى المقر * اسرع منه الى المصر * وان وضر الذنوب لايغسله إلا الاقرار * ولايزيله إلا الاعتذار * و قد

كان

كان فى حكم ما اولانيه من نعمه التى يفنى الابد ولاتفنى * ويخفى الصباح ولاتخفى ويبلى الجديدان ولا تبلى * وينسى القوم ولاتنسى * ان يكون لى عنده كل يوم فتح قاصد * بل رسول وارد * لابل كان ينبغى ان اجعل رسولى اليه الريح فانها اسرع * واكتب اليه فى الفلك فانه اوسع * ولا تطلع شمس الا وجنبها منى اليه كتاب * اما ابتداء و اما جواب * ولكن ابن آدم للنعمة كفور * وبالعهد غدور غافل عن غده ناس لامسه مرتهن بيومه و انى لاحسد كتابى اذا ورد ذلك الباب * ونزل ذلك الجناب * واود لوكنت سطرا فيه * او حاشية من حواشيه * وللايام عندى اذا وصلتنى بالشيخ نعمة لا اسع عنهـا الثواب * ولها على اذا ابعدتنى جناية لا اقدر على كفائها من العقاب * وقد كنت اعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه * وانسبه الى ضعف المسكة والى وهن العزيمة وانحلال العقدة حتى بليت الآن بهجاء الدهر و طالما مدحته * ودفعت الى حربه وطالما صالحته * قدتعرفت للشيخ عوارف حيرتنى بين طيها و نشرها ورجحت بين تركها و ذكرها * فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم النية وان تركت ذكرها لاحت على فعلى سمة الكفران * وعرفت بسوء مجازاة الاحسان * وحرمت نفسى ثمرة اللسان * فقد اسكت الشيخ لسانى من حيث انطقه * وحصر بنانى من حيث اطلقه * وعلى ذلك فقد اسمعت شكرى كل من له اذن * واريت اثر صنيعته كل من له عين * حتى لقد حسدنى عليه الاقارب * وتعرف الى فيه الاجانب * وهابنى ورجانى منذ عرفته الحاضر والغائب * ثم لم يرض ان احسن بى * حتى احسن الى من يرسل اليه بكتبى * فاضاف النعمة الاخرى الى الاولى * وعقب الصنيعة الكبرى بالصغرى * على ان اصغر صنائعه كبير * كما ان اكبر شكرى له صغير * ولكن الكبير من الكبير يصغر * كما ان الصغير من الصغير يكبر * فكيف اهلنى الشيخ لاحسانه ثانيا * ولم اقض حق احسانه باديا * وكيف حملنى النفل وقد تقاعدت عن اداء الفرض وجع على الكل وقد ضعفت عن البعض * وكيف نبع على بره من كل منبع وطلع الى السعد به من كل مطلع * ودب الى احسانه من كل مكمن وكان سبيلى

ان يستوفى على قبل ان اوفى وان احاسب على الحاصل الاول قبل ان يثنى وان اعامل على قول الاول

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

﴿ وكتب الى تلميذ له عن كتاب وقصيدة ﴾

وردت القصيدة الغراء * بل الدرة العذراء * بل الهدية العظيمة * بل الشمسة الكريمة * بل الياقوتة اليتيمة * بل فريدة الدر * بل غرة الغر * بل شمس الكرام * وغريبة الايام * بل الخطاب الجزل * والمنطق الفصل * بل الحسن والاحسان * بل التبيين والبيان * بل واحدة القصائد * وخاتمة القلائد * وآبدة الاوابد * بل اميرة النظم والنثر * بل ملكة الرجز والشعر * بل حسنة الالسن * ونزهة القلوب والاعين * بل بستان الافكار * وجلاء الابصار * بل روح المعانى والمبانى * وهيكل الاوزان والقوافى * بل عقيلة الدهر * ونادرة العصر * وثمرة العمر * وبيضة العقر * وترياق القلب بل ملبسى تاج الفخر * وموِرثى كنز الذخر * لا بل ليلة القدر * فانها خير من الف شهر * وهذه خير من الف بيت شعر * ولم اعن بيت الموزون * انما اردت البيت المسكون * ففتحت كتابها عن النور المنثور * وعن الديباج المنشور * وفليت معانيها عن روح البديع وقلبه * ومبانيها والفاظها عن حب الفصيح وابه * ووردت طرفى منها فى روضة سقاها اللسان وعلها البنان * ونافس عليها زمانها الازمان * ولم يبق فيها بيت الا رويته * ولا فصل الا حكيته * ولا لفظ الا كررته وثنيته * ووددت لو كانت اعضائى كلها للنظر اجفانا * ولاستماعها آذانا * ولتناولها وجسها ايديا وبنانا * بل لو كان الحرف منها سطرا * والكلمة من كلماتها عشرا * فيمتد نفس استيفائها روية ورواية * ويعظم حجم استقصائها فهما ودراية * وغرت عليها من هذا الزمان الذى لا يستحق ان يكون له ولد نجيب * ولا يقتضى ان ينبغ فيه عالم ولا اديب * ثم رجعت الى الحقائق فعلمت ان الانسان ابن امه وابيه * لا ابن ايامه ولياليه

ولياليه * وان قول الناس ابناء الدهر لفظ مجازى * ومعنى اصطلاحى * وقد نحانى فيها من هذا الفضل ما ان طولبت بجذواه * لم اخرج من عهدة دعواه * فان تكن تلك شهادة منك اسلفتنيها * وسلعة جازفت لى فيها * فقد يسامح الكريم اخاه * ويحابى الحرمن بايعه وشاراه * وان كنت تظن فى هذا الفضل فاسأل الله تعالى ان لايجمع بيننا فانك ان شاهدتنى رجعت عن ظنك * ورددت بعينك حكم اذنك * وانا العيدى وان لم يكن لى فى العرب نسب * ولا بينى وبين معد قرابة ولا سبب *

﴿ وكتب الى ابى الفرج خليفة الوزير بنيسابور ﴾

فهمت ما ذكره الشيخ فى كتابه * وجعلت قبولى عظته بدلا من جوابه * ذكر الشيخ انى لو اقتصرت على خدمة الامير * وعلى منادمة الوزير * لمالت الصروف عن جانبى ناكبه * وولت الخطوب عنى هاربه * ولو لم انتجع غير نيسابور بلدا * ولا غير من بها احدا * لعشت معهم عيشة رغدا * وجواب الشيخ تحت قول الاول *

فبالخير لا بالشر فاطلب مودتى * واى فتى يقتال منه الترهب

مثلى ايد الله تعالى الشيخ لايحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب * ولا بالتهديد والترهيب * ولاتجتلب اخلاق مودته بالاذلال * ولايدرك مصون ما عنده بالامتهان والابتذال * وانما يحبس مثلى بالرغبه * ويقيد بقيد من الذهب والفضه ويرضى منه بالحياء والوفاء كفيلين * وبالشكر والتذمم ضمينين * وانما الحر زجاج رقيق ثمين اذا رفق به واستعمل فى موضع مثله زين المجالس * وامتع المجالس * وكان مالا الا انه جمال * وجمالا الا انه مال * واذا خرق به انكسر فعقر الكاسر * واتعب الجابر * وغم السامع والناظر * وكان ينبغى لاصحابنا ان يقتصونى بحبالة الاحسان والبر * ويرتبطونى بحبال الحفاظ والشكر * ويعلموا ان البازى العتيق لا يصبر على الاضاعه * ولايقيم فى بيت المجاعه * ومن اصطنع

اليوم شكر غدا * ومن وجد الاحسان قيدا تقيد * ولكن كيف يصون الادب مغرم * ولم يؤد عنه الى المؤدب درهم * وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته * ويطيب الثمر مع خبث تربته * هيهات ان الفرس الجواد يجرى على عتقه * وان الفرع ينزع الى عرقه *

وان مقامى حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود

ولكن جزى الله اصحابنا عن تعليمهم خيرا * فقد تحولت شكايتى لهم شكرا * وذلك انهم عرفونى بمقادير الكرام * وقاموا فى تأديبى مقام تصاريف الايام * ودبغتنى بهم التجارب * وراضتنى بايديهم النوائب * ولاحت لى ببركاتهم الغيوب والعواقب * فانا تلميذهم فى اتمام الايام * وخريجهم فى معرفة احوال الانام * والمستفيد فيهم وبهم معرفة سياقة ما بين الفعل والكلام فكيف لا اشكر قوما افادونى عقلا * وان لم يفيدونى نيلا * وزادونى ادبا * وان لم يزيدونى نشبا * وعهدى وانا بالعراق مفيد * فاصبحت وانا بخراسان مستفيد * وهذه الزيادة من عطايا هذه الحضرة وهذه النادرة التى توجهت الى من بركات هذه الدولة والسلام

﴿ وكتب الى كثير بن احمد لما هرب الى الرى ﴾

ورد على كتاب الشيخ وفهمته * والمواعيد التى اراد الشيخ ان يسحرنى برقاها * ويخدعنى عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها * فقد طلبت عنها ثوابا * ولها جوابا * فلم اجد غير قول عبيد

لا اعرفنك بعد الموت تندبنى * وفى حياتى ما زودتنى زادا

انا ايد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور دارا * واخترت سلطانها من الملوك جارا * حتى جعلتها بيتا اعمره * والدنيا جسرا اعبره * لآمن بها على مالى وولدى بعد مماتى * ولا اخاف بها على روحى وعرضى فى حياتى * ولو علمت انى اسام خدمة من ليس له اثر على * واصادر على نعمة لم تصل الى * لفارقت

دار

دار الهوان * ولكان جناحي وافر الطيران * ذكر انه تلطف بالامير حتى سل منه السخيمه * وحمله على ان اغتفر الجريمه * وما عرفت لي جرما يحتمل معذره * او ذنبا يستوجب مغفره * فان كان الامير غفر لي ما سأجنيه من السيئات * فهلا شكرني على ماسآتيه من الحسنات * وكيف استحار السلف فيما يتعلق بالعقوبه * ولم يستحره فيما يتعلق بالمثوبه * فان كان مراده ان اقر على نفسي بذنب ما اتيته والتزم بشكر جميل ما اوتيته * فهذه صدقة قد سامنيها والصدقة لاتحل من الفقراء الى الاغنياء * ولا يحسن بالامراء قبولها من الشعراء * وان كان يريد ان يتوصل بهذا الى اجتناء ثمرات اللسان * ويحب ان يسير ذكره في اثناء هذه المعاني الحسان *

فالناس اكيس من ان يحمدوا رجلا * مالم يروا عنده آثار احسان

وانما لساني خادم من خدم فؤادي * ومتصرف من متصرفي مرادي * فكيف يفتات على بشكر غيره * وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره * وانما لسان الشاعر روضة لاتسلف الزهر * حتى تستسلف المطر * ولاتضحك في وجه السماء * الا بعد ان تستوفي حقها من الانداء * وان كان الشيخ يرضى بعد هذا كله بظاهر اعتذاري * فقد خرجت اليه من عهدة اضماري * وانا اقر بذنوب العالمين * حتى بذنب ابليس في الاولين * وحتى بذنب هاروت وماروت في المتقدمين * والتزم كل المعايب حتى معايب بني اميه * ومعايب بغلة ابي دلامه واقول قد ادبني الليل والنهار * وثقفتني الاحوال والاطوار * فابصرت قصدي * وتبينت رشدي * فليلبسني الامير رضاه عن ثوب العزه * كما البسني بغضبه على ثوب الذله * وليجعلني عبدا اعوج فقوم * وجهل فعلم * فلما عرف نفسه * وتلافى بيومه امسه * رد عليه مكانه * ورجع اليه زمانه * فادعى ان النابغة الذبياني ما اعتذر الا عني * ولم يك لسانه الا بضعة مني * وانتحل قول علي بن الجهم

ليس عندي وان تغضبت الا * طاعة حرة وقلب سليم

وانتظار الرضا فان رضا السا * دات عفو وعتبهم تقويم

﴿ وكتب الى رئيس قم ﴾

بسطنى الشيخ ثم انقبض عنى * ودعانى ثم هرب منى * وكان وليس له مثل الاكن خطب الى حر كريمته فلما زفها اليه اغلق عنها بابه * وارخى دونها حجابه * فعرض الصهر للهجنه * والعروس للتهمه * ولعلى اتيت منى * واصبت الشيخ بعينى * لما رأيته قد احيا مواتا من الود * وسبق الى باكورة من كرم العهد * وقد ثبت من ان انظر الى اصدقائى بعين العجب بهم * وارمقهم بما يدعونى الى الحب لهم * لابل سأتعامى عن محاسنهم ان رأيتها * واتغابى عنها وان دريتها * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى مؤدب امير خوزستان ﴾

ذكر الشيخ من غمه بغيبتى فيما كان * وفرحه باوبتى الآن * ما قلبى عليه شاهد * وعلى الشهادة زائد * لانه لا يمين على شاهد * وانا احلف على هذه الشهاده * فاكون قد وفيت بما وعدته من الزياده * ولقد رأيت الاخوان غير شيخى ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه * ويعرضونه على كل من رآه * ومهر هذه الحال قلبى فقد احتوى عليه * وودى فقد تمسك بطرفيه * والاحرار تستعبد بالاحسان * من حيث تستعبد المماليك باغلى الاثمان * على ان المملوك يعتق بلفظه * ويباع فى صفقة ويزول عنه الرق فى لحظه * والحر لا تزيده الايام الا رقا لمن اصطنعه * وتواضعا لمن رفعه * ولقد عجبت من محاسبة الشيخ نفسه عن اصدقائه * ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه * مع انه فى زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان * واعطوا واخذوا اموالهم بالميزان * ومالوا مع الرجحان على النقصان * ورضوا من القلب باللسان * ومن الغيب بالعيان * واذا تبين التاجر كساد السلعه * تجوز فى الصنعه * واذا قل المتاع * فتر البياع * والحمد لله الذى رزقنى من شيخى صديقا يتجمل بقربه * ويوثق بغيبه * ولا يخاف الغير من لسانه ويده * فلا سلبت

هذه

هذه النعمى * ولا حوسبت على هذه الموهبة العظمى * فان الايام قلما رأت بيدي علقا نفيسا الا سلبتني * وقلما اعطتني مما احب شيئا الا حاسبتني * حتى انى لو صادفت الهوآء لجعلته حمى لا يطال جانبه * ولو اختصصت بالماء لصيرته منبعا لا يروى شاربه * فاما الناس فما احصى فيهم عددا ممن ابتعته فباعنى * وحفظته فاضاعنى * واستعنت به على الزمان فاعانه على * واستظهرت بمكانه على الاعداء فكان مقدمهم الى * اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت * واصلح قلوب الناس فقد فسدت * ولا تمتني حتى يبور الجهل * كما بار العقل * ويموت النقص كما مات الفضل *

﴿ وكتب الى ابي سعيد رجاء بن الوليد الاصفهاني ﴾

بشرني كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندي البشائر * وفاتت النظائر * وملأت المسامع والنواظر * فلا زالت امداد صنع الله تعالى له متناسقة * والايام له بما يهوى موافقة * وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة تاب الدهر منها * وخطيئة انكرها ورجع عنها * فان الشيخ يحسن في لباس النعمة * ويقبح في زي المحنة * وان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه اجنبية و يعلم انه اخذها عارية اليسير الذى رسم لى الشيخ به حملت اليه جملته ولو اخذني فيما اخذه مني لاستقللته له واستصغرته دونه والذى ارجع اليه فهو مقسوم بينه وبيني * فان اذن فهوله دوني * حملت الى الخزانة نسخة رسائلي فنصفها مصحف * ونصفها محرف * والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء تجلى على العيون فينضاف قبح الجلوة * الى قبح الكسوة * وتغطى على ظلمة الدواء * ظلمة الوعاء * وتتضاعف السماجة ضعفين * وتقذى العين من لونين * فيصير القلب اسير العين * بلغني ان الشيخ قد اغتم لما ندب لعمل يصغر فيه ويكبر عنه فانكرت ذلك من فعله * وكتبته في هفوات عقله * العمل ايد الله تعالى الشيخ ثوب يحسن بصاحبه * ومركب يجمل براكبه * فالصغير منه بالكبير كبير * والكبير منه بالصغير صغير * وكأني بالتميز وقد

نبع منه نابع * و بدولة الانتقاد و قد طلع من سعودها طالع * و برجالات الحضرة و قد تذاكروا مظان الآجال * و مساقط الرجال * فعثروا باسم الشيخ فردوا عليه رتبته * و قوموه قيمته * و جاء الدهر يعترف بما اقترف * و يأتنف خلاف ما سلف * و انما خدمة السلطان نار * بينما هى شرار * اذ ملأت دارا * و احرقت اوقارا * و صيرت الليل نهارا * و لا صغير من الولاية كما لا كبير من العطلة و السلام

﴿ وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها ﴾

سمعت ارشد الله سعيكم * و جمع على التقوى امركم * ما تكلم به السلطان الذى لا يتحامل الا على العدل * و لا يميل الا على جانب الفضل * و لا يبالى بان يمزق دينه اذا رفا دنياه * و لا يفكر فى ان لا يقدم رضا الله اذا وجد رضاه و انتم و نحن اصلحنا الله و اياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار الاخرى و رغب بنا عن ثواب العاجل * فاعد لنا ثواب الآجل * و قسمنا قسمين قسما مات شهيدا * وقسما عاش شريدا * فالحى يحسد الميت على ما صار اليه * و لا يرغب بنفسه عما جرى اليه * قال امير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام المحن الى شيعتنا اسرع من الماء الى الحدور و هذه مقالة اسست على المحن * و ولد اهلها فى طالع الهزاهز و الفتن * فحياة اهلها نغص * و قلوبهم حشوها غصص * و الايام عليهم متحاملة * و الدنيا عنهم مائلة * فاذا كنا شيعة ائمتنا فى الفرائض و السنن * ومتبعى آثارهم فى كل قبيح وحسن فينبغى ان نتبع آثارهم فى المحن * غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها و على آلها ميراث ابيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة وآخر امير المؤمنين عن الخلافة و سم الحسن رضى الله عنه سرا * و قتل اخوه كرم الله وجهه جهرا * وصلب زيد بن على بالكناسة و قطع رأس زيد بن على فى المعركة و قتل ابناه محمد و ابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسى و مات موسى ابن جعفر فى حبس هرون وسم على بن موسى بيد المأمون و هزم ادريس بفخ

حتى

حتى وقع الى الاندلس فريدا * ومات عيسى بن زيد طريدا شريدا * وقتل يحيى بن عبد الله بعد الامان والايمان * وبعد تاكيد العهود والضمان * هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان * وغير قتل محمد بن زيد والحسن ابن القاسم الداعى على ايدى آل ساسان * وغير ما صنعه ابو الساح (كذا) فى علوية المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز الى سامرا وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلى لابن عمر بن علي حين اخذه بأبويه وقد ستر نفسه * ووارى شخصه * يصانع عن حياته * ويدافع عن وفاته * ولا كما فعله الحسين بن اسمعيل المصعبى بيحيى بن عمر الزيدى خاصة * وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافة * وبحسبكم انه ليست فى بيضة الاسلام بلدة الا وفيها لقتيل طالبى تربة تشارك فى قتلهم الاموى والعباسى * واطبق عليهم العدنانى والقحطانى *

فليس حى من الاحياء نعرفه * من ذى يمان ولا بكر ولا مضر
الا وهم شركاء فى دمائهم * كما تشارك ايسار على جزر

قادتهم الحمية الى المنية * وكرهوا عيش الذلة فماتوا موت العزة * ووثقوا بما لهم فى الدار الباقية * فسخت نفوسهم عن هذه الفانية * ثم لم يشربوا كاسا من الموت الا شربها شيعتهم واولياؤهم * ولا قاسوا لونا من الشدائد الا قاساه انصارهم واتباعهم * داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينة ونفى ابا ذر الغفارى الى الربذة واشخص عامر بن عبد قيس التميمى * وغرب الاشتر النخعى * وعدى ابن حاتم الطائى * وسير عمر بن زرارة الى الشام ونفى كميل بن زياد الى العراق وجفا ابى بن كعب واقصاه * وعادى محمد بن حذيفة وناواه * وعمل فى دم محمد ابن سالم ما عمل * وفعل مع كعب ذى الحطبة ما فعل * واتبعه فى سيرته بنو امية يقتلون من حاربهم * ويغدرون بمن سالمهم * لا يحفلون المهاجرى * ولا يصونون الانصارى * ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا * ومال الله دولا * يهدمون الكعبة * ويستعبدون الصحابة * ويعطلون الصلاة الموقوتة ويختمون اعناق الاحرار * ويسيرون فى حرم المسلمين سيرتهم فى حرم الكفار * واذا فسق الاموى فلم يأت بالضلالة * عن كلالة * قتل معاوية حجر بن عدى الكندى * وعمرو بن الحمق الخزاعى بعد

الايمان المؤكدة والمواثيق المغلظة و قتل زياد بن سمية الالوف من شيعة الكوفة و شيعة البصرة صبرا * و اوسعهم حبسا و اسرا * حتى قبض الله معاوية على اسوأ اعماله * وختم عمره بشر احواله * فاتبعه ابنه يجهز على جرحاه و يقتل ابناء قتلاه * الى ان قتل هانئ بن عروة المرادى و مسلم بن عقيل الهاشمى اولا وعقب بالحرث بن زياد الرياحى * وبابى موسى عمرو بن قرظة الانصارى * و حبيب بن مظهر الاسدى * وسعيد بن عبد الله الحنفى * و نافع بن هلال الجملى * و حنظلة بن اسعد الشامى * و عابس بن ابى شبيب الشاكرى * فى نيف و سبعين من جماعة شيعة وامر بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم سلط عليهم الدعى ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل * و يقتلهم الوان القتل * حتى اجتث الله دابره ثقيل الظهر بدمائهم التى سفك * عظيم التبعة بحريمهم الذى انتهك * فانتبهت لنصرة اهل البيت طائفة اراد الله ان يخرجهم من عهدة ما صنعوا و يغسل عنهم و ضر ما اجترحوا فصمدوا صمد الفئة الباغية * و طلبوا بدم الشهيد الدعى ابن الزانية * لا يزيدهم قلة عددهم * وانقطاع مددهم * وكثرة سواد اهل الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل و القتال * وسخاء بالنفوس و الاموال * حتى قتل سليمان بن صرد الخزاعى و المسيب بن نجبة الفزارى وعبد الله بن وال التيمى فى رجال من خيار المؤمنين * و علية التابعين * و مصابيح الانام * و فرسان الاسلام * ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز و العراق فقتل المختار * بعد ان شفى الاوتار * و ادرك الثار * و افنى الاشرار * وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله * و نفى خاذله * و اتبعوه ابا عمر بن كيسان و احمر بن شميط و رفاعة بن يزيد و السائب بن مالك و عبد الله بن كامل و تلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثلة * ويقتلونهم شر قتلة * حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد * و اراح من اخيه مصعب العباد * فقتلهما عبد الملك بن مروان كذلك تولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد بن الحنفية و اراد احراقه * و نفى عبد الله بن العباس و اكثر ارهاقه * فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج على الحجازيين * ثم على العراقيين *

فتلعب

فتلعب بالهاشميين و اخاف الفاطميين * و قتل شيعة على و محا آثار بيت النبى
و جرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعى * و اتصل البلاء مدة ملك المروانية
الى الايام العباسية حتى اذا اراد الله ان يختم مدتهم بأكثر آثامهم * و يجعل اعظم
ذنوبهم فى آخر ايامهم * بعث على بقية الحق المهمل * و الدين المعطل * زيد
ابن على فخذله منافقوا اهل العراق و قتله احزاب اهل الشام و قتل معه من
شيعته نصر بن خزيمة الاسدى * و معاوية بن اسحق الانصارى * و جماعة
من شايعه و تابعه و حتى من زوجه و ادناه و حتى من كلمه و ماشاه * فلما انتهكوا
ذلك الحريم * و اقترفوا ذلك الاثم العظيم * غضب الله عليهم * و انتزع
الملك منهم * فبعث عليهم ابا مجرم * لا ابا مسلم * فنظر لا نظر الله اليه الى
صلابة العلوية و الى لين العباسية فترك تقاه * و اتبع هواه * و باع آخرته
بدنياه * و افتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابى
طالب و سلط طواغيت خراسان * و خوارج سجستان * و اكراد اصفهان
على آل ابى طالب يقتلهم تحت كل حجر و مدر و يطلبهم فى كل سهل و جبل
حتى سلط عليه * احب الناس اليه * فقتله كما قتل الناس فى طاعته * واخذه
بما اخذ الناس فى بيعته * و لم ينفعه ان اسخط الله برضاه * و ان ركب مالا
يهواه * و خلت من الدوانيق الدنيا فخبط فيها عسفا * و تقضى فيها جورا
و حيفا * الى ان مات وقد امتلأت سجونه باهل بيت الرسالة و معدن الطيب
و الطهارة قد تتبع غائبهم و تلقط حاضرهم * حتى قتل عبد الله بن محمد بن
عبدالله الحسنى بالسند على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبى فما ظنك بمن قرب
متناوله عليه * ولان مسه على يديه * و هذا قليل فى جنب ما قتله هرون
منهم * و فعله موسى قبله بهم * فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن على بفخ
من موسى و ما اتفق على على بن الافطس الحسينى من هارون و ما جرى
على احمد بن على الزيدى و على القاسم بن على الحسنى من حبسه و على
ابن غسان حاضر الخزاعى حين اخذ من قبله و الجملة ان هرون مات
و قد حصد شجرة النبوة و اقتلع غرس الامامة و انتم اصلحكم الله
اعظم نصيبا فى الدين من الاعمش فقد شتموه * و من شريك فقد عزلوه *

و من هشام بن الحكم فقد اخافوه * و من على بن يقطين فقد اتهموه * فاما في الصدر الاول فقد قتل زيد بن صرحان العبدى * و عوقب عثمان بن حنيف الانصارى * وخفى حارثة بن قدامة السعدى * و جندب بن زهير الازدى * و شريح بن هانئ المرادى * و مالك بن كعب الارحبي * و معقل بن قيس الرياحى * و الحرث الاعور الهمدانى * و ابو الطفيل الكنانى * وما فيهم الا من خر على وجهه قتيلا * او عاش فى بيته ذليلا * يسمع شتمة الوصى فلا ينكر * و يرى قتلة الاوصياء و اولادهم فلا يغير * ولايخفى عليكم حرج عامتهم وحيرتهم كجابر الجعفى * وكرشيد الهجرى و كزرارة بن اعين و كفلان و ابى فلان ليس الا انهم رحمهم الله كانوا يتولون اولياء الله * و يتبرؤن من اعداء الله * و كفى به جرما عظيما عندهم * و عيبا كبيرا بينهم * و قل فى بنى العباس فانك ستجد بحمد الله تعالى مقالا * و جل فى عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا * يجبى فيؤهم فيفرق على الديلمى و التركى * و يحمل الى المغربى و الفرغانى * و يموت امام من ائمة الهدى و سيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته * و لا تجصص مقبرته * و يموت ضراط لهم او لاعب * او مسخرة او ضارب * فتحضر جنازاته العدول والقضاء * و يعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاه * و يسلم فيهم من يعرفونه دهريا او سوفسطائيا و لايتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا و مانويا ويقتلون من عرفوه شيعيا * و يسفكون دم من سمى ابنه عليا * ولو لم يقتل من شيعة اهل البيت غير المعلى بن حبيش قتيل داود بن على و لو لم يحبس فيهم غير ابى تراب المروزى لكان ذلك جرحا لا يبرأ * و نائرة لا تطفأ * و صدعا لايلتئم * وجرحا لايلتحم * و كفاهم ان شعراء قريش قالوا فى الجاهلية اشعارا يهجون بها امير المؤمنين عليه السلام و يعارضون فيها اشعار المسلمين فحملت اشعارهم * ودونت اخبارهم * و رواها الرواة مثل الواقدى ووهب بن منبه التميمى و مثل الكلبى و الشرقى بن القطامى والهيثم بن عدى وداب بن الكنانى و ان بعض شعراء الشيعة يتكلم فى ذكر مناقب الوصى بل فى ذكر معجزات النبى صلى الله عليه و سلم فيقطع لسانه * و يمزق ديوانه * كما فعل بعبد الله بن عمار البرقى * وكما اريد بالكميت بن زيد الاسدى * و كما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمرى * و كما دمر على دعبل بن على الخزاعى * مع

رفقتهم

رفقتهم من مروان بن ابي حفصة اليمامي ومن علي بن الجهم الشامي
ليس الا لغلوهما في النصب * واستيجابهما مقت الرب * حتى ان هرون ابن
الخيزران * وجعفرا المتوكل على الشيطان لا على الرحمن * كانا لا يعطيان مالا
ولا يبذلان نوالا * الا لمن شتم آل ابي طالب * ونصر مذهب النواصب * مثل
عبد الله بن مصعب الزبيري ووهب بن وهب البختري ومن الشعراء مثل
مروان بن ابي حفصة الاموي ومن الادباء مثل عبد الملك بن قريب الاصمعي
فاما في ايام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري وابي السمط بن ابي الجون
الاموي وابن ابي الشوارب العبشمي ونحن ارشدكم الله قد تمسكنا بالعروة
الوثقى وآثرنا الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا * ولن يحل
لنا عقيدة نقصان من نقص منا * فان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ
كلمة من الله * ووصية من رسول الله * يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين ومع اليوم غد * وبعد السبت احد * قال عمار بن ياسر رضي الله عنه
يوم صفين لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل
ولقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم * ولقد تأخر امر الاسلام ثم تقدم *
الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولولا محنة المؤمنين
وقلتهم * ودولة الكافرين وكثرتهم * لما امتلأت جهنم حتى تقول هل
من مزيد ولما قال الله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ولما تبين الجزوع من
الصبور * ولا عرف الشكور من الكفور * ولما استحق المطيع الاجر *
ولا احتقب العاصي الوزر * فان اصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه * وان رجعت
لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه * وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة * ولكل
مقامة مقالة * فعند المحن الصبر * وعند النعم الشكر * ولقد شتم امير المؤمنين
عليه السلام على المنابر الف شهر * فما شككنا في وصيته * وكذب محمد صلى
الله عليه وسلم بضع عشرة سنة فما اتهمناه في نبوته * وعاش ابليس مدة تزيد على
المدد فلم نرتب في لعنته * وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته * ودفعنا
الى قتل الامام بعد الامام والرضا بعد الرضا ولا مرية عندنا في صحة امامته * وكان
وعد الله مفعولا * وكان امر الله قدرا مقدورا * كلا سوف تعلمون * ثم كلا

سوف تعلمون * و سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون * و لتعلمن نبأه بعد حين اعلموا رحمكم الله ان بنى امية الشجرة الملعونة فى القرآن * و اتباع الطاغوت و الشيطان * جهدوا فى دفن محاسن الوصى و استأجروا من كذب فى الاحاديث على النبى صلى الله عليه وسلم و حولوا الجوار الى بيت المقدس عن المدينة و الخلافة زعموا الى دمشق عن الكوفة و بذلوا فى طمس هذا الامر الاموال * و قلدوا عليه الاعمال * و اصطنعوا فيه الرجال * فما قدروا على دفن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه و على آله و لا على تحريف آية من كتاب الله تعالى و لا على دس احد من اعداء الله فى اولياء الله و لقد كان ينادى على رؤسهم بفضائل العترة و يبكت بعضهم بعضا بالدليل و الحجة لا تنفع فى ذلك هيبة * و لايمنع منه رغبة و لا رهبة * والحق عزيز و ان استذل اهله * وكثير و ان قل حزبه * و الباطل ذليل و ان رصع بالشبهة و قبيح و ان غطى وجهه بكل مليح قال عبد الرحمن بن الحكم و هو من انفس بنى امية

سمية امسى نسلها عدد الحصا * و بنت رسول الله ليس لها نسل

﴿ غيره ﴾

لعن الله من يسب عليا * و حسينا من سوقة و امام

و قال ابو دهبل الجمحى فى ذمة سلطان بنى امية و ولاية آل بنى سفيان

تبيت السكارى من امية نوما * و بالطف قتلى ما ينام حميمها

﴿ و قال سليمان بن قتة ﴾

و ان قتيل الطف من آل هاشم * اذل رقاب المسلمين فذلت

و قال الكميت بن زيد و هو جار خالد بن عبد الله القسرى

فقل لبنى امية حيث حلوا * و ان خفت المهند و القطيعا

اجاع الله من اشبعتموه * واشبع من بجوركم اجيعا

و ما هذا باعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤسهم بالحق و ان كرهوه و بتفضيل من نقصوه و قتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل

آل النبي ومن يحبهم * يتطامنون مخافة القتل
ومن النصارى واليهود وهم * من امة التوحيد فى ازل

وقال دعبل بن على وهو صنيعة بنى العباس وشاعرهم

ألم ترانى مذ ثمانين حجة * اروح واغدو دائم الحسرات
ارى فيأهم فى غيرهم متقسما * وايديهم من فيئهم صفرات

وقال على بن العباس الرومى وهو مولى المعتصم

تأليت ان لا يبرح المرء منكم * يتل على حر الجبين فيعفج
كذاك بنو العباس تصبر منكم * ويصبر للسيف الكمى المدجج
لكل اوان للنبي محمد * قتيل زكى بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولى وهو كاتب القوم وعاملهم فى الرضا لما قربه المأمون

يمن عليكم باموالكم * وتعطون من مائة واحدا

وكيف لا ينتقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا وسغبا * ويملأون ديار الترك والديلم فضة وذهبا * يستنصرون المغربى والفرغانى * ويجفون المهاجرى والانصارى * ويولون انباط السواد وزارتهم * وقلف العجم والطماطم قيادتهم * ويمنعون آل ابى طالب ميراث امهم وفئ جدهم يشتهى العلوى الاكلة فيحرمها * ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها * وخراج مصر والاهواز * وصدقات الحرمين والحجاز * تصرف الى ابن ابى مريم المدينى والى ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى والى زلزل الضارب وبرصوما الزامر واقطاع بختيشوع النصرانى قوت اهل بلد وجارى بغا التركى والافشين الاشروسنى كفاية امة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسرى باثنى عشر الف سرية * والسيد من سادات اهل البيت يتعفف بزنجية اوسندية * وصفوة مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة * وعلى موائد المخانثة * وعلى طعمة الكلابين * ورسوم القرادين * وعلى مخارق وعلوية المغنى وعلى زرزر وعمر بن بانة الملهى ويبخلون على الفاطمى باكلة اوشربة * ويصارفونه

على دانق وحبة * ويشترون العوادة بالبدر * ويجرون لها ما يفي برزق عسكر * والقوم الذين احل لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة والمحبة يتكففون ضرا * ويهلكون فقرا * ويرهن احدهم سيفه * ويبيع ثوبه * وينظر الى فيئه بعين مريضة * ويتشدد على دهره بنفس ضعيفة * ليس له ذنب الا ان جده النبي وابوه الوصي وامه فاطمة وجدته خديجة ومذهبه الايمان * وامامه القرآن * وحقوقه مصروفة الى القهرمانة والمضرطة * والى المغمزة والى المزررة * وخمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية والقردة * وعلى عرس اللعبة واللعبة * وعلى مربية الرحلة * وماذا اقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات * واجروا لعباده وذويه الجرايات * وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان * ونفوا زواره الى البلدان * وما اصف من قوم هم نطف السكارى في ارحام القيان * وماذا يقال في اهل بيت منهم نبغ البغا وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدى مغنيا وكان المتوكل مؤنثا موضعا وكان المعتز مخنثا وكان ابن زبيدة معتوها مفركا وقتل المأمون اخاه * وقتل المنتصر اباه * وسم موسى ابن المهدى امه * وسم المعتضد عمه * ولقد كانت في بني امية مخازى تذكر * ومعايب تؤثر * كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين * وامه آكلة اكباد الشهداء الطاهرين * وابنه يزيد القرود * مربي الفهود * وهادم الكعبة ومنهب المدينة وقاتل العترة * وصاحب يوم الحرة * وكان مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبي صلى الله عليه وعلى آله اباه وهو في صلبه * فلحقته لعنة الله ربه * وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي طبقت الارض وشملت * وهي توليته الحجاج بن يوسف الثقفي فاتك العباد * وقاتل العباد * ومبيد الاوتاد * ومخرب البلاد * وخبيث امة محمد الذي جاءت به النذر * وورد فيه الاثر * وكان الوليد جبار بني اميه وولى الحجاج على المشرق وقرة بن شريك على المغرب وكان سليمان صاحب البطن الذي قتله بطنه كظه ومات بشما وتخمة وكان يزيد صاحب سلامة وحبابة الذي نسخ الجهاد بالخمر * وقصر ايام خلافته على العود والزمر * واول من اغلى سعر المغنيات * واعلن

بالفاحشات

بالفاحشات * و ماذا اقول فيمن اعرق فيه مروان من جانب * و يزيد بن معاوية من جانب * فهو ملعون بين ملعونين * و عريق فى الكفر بين كافرين * و كان هشام قاتل زيد بن على مولى يوسف بن عمر الثقفى و كان الوليد بن يزيد خليع بنى مروان * الكافر بالرحمن * الممزق بالسهام القرآن * و اول من قال الشعر فى نفى الايمان * و جاهر بالفسوق و العصيان * و الذى غشى امهات اولاد ابيه * وقذف بغشيان اخيه * و هذه المثالب مع عظمها وكثرتها * و مع قبحها و شنعتها * صغيرة و قليلة فى جنب مثالب بنى العباس الذين بنوا مدينة الجبارين و فرقوا فى الملاهى و المعاصى اموال المسلمين * هؤلاء ارشدكم الله الائمة المهديون الراشدون * الذين قضوا بالحق و به يعدلون * بذلك يقف خطيب جمعتهم * و بذلك تقوم صلاة جماعتهم * فان كسد التشيع بخراسان فقد نفق بالحجاز و الحرمين * و الشام و العراقين * و بالجزيرة و الثغرين * و بالجبل و اليغارين * و ان تحامل علينا وزير او اميرفانا نتوكل على الامير الذى لايعزل * و على القاضى الذى لم يزل يعدل * و على الحكم الذى لايقبل رشوة و لايطلب سجلا و لاشهادة و اياه تعالى نحمد على طهارة المولد * وطيب المحتد * و نسأله ان لايكلنا الى انفسنا * ولايحاسبنا على مقتضى عملنا * و ان يعيذنا من رعونة الحشوية * و من لجاج الحرورية * و شك الواقفية * و ارجاء الحنفية * و تخالف اقوال الشافعية * و مكابرة البكرية * و نصب المالكية * و اجبار الجهمية والنجارية * و كسل الراوندية * و روايات الكيسانية * وجحد العثمانية * و تشبيه الحنبلية وكذب الغلاة الخطابية * و ان لا يحشرنا على نصب اصفهانى ولا على بغض لاهل البيت طوسى اوشاشى ولا على ارجاء كوفى و لا على تشبيه قمى و لا على جهل شامى و لا على تحنبل بغدادى و لا على قول بالباطن مغربى و لا على عشق لابى حنيفة بلخى ولا على تناقض فى القول حجازى و لا على مروق سجزى ولا غلو فى التشيع كرخى و ان يحشرنا فى زمرة من احببناه * و يرزقنا شفاعة من تولیناه * اذا دعا كل اناس بامامهم * و ساق كل فريق تحت لوائهم * انه سميع قريب * يسمع و يستجيب *

﴿ وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته ﴾

فهمت ماذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه * و خطبته لسلمه بعد حربه * وما لا يزال يتعرفه مذ انقشعت ضبابة المحنة * و انجلت غمرة الكربة * من صنع جديد فى ظل يوم جديد لم نحتسبه * وعز مؤتنف فى كل ساعة لم نحسبه * حتى لقد اشتم روائح عود الحال الى مائها الناضب * و رجوع الدولة الى رسمها الذاهب * و هكذا تكون احوال المقبلين * فان الايام اذا غلطت فجنت عليهم * رجعت فاعتذرت اليهم * و الزمان اذا حاربهم خطأً سالمهم عمدا فيستوفون فى الحالين اجر المحنة * و زيادة بشكر النعمة * ثم يختم لهم بما هو بحالهم اليق و بمقاديرهم اوفق * والمحنة اذا كانت بعرض زوال فليست بمحنة * كما ان النعمة اذا انتظر بها التغير فليست بنعمة * و انما الانسان من دهره فى يومه فاما امسه فافل * و اما غده فامل * وكل غم سبب السرور فهو سرور * و كل ظلمة كانت طريقا الى النور فهى نور * ومن محاسن ايام المحن ان الانسان يعرف بها غش الاصدقاء * و يقف منها على اوزان الثقات و الاولياء * و يميز بين من هو صديق البلاء * و صديق الرخاء * ومن فوائدها انها تعلم المرء مقدار العافية وتعرفه اخراج زكاة الجاه والدولة وتحلى فى فمه ما يجده بعدها من طعم السلامة ومن منافعها انها تطلع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطلعوا عليها * و تظهر كفاية اناس لولا غيبتهم و حضور البدل منهم لم يهتدوا اليها والآن عرف الشيخ بحقيقته * و وزن بزنته * و وقف السلطان و الرعية على تفصيله و جملته * بحضور غيره و غيبته * و انما يعرف حق الافاضل * من دفع بعدهم الى عشرة الاراذل * و يشد يده بالخاصة * من ابتلى بعده بالعامة و ما اغلى الماء على من فقده * و ارخصه عند من وجده * هذا و قد صقلت هذه الفترة خلائق الشيخ بالتجارب * و وضعت فى يده مرآة النظر فى العواقب * و هذبت افعاله من كل شوب * و غسلت عنه وضر كل عيب * على انه لم يزل مبرأً من كل رذيلة * و مخصوصا بكل فضيلة * ولكن الايام عملها فى التعليم * وخاصتها فى باب التنبيه و التقويم * فالحمد لله الذى رد الى ذلك الامير جماله

و بهاءه

وبهاءه * وعمر بابه وفناءه * وسر شيعته واولياءه * وغم حسدته واعداءه ولم يفجعه بالعلق النفيس الذى لايشترى بالاثمان * ولا يوزن بالميزان * ولا يكال بالقفزان * ولا يرى مثله فى هذا الزمان * كالم ير فى سائر الازمان * ثم الحمد لله الذى حول كتبى من التعزية الى التهنئة واخرج القاضى من ميدان الصبر * الى ميدان الشكر * وجعلنى رطب اللسان بالحمد لله * بعدما كنت رطب اللسان بانا لله * ثم الحمد لله الذى استجاب دعائى * ورحم بكائى وعلمنى كيف تطلب الحاجات * ومتى تستجاب الدعوات * وعرفنى ان الدهر غريم ربما يفى بما يعد * وحبلى ربما تتم فيما تلد * ثم الحمد لله الذى ارانى اهل خوارزم وقد عرفوا رجحان من فقدوه بمن وجدوه * كما عرفوا نقصان من وجدوه بمن كانوا فقدوه * وانشدوا قول حنظلة بن عرادة التميمى

عتبت على سلم فلما فقدته * وعاشرت اقواما رجعت الى سلم

وقول دعبل

وترجعنى اليك وان تناءت * ديارى عنك تجربة الرجال

﴿ وكتب الى رئيس سمرقند ﴾

وصل كتاب سيدى بعد ان كنت ظننت لتأخره ظنونا اعيذه بل اعيذنى بالله من ان تصدق بها فراستى * او تحقق مخيلتى * وظن المحب متوزع * والشفيق بسوء الظن متولع * الكتاب الذى ذكر سيدى لم يصل * ولقد كان الكاغد للجواب عنه موجودا * والكاتب مشهودا * والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلا ممدودا * افهم غير المفهوم وليت شعرى كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك بن السلكة السعدى واوفى بن مطر المازنى وعمر بن براقة الهمدانى والشنفرى الازدى وتأبط شرا الفهمى والسمهرى العكلى ومالك ابن الريب المزنى وشطاط وبرجان وكعب حدر ومالك بن خزيم وعمر الكلب الهذلى * وجحدر البكرى والمنتشر بن وهيب الباهلى * وابو

الشناش الحنظلى * والقتال الكلابى * وابو حردبة والحطيم التميمى * واكتل ورزام الخربان * واسكاب والغداف القاطعان * وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعرقل التميميان وورة الغفارى وحاجر بن عمرو الازدى هؤلاء اصوص العرب وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلبا * ويأخذون كل سفينة غصبا * واما بعد اليوم اذا كتبت الى سيدى كتابا قرأت عليه المعوذتين * وعلقت فى جيده تميمتين * واخذت من حامله كفيلين * احدهما ذو الجناحين * والآخر ذو النورين * حاجتى فى كذا قضيت بسيدى لا زال قيامه بالحوائج يحل ما يعقد * ويسهل ما يشدد * ولا زالت عنايته تفك اسيرا * وتيسر عسيرا * لا جرم لقد كتب على سجل رق * وقلد رقبتى له حقا يوفى على كل حق * وان رجلا نقل هذا الدهر اللئيم من المذمة الى المحمدة * وعلمه انجاز الموعدة * لرجل يحسن ان يغير الشيم * وان يعلم اللئيم الكرم * فلا زلت اتحمل لسيدى عارفة تنضاف الى سائر عوارفه * وآنف صنيع ينضم الى سالفه * حتى تسود حواشى جريدة نعمه على * واياديه الى * فاعمل جريدة غيرها * واضيف اليها مثلها *

﴿ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه ﴾
﴿ يبشره فيه بخلاص وزير خوارزم شاه من المحنة ﴾

كان كتاب صاحب الجيش ورد مشحونا ببشارتين * اوردتا فرحتين * واوجبتا شكرين * احداهما وهى كبراهما خبر سلامته * وسلامة احواله ونعمة الله تعالى عليه فى جملته * والثانية خبر ما اتاح الله تعالى للوزير ابى فلان من الفرج الذى وافى بغتة * وورد على القلوب والاسماع فلتة * فما ادرى باية النعمتين كنت اكبر اعتدادا * واكثرهما لمحاسن الايام تعدادا * وباية البشارتين كان سرورى اكبر حجما * واعظم جرما * ولاية الفرحتين كان قلبى اطرب * ولسانى بشكر الله تعالى ارطب * على ان سلامة صاحب الجيش وان كانت

البشارة

البشارة التى توفى على البشائر * والنعمة التى تربى على النعم البواطن والظواهر * فانها جرت مجرى الثيب اذا كانت منطلعة منشوفة * و متوقعة متوكفة * وردت على شيخ ينتظر موردها * وعلى قلب يتنجز موعدها * وخبر نعمة الله تعالى على ذلك الوزير وقد جرى مجرى بيضة العقر * وقام سماعه مقام افتراع البكر * ورد و القلوب فيه غير طامعة * والنفوس اليه غير منازعة * واليأس قد ارتج باب الرجاء * والبلاء قد نسخ آيات الرخاء * وطول ايام الفترة * قد هزم بجيش الهم جيش المسرة * وكان نعمـة خرجت من بيت نقمة * وفرحة نبتت فى ارض غمة * وخبرا سـارا مر على اذن طالما قرعها خبر البلاء * وعلى عين طالما باتت على السهر واصبحت على البكاء * والسرور اذا خرج من الكمين كان انفس للزينة * والضحك اذا وجد فى ساعة البكاء كان اغرب فى السماع والرؤية * والحمد لله الذى جعل صاحب الجيش يهدى البشائر الى مضاعفة * وينعم على النعم متراكة مترادفة * ويورد على خبر سلامته فى نفسه التى هى اعز النفوس على * ممزوجا بخبر سلامة احب الناس بعده الى * لتكون ريح المسرة قد هبت على جنوبا وشمالا * وجناح الانس والطرب قد رفرف حولى يمينا وشمالا * كأن الخيرات لا تعرف طريقا الى الا من بابه * وكأن البشائر لا تحسن ان تطلع على الا من كتابه وخطابه * وفهمته وعظم اعتدادى بورده لصـاحب الجيش على انى لو انصفته لشكرته بلسانين * واحببته بقلبين * وكتبت بيدى بقلمين * وواليت ايامه ودولته بنفسين * كما انه يحسن الى من جهتين * ويبشرنى من جانبين * ويهدى الى الهدية ذات الطرفين * فاما ان نعمته على مثنى مثنى * ومكافأتى له عنها فرادى * فتلك اذن قسمة ضيزى ولكن متى استوفى فعـل محسن وحال شـاكر * ومتى ربح رئيس على شاعر * ومتى استوى من يطلب سائلا * ومن يطلب نائلا * لا عدمت صـاحب الجيش سيدا وسندا * ومددا وعضدا * وركـنا مؤيدا * وسنانا محددا * وسهما مسـددا * وسيفا مجردا مهندا * وجندا مجندا * وعزا مؤبدا سرمـدا * ولاخلوت منه ابدا *

﴿ وكتب الى خوارزم شاه ﴾

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا ادرى ايهما كان اشد أسرورى بالرسول * ام سرورى بالمحمول * وفهمته ولما عرضته على اصدقائى * صار يحسدنى عليه اعدائى * فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم * ومحاسن الخط بعيونهم علموا ان بخوارزم قوما من النجار الافضل * ومن الطراز الاول * اذا اخذوا الاقلام كتبوا * واذا اخذوا السيوف ضربوا * وان كان الامير رأس الجريدة وفارس الكتيبة ونكتة المسئلة وطراز الكسوة ووجد الرزمة وصدر الدست * واول التخت * وخال الخد ودق اندق ولب اللب ويحسب الامير ان هذا الكتاب وافانى ليلا فاحييت له الليل حب كثير عزة وعشقته عشق جميل بثينة وابغضت له النهار بغض العاشق الفراق * وبغض العروس الطلاق * ولقد تركت الاسماع به مشحونة * والقلوب مفتونة * واتانى خلال ذلك فرح لا يسعنى جلدى منه فرحا * ولا تحملنى اعواد سرجى مرحا * فانشدت

واذا نظرت الى اميرى زادنى * ضنا به نظرى الى الامراء

ولقد قال لى من لا يدع فضلا الا تنقصه * ولا جميلا الا غمصه * هذه كتابة الوزير * لا كتابة الامير * فقلت له ما زدت على ان جعلت الفضل خادمه * والكمال تابعه * ومن خدمه الفضلاء فقد خدمه الفضل * ومن تصرف فى عمله العقلاء فقد تصرف له العقل * وكيف يخدم الفضلاء غير فاضل * ام كيف يرضى الكملة بالمقام على غير كامل * واصدرت الجواب الى حضرة الامير عمرها الله تعالى بوفود الرجاء * وملأ رحابها وابوابها برسل الملوك والرؤساء * وصرف اليها زمام كل رغبة * وثنى نحوها عنان كل رهبة * وجعلت هذه الاحرف جنيبة للجواب وجنائب القول من جنائب الخيل

﴿ وكتب الى العامل على البريد بالاهواز ﴾

كنت ظننت بك يا اخى ظنا كذبه قبح فعلك * وضعف هجرك ووصلك * فانك

فانك لا تعمل فيهما على قياس واجب ولا تصبر منهما على طعام واحد فلا جرم لقد رجعت فى ودى لك وما كنت ارجع فى هبة * وندمت على ثقتى بك وعهدى بى ان لا اندم على حسنة * وهذا ايدك الله تعالى رزقى من كل من اصفيته حبى * و وضعت فى يديه قلبى * فانا ابدا بين صديق اشكوه وقد كنت اشكره * و اعذله و قد كنت اعذره * و ارتجع قلبى منه كرهـا و قد سلمته اليه طوعا حتى لقد اشتغل قلبى بخوف الاصدقاء * عن خوف الاعداء * واشتغل شعرى بالعتاب عن المديح والهجاء * حتى لقد صرت اعد سوء الظن حزما وارى المساهلة غبنا و احسب المكافاة على القبيح عدلا * ومعاشرة الناس بالغش عقلا * و ان كان هذا ليس جميلا فانا فيه تلميذ اصدقائى وهم فى الحمد عليه شركائى *

﴿ وكتب الى ابى حامد بن روزبه اديب قومس ﴾

وصل كتاب شيخى مكتوبا بخط ينطق بغير لسان * ويفصح من غير بيان * احسن من كل شئ غير كلام صاحبه * والطف من كل شئ غير اخلاق كاتبه * القصيدة قد حفظتها لما لحظتها * و رويتها لما رأيتها * و لو اجبت عنها * لسرقت الجواب منها * اذ كانت قد جمعت نشر البديع * وضمت اطراف الرصف والترصيع *ولو فعلت ذلك لكنت قد اهديت الى شيخى من ماله وخلعت عليه من يده و ضربته بسيفه على انى قد طلقنى الشعر ولا اقول طلقته و انما الشعر بالطرب * او بالرغب او بالرهب * و ما بقى شئ يسر به فاطرب * ولا بقى كريم فارغب * ولا بقى وجل فارهب

﴿ وكتب الى ابى زيد جوابا عن كتابه ﴾

وصل يا ولدى كتابك القصير نجدا * المختصر جدا * وفهمته ذكرت انك مشتاق الى اللقاء * ومستبطئ فى ذلك القدر والقضاء * والمسافة بيننا صغيرة

البقعة * ضيقة الرقعة * اذا ذرعت بذراع الهوى * ومسحت بيد الذكرى * وهى بعيدة اذا مسحت بيد التسلى * ونظر اليها بعين التغافل والتناسى * والبعيد قريب اذا التقى العزم والتوفيق * كما ان القريب بعيد اذا التقى التفريط والتعويق * فلا تتعلق باذناب العلل * لو صح منك الهوى ارشدت للحيل *

﴿ وكتب الى ابى حامد ايضا الاديب بقومس ﴾

ورد على كتاب الشيخ وهو اعز كتاب على الا انه كان صغيرا كايام اقائى له * قصيرا كمدة انسى به * على انه لا قليل من البر * ولا صغير من الذكر * على ان صغير البر الطف واطيب * كما ان قليل الذكر اشهى واعذب * عاتبنى الشيخ عتابا انسانى الرعد القاصف * والريح العاصف * والبرق الخاطف * واردت جوابه فعقل لسانى عنه ذكر ايام تفض العزائم * وتسل السخائم * وما كل انسان يعطى السلطان على قلبه فيقلبه * وعلى شيطانه فيغلبه * فلم نزع شيخى قميصا من حسن العشرة ولم يزل يلبسه * واطلق لسانا لم يزل يحبسه * انا بكتاب شيخى اذا ورد على اشد سرورا من المشتاق الى التلاق * بعد طول الفراق * ومن العاشق بالعناق * ومن الاسير بالاطلاق * ومن الفارك بالطلاق * فليتحفنى به * وليؤهلنى له * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب اليه ايضا ﴾

كتبت الى شيخى كتابا سامحت فيه يدى وخاطرى * وغالطت فى انتقاده قلبى وناظرى * لان رسوله كان اعجل من ابر دخل نصفه * ومن عامل حضر مشخصه * ومن حاج لم يبق بينه وبين الموقف سوى ليلة * او بياض غدوة * وهو على فراسخ بعيدة * وفوق مطية بليدة * ومن منهزم رأى خلفه سواد الطلب * وخاف عاقبة فوات الروح والسلب * ومن الحشرى يوم الجمعة وقد سمع الاذان * وركب السلطان * فلازمنى حتى ضغطنى ضغط الغريم * وضبطنى

و ضبطنى ضبط الخصيم * و شغلنى عن بسم الله الرحمن الرحيم * فكتبت و يدى ترتعش * و قلبى ذهل دهش * و انا ارى لشيخى ان يستعمل هـذا الرسول فى جباية المـال * و استحثاث العمال * و اجتلاب الصدقات و الجوال * فانه يحاسب على اللحظة * و يضايق فى اللفظة * و يتقاضى تقاضيا يزهق النفس * و يقطع النفس * فلو عرف ملك الموت سره * لجعـله خليفته و فوض اليـه امره * فانه اكره منه لقاء * و اشد اقتضاء * وحاجتى ان لا يرده شيخى الى فانى ارحم الارض من ثقـله * و احب بطنها و ابغض ظهرها من اجـله * و السلام

﴿ وكتب تعزية الى ابى بكر ﴾

بلغنى ما قاساه شيخى ايده الله تعـالى فى هذه المصيبة من غم يشكى * بل يبكى * و جزع يضنى * بل يفنى * و الموت خطب ثقل حتى خف وكثر حتى قل وهان على الباقى لما رآه بالماضى و على المعزى لما نظره فى المعزى و دخل الجميع تحت قول المتنبى

يدفن بعضنا بعضا و يمشى * اواخرنا على هام الاوالى

و شيخى اعرف بالله * و اقرأ لكتاب الله * و اروى لاخبـار رسول الله * من ان يتأدب بغير ادب الله * و لا يسـلم لقضاء الله * و لكن لمفاجأة المصيبة لذعة يستراح منهـا الى مباثة الصديق * و الى تسلية الاخ الشفيق * فقد يأنس المريض الى العائد و ان علم انه لا يملك شفاءه * و لا يدفع بلاءه * جعلنا الله تعالى ممن يتنجز بالصبر ما وعده من البشرى * و الصلوات و الرحمة و الهدى فانه تعالى ذكره ذكر الصابرين * فقـال اولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و اولئك هم المهتدون * و الهمنا العزاء عما استأثر به * و الشكر على ما اخلف منه * و السلام

﴿ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى ﴾

كتابي و قد عفا بيننا رسم المكاتبة والمراسلة * ونسى اسم المطالعة والمواصلة * والذنب فى ذلك لاحدنا فان كنته فنى المعذرة * و من الشيخ الصفح و المغفرة * و ان كان هو فقد عذرته قبل ان يعتذر * و غفرت ذنبه قبل ان يستغفر * وطفلت عليه بنصبي لسانى نائبا عنه * وخليفة له * وردولدى فلان فنظرت منه وفيه الى ابيه و رأيت الايام قدكسته رداء جمال و كمال * و صقلته بيدى اقبال و اقتبال * و خرجت نجيبا انجل النجباء * و ابنا احيا الآباء * و رأيته

يطلب شأو امرأين قدما حسنا * بذا الملوك وفاتا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ما قدما من صالح سبقا

وما اجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى * وعلى ارتفاعه فى الذروة العليا * و قد رسخ عرقه فى تلك الدرة الكريمة * و فرعت غصونه على تلك الدوحة العميمة * لا بل لو اقام على مربط الشيخ فرس لما اعتددت له ان يكون جوادا * ولوبات فى خزانته سيف لما شكرته على ان يكون حساما * فكيف بولده * ومن هو قطعة من كبده * كانت الايام امتعتنى بلقاء الشيخ مدينة قصيرة كان نهارها لقصره ظهرا و عصرا * و ليلها عتمة و فجرا * فلما شكرتها رجعت فيما وهبت * وندمت على ما صنعت * و ذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فاساء * وندم على ما سبيه من المسرة فساء * و الكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد * و تجاوز الصنع القديم الى الجديد * فان عادت الايام بمثل تلك الغلطة * وظفرت بتلك الفلتة * كتمتها شانى * و شكرتها بضميرى دون لسانى * بلغنى خبر تلك العثرة التى كانت عينا اصابت الاحسان * و عيبا لحق الزمان و السلطان * فزاد ذلك فى جراح الايام بى * وفى وقائعها بقلبي * ثم تذكرت ان الدولة للمحسنين * و العاقبة للمتقين * وان الدهر يخطئ ثم يصيب * ويذنب ثم يتوب * لا يخل على الشيخ بكتبه

فلو

فلو لم استفد منها الا خبر سلامته لكانت الضالة التى تطلب * و العلق الذى لايعار و لايوهب * فكيف وفيها الفاظه التى تشوق العجوز الى شبابها * و الشابة الى احبابها * فما قرأتها قط الا حسد طرفى لسانى على لفظه * و حسد لسانى طرفى على لحظه *

فو الله ما ادرى أزيدت ملاحة * على الخلق ام رأى المحب فلا ادرى

و انا وان كنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق * و لا شاعر الوفاء والصدق * و لا شاعر الصداقة و الود * و لا شاعر الديانة و العقد * لا تتلون اخلاقى الوانا و لا اكون على صديق و من يشكو الى زمانا * و لا اكون اخاه ايام دولته * و عدوه ايام عطلته * و قد غشت المروءات * و انثلمت المودات * و مات الوفاء و الثبات *

﴿ و كتب الى ابن العميد الحاكم ﴾

كتابى الى الشيخ عن سلامة تهنأتها منذ ورد على خبر سلامته * و نعمة اسبغت على منذ وقفت على ما اسبغه الله تعالى عليه من نعمته * ورد على كتاب الشيخ الذى كل سطر من سطوره كتاب * و كل لفظة من الفاظه باب بل ابواب * المفيد باطنه و ظاهره * البديع اوله و آخره * الذى ما ورد على الا حسدنى عليه من رآه بيدى * وود انه لو كانت عيناه عينى * و علم انى قد حويت فى الحظوظ بقسم وافر * وانه قد حصل منها على غبن ظاهر * لا زال الشيخ ابا عذر كل كلمة سائرة * و كل فعلة نادرة * و لا زالت اخلاقه مظنة لحفظ العهد * و محطا لرحال الحمد * و شريعة موروده لزوار المجد * و بابا مفتوحا لمستخرجى الرفد *

فلان قد غضب على وما اعرف لى ذنبا * يستوجب منه عتبا * و لا انسبه مع ذلك الى التجنى * و لا اضع فعله موضع الظلم و التعدى * و لكن من الذنوب ما يظهر لمن رآه * ويخفى على من جناه * و قد يرى الانسان من عيب غيره * مالا يراه من عيوب نفسه * و لذلك قيل

ان المرائى لا ترى * لك عيوب وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لا ترى * لك عيوب نفسك فى هواها

اسأل الشيخ ان يرد على من صلحه ما فقدته * و يوجدنى من عفوه ما نشدته * ليكون قد صار طبيبا لاخلاق اخوانه يداويها من داء الهجران * و يصلحها من فساد الزمان * ولتكون نعمه على متفرقة اغصانها * و متلونة الوانها * فان النعمة اذا تكافأت مذاهبها * و تعادلت جوانبها * اتسع فيها مجال الشكر والذكر * و طالت فيها خطوة النظم و النثر *

﴿ وكتب الى ابى القاسم الابى البندار ﴾

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق * لا بل خروج الآبق * قد كتم اخوانه حاله * ولم يستكفهم اشغاله * وخصنى من بينهم بالقسم الاوفر من الكتمان * لا بل بالقسط الاوفر من الحرمان * و ما كان يضره لو صحبت ركابه * وكثرت بسوادى اصحابه * وقد الزمته الذنب دونى * وان كان مقسوما بينه و بينى * كان ينبغى لى ان اقيم على بابه حارسا * و بكل درب من دروب محلته فارسا * و اتعرف خبر رحيله * و اقف على كثير ما يأتى و قليله * اذا رحل شيعته بجسمى مرحلتين * وبقلبى مائتين * على ان قلبى قد شيعته حيث هو معه فليتفضل برده على * ولينفذه بل يقدمه رسولا قاصدا الى * فان غاية المشيع ان يرجع * وعاقبة الضيف ان يودع * ولا يأخذ قلوب اصدقائه فى مرافق اعماله ولا يكثر بتشيعه سواد اضيافه ولا يتركنى بلا قلب فانى احتاج فى مكاتبته الى قلوب وللنظر فى كتبه الى عيون وللصبر على فراقه الى نفوس ولا يقل هو عندى تذكرة منك * و نائب على بابى عنك * فانما يحتاج الى التذكرة من ينسى * والشيخ بحمد الله تعالى لا ينسى ولا ينسى *

﴿ وكتب الى ابى سمكة بقم ﴾

انا الح على شيخى فى السؤال * واتجاوز خد الادلال * الى حد الاملال * لان

لان الذى اسأله لا يوجد منه عوض * ولا يقوم عنه جوهر ولا عرض *
ومن طلب خطيرا * احتمل كبيرا * وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع *
وبحسب عظم النائل * ضراعة السائل * وليس يرد كتاب شيخى على من هو
اضن منى به * ولا ارغب منى فيه * ولا اروى منى له * ولا اشكر منى عليه *
ولا اتوق منى اليه * واظن شيخى يستخشن مس عتابى له وعتاب عن قلب نقى
وصدر برى خير من ملق فوقه برد سابرى وتحته غش خفى فقد يكتم البغض
فى زوايا الهوى * وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * ولولا انى قد اصبحت تحت
نعمة الشيخ مستورا * واصبح لسانى بعدها مقصورا * لسألته كتاب كذا
ولكنى الى الخروج من الحواصل * احوج منى الى طلب النوافل * ولقد
نقص شيخى الى الادباء * وصغر فى عينى العظماء * وصارت اخلاقه لى
مرآة ارى فيها الحسن والقبيح * واتبين فيها السقيم والصحيح * وثمرة الادب
العقل الراجح * وثمرة العلم العمل الصالح * فاما ادباء اهل زماننا فتطرقوا
بالادب الى الجهل * فحصدوا النقص من زرع الفضل * لا نعدم فى كل زاوية
منهم صغيرا يتكبر * وقليلا يتكثر * لا يفيد من دونه بخلا * ولا يستفيد ممن
فوقه جهلا * ولو تعلم لعلم جهله * ولو علم لحفظ علمه * والبخل وحده
قبيح فكيف اذا قارنه الجهل * والجهل بنفسه نقص كبير فكيف اذا كان معه
البخل * ومن عجائب البخل انه داء يعدى فان الجواد يبخل اذا بخل عليه *
ويتحول داء غيره اليه * فشر الادواء داء اعدى * وشر العيوب عيب تعدى *
امتع الله تعالى شيخى بمحاسنه التى هى مبيت المدح ومقيله * وغرة الدهر
وتحجيله * واطال بقاءه * وجعلنى فداءه *

﴿ وكتب الى ابى بكر النحوى اديب الجبل واصبهان ﴾

بذلت فى حاجة الاديب مجهودى * واليه تنتهى غاية جودى * فان اكن
بلغت منها رضاه * فذلك الذى اريده واتحراه * وان تكن الاخرى فالرمية
قصرت عن الرمية * والسعى وقع دون مقتضى الامنية والنية * فانما الذنب

رسوله الذى زعم انه اكفى * وقال لى حسبك وكفى * فان الطبيب يخرج من الدواء * مقدار ما يشكى اليه من الداء * ذكر الاديب فى كتابه ان سوق الادب كاسدة وانما الكاسد ما اشترى بدون قيمته * وقرب ربح تجارته * فاما ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز الكساد * وبار بل باد * كتاب شيخى اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر * والى نزهة الفكر * ورأيت منه جمالا يراه القلب قبل الطرف * وشممت منه ريحا تشمه الروح قبل الانف * وانى لاشتاق الى وروده على شوق المهجور الى الوصل * والغائب الى الاهل * فاذا انقطع عنى * وانقطع دونى * ثكلت املى * وفجعت بسرورى وجذلى * وغزى بعساكر الهم صدرى * وخلا لها ظهرى * وشيخى يتفضل فينظم الطرق الى به * ويكون شفيعى الى لسانه وقلبه * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى ابى بكر بن شيمرد ﴾

لو علمت بخروج الشيخ لاخذت بحظى من حلاوة تشييعه * ومرارة توديعه * وقمت بالواجب على من الاخذ بركابه * ومن تسوية ثيابه * على انى لو شيعته لاصبحت مشيعا وصديقا * وامسيت معه صاحبا ورفيقا * ولما تركنى الشوق ارجع عنه * ولا خلانى اخلو منه * وكنت اصير زيادة فى اشغاله * بل زيادة فى عياله * فاذا انا قد طلبت الاحسان فاسأت * وارتدت الصواب فاخطأت ولقد تركنى الشيخ بجميل عشرته * وكريم صحبته * ابغض كل من احببته * واباعد كل من قاربته * * وكأنه انما بعث الى * ليفسد الاخوان على * فقد ضيق خلقى * وان كان وسع رزقى * وافسد افعالى * وان كان اصلح احوالى * ومن العجب وجود الحر فى هذا الزمان الذى صار فيه اللؤم سنة متبعة * واصبح الكرم بدعة مبتدعة * ورخص الثناء حتى ما يبتاع * وغلا السخاء حتى ما يباع * والكلام فى هذا الباب شرط بطين يستهلك الناس مع عزته * ويستفرغ الفراغ مع قلته * وانى لاعتب على شكرى للشيخ وانسبه الى النزارة وهو غزير والى الصغر وهو طويل عريض

ولقد

و لقد شكرته شكرا او شكرت الزمان به لاصبح لى شتاؤه ربيعا * وجدبه خصيبا مريعا * ومدحته مدحا لو مدحت به الفلك لما دار الا بمرادى * ولا تصرفت بوجه الا على اسعادى * ولا سعى الا فى مصالح معاشى ومعادى * وليس يخلو شكرى لصنيعة سيدى ان يكون دونه او فوقه او مثله فان كان دونه فالظن بمثل الشيخ ان تكون يده العليا على من عامله * وصنيعته الراجحة على شكر من شكر له * وان كان فوقه فقد ربح على الشيخ فليردنى الى رأس المال * فان ربح الرؤساء على الشعراء من المحال * وان كان مثله فقد اخذ منى مثل ما اعطى واستأدانى كفاء ما ادى فليستأنف الآن برا * استأنف شكرا * وليجدد نعمه * اجدد خدمه * هذا ايد الله الشيخ مزاح حمل عليه بطر الغنى والشيخ هو الذى اغنانى فليحتمل بطرى وهذيانى * وكيف احاسب من نفسى بعض صنائعه الى * وروحى بعض ودائعه لدى * ومن افعاله الجميلة عندى تفنى كل حساب * وتملأ كل كتاب * الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتى فاستقبلنى بوجه مانع * فوليته قفا صبور قانع * ليعلم ان الكريم الوفى عروف * وصدوف عزوف * يشكر على اليسير * وتلطف نفسه على الكثير * نسخة الرسائل قد حملتها وما تساوى عندى ان تهدى الى احد * او تحمل من بلد الى بلد * ولكن الشيخ اشتهاها شهوة راكب الخيل لركوب الحمار والبغل * وشهوة آكل الطبيخ لاكل الخل والبقل * وتطرف بطلبتها تطرف الغنى بلبس الودارى وهو غريق فى الوشى والعتابى وقادر على الديباج الخسروانى ولعله اراد ان يضحك منها ندماءه * ويتحف بها جلساءه * فتكون بابا من ابواب الهزل * او جنسا من اجناس النقل

﴿ وكتب الى الوزير بالحضرة ﴾

ما اقرب الاشياء حين يسوقها * قدر وابعدها اذا لم تقدر

كانت ايد الله الشيخ حاجتى فى وعاء المطال * وفى ضمان الايام والليال * فاكسنى فيها الزمان * وارجف لى بها الاخوان * قد اخلق ثوب الرجاء لها حتى تمزق *

و تراجع حسن الظن بها حتى تحقق * و طابت النفس عنها * بعد الياس منها * حتى دفعت زمامها الى الشيخ فانشطها من عقال التعذر * و اقامها من صرعة التعسر * و قضاها قضاء سبق الاقتضاء * و نسخ باليقين الرجاء * فكان غيثا سبق صيبه دعوة المستسقى * و ماء سيحا قد كفى مؤنة المستقى * وانما كنت ايد الله تعالى الشيخ مجدا على الطريق مطروحا * و بابا من ابواب المكارم مفتوحا * لا المجد يحصل * و لا الباب يدخل * حتى كانت يد الشيخ اول من جنى تلك الباكورة * واحتوى تلك المكرمة المذخوره * فالحمد لله الذى وفقه لحفظ ما ضيعوه * ورفع ما وضعوه * و لقد اشترى من الشكر سلعة قليلة الطلاب فياليت اللئيم يشم رائحة افضاله * او يلاحظ شخص خصاله * و يا ليت البخيل يعطى من رزقه * قيمة خلقه فى سعته و ضيقه * و يا ليت المخلف للوعد تصير المواعيد فى رقبته * او حقائب على عاتقه * فلعلها اذا اثقلت ظهره * ضيقت صدره * فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه * و حر يسوفه *

و ليت رزق اناس مثل جودهم * ليعلموا انهم بئس الذى صنعوا

تأخر ما رسم الشيخ حمله من الرسائل لانى اردت ان يحصل بخط لا يورث العين قذى * ولا القلب اذى * ولولا انى رابع الكتاب و الشعراء بالباء لا بالياء لما احتجت لتلك النسخة الى هذا الاحتشاد * ولنا سخها الى كل هذا الارتياد * و لكنى كابى الدمية لا يألو جهدا فى جودة كساها * وكثرة حلاها * يشترى لها المطوى والملوى * و يكسوها الديبقى و المروى * و يتجاوز فى جهازها الفضة الى الذهب * و الشعر الى القصب * ثم هو مع هذا كله خائف عليها ان ترجع اليه مطرودة * و عليه مردودة * و لو كانت بنته حسناء لزفها و لو انهما من الثياب عارية * و من الجمال كاسية * و من الحلى عاطلة خاليه * و من وجهها حاليه * لعلمه ان لها من نفسها شافعا لا ترد شفاعته * و بائعا لا تنقض بياعته * و بعد هذا كله فانى مقر على نفسى بالتقصير * و مستحق للوم الكثير * فان المحال اذا قصر زاد بردا * و ان الخطأ اذا احتج له صار عمدا * فلان قد اصحبته كتابى بالوصاية * و صنعت له ما يسعه رجاؤه و شكره من الرعاية * وارجو ان الشيخ لا يلوم من جر اليه حجه الاحرار بزمامه * و وقف الثناء والاجر على مدرجة بره وانعامه

و انعامه * وانما انا دلال من دلالى الشكر * و سمسار من سماسرة الثواب و الاجر * ولم ار لهاتين السلعتين مشتريا اصح من الشيخ عقدا * و لا اجود منه نقدا * فجهزت اليه باعة البضاعة * و دللت عليه الباعة * والسلام

﴿ وكتب الى تلميذ له ﴾

ان كنت اعزك الله تعالى لا ترانا موضعا للزيارة * فنحن فى موضع الاستزارة * و ان كنت تعتقد انك قد استوفيت ما كان لدينا * فسقط حقنا عنك و بقى حقك علينا * فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه * و استغنائه عن دوائه * وقد تجتاز الرعية على باب الامير المعزول فتجمل له ولا تعيره عزله * ولو لم تزرنا الا لترينا رجحانك * كما طالما رأينا نقصانك * لكان ذلك فعلا صائبا * وفى القياس واجبا *

﴿ وكتب الى حاكم نيسابور من اصفهان ﴾

وردت ايد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعدت عنه * و يستقصر الدهر اذا قربت منه * ابدع فى اكرامى بدائع لو كانت كلمات لكانت امثالا * ولو كانت ابياتا لكانت افرادا * وكسانى طرازا من الصيانة ضفت على ذيوله * ولاحت على صفحات احوالى غرره و حجوله * و خاطبنى بكلام كأنما خلق من خلقه حسنا و رقة * وكأنما اقتطع من كلامه لطفا و دقة * و وعدنى مواعيد * فى صحبة العدل و التوحيد * ورقانى فى غاية تزلق رجل المنى * وتقصر دونها همم الورى * وتخجل خلفها الدرجات العلى * اردت مطالعة الحاكم بهذه البشرى * و اتحافه بشرح حال هذه النعمى الكبرى * ليعلم ان تلك الفترة كانت خيرة و غيرة * و ان هذه العاقبة كانت دولة و كرة * و ان الدهر اوفانا كيل المسرة * كما اوفانا كيل المضرة * و تحمل الينا من الخير * مقدار ما

تحامل علينا فى المكر * ومهد لنا ايام اليسر * عدد ما مد لنا من ايام العسر * فقد انصف وهو ظلوم * وتكرم وهو لئيم *

﴿ وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم ﴾

قد انتظرت من الشيخ ان يسبقنى الى خطبة الوصل * كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل * فأبى كسله الا ان اسبقه اليها * واغلبه عليها * فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر * وحين اتسع مجال النزع فى الصدر * وحين رأيت الحظ يضيع بين هيبتى وتغافله * والربح يذهب بين اشغاله وتشاغله * وقد بلغ الله تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها ان يتواضع * ولا يزيد فى ارتفاع قدره ان يترفع * فليستدم نعمة الله تعالى عليه بان يرب مودات الاحرار اوفى ربابة * ويعمر ما بينهم وبينه اوفى عمارة * وليعلم ان عليه زكاة للشرف اخراجها انمى للمال * وابقى للحال * ومنعها تحقيق للوفر * وتعريض لحوادث الدهر * وليزد اخوانه على قدر زيادة الله تعالى عنده فان العادة مطلوبة * والزيادة فى النفوس محسوبة * زاده الله تعالى مما عنده * واطلع عليه سعده * واعلى جده * وجعل حاسده عبده * ورد فلان هذه الناحية فملأ العيون جمالا * والقلوب كمالا * والاسماع مقالا * وغمر الاعداء فضلا والاولياء افضالا ونوالا * ورأينا فى قميصه رجلا بل رجالا * وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص النفيس لبابه * وخروجه من حيز اصحابه * ولقد ضيع منه ما لا يوزن به عوض * ولا يقوم مقامه عرض * وقدر انه يصيب فى كل زاوية من يسير فى اقسام النجابة * ويجمع بين الفروسية والكتابة * فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزيادة واذا هو يلتزم خراجا ويحسب انه يحصل الغلة واسأل الله تعالى ان يصلح حال تلك البقعة فانى اراها تلفظ الرجال * وتنفى عن نفسها الكمال * وان امرأ تعق منه الآباء والاجداد * ويخالف به تدبير الاولياء والبلاد * لحقيق بان لا تخشى فاتحته * ولا ترجى عاقبته *

وكتب

﴿ وكتب الى ابى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى ﴾

وصل الى كتاب الشيخ وعققته * اذ لم اطر فرحا لما رأيته * ولم انطح الفلك فخرا وعجبا لما فككته * ولقد استخفنى الفرح به واشتغلت بلحظه عن حفظه وتصرفت من فصوله فى رياض سقتها الخواطر * لا الغيوث المواطر * وطلعت على شمس البها * لا شمس الضحى * لا بل روضة الخط احسن من روضة النبات لان روضة النبات مداس للخف والحافر * وطريق للسابل والعابر * وتلحظها اعين اللئام * وتدوسها ارجل العامة والطغام * وهذه الروضة عن اكثر العيون مكنونة * وعن اكثر الايدى مصونة * لا يرتع فيها الا ناظر خاصى * ولا تمسها الا يد نبيل سوى * قال ديك الجن

لو كنت املك للرياض صيانة * يوما لما وطى اللئام ترابها

رأيت الشيخ يرفعنى فى خطابه الى غاية تتقاصر عنها قيمتى * ولا تطمح نحوها همتى * فعلمت انه يسلفنى نعمته لادخل فى غرامه * واصير واحدا من جملة انعامه * وليكون قد تناولنى بالبر من كل طرقه قولا وفعلا وجوهرا وعرضا ولسانا وبيانا والله تعالى يكافئه ويكفيه * ويبقيه ويقيه * ويدنيه كما ارتجيه * ويرينى ما احب له فيه *

﴿ وكتب الى الوزير ابى القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله ﴾

كتابى الى الوزير وانا على بعد الدار سالم فى جملته * مستظهر على الايام بدولته والحمد لله تعالى على سلامتى فى سلامته * وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيرى غرت عليه غيرة الفحل على الشول * بل غيرة المرأة على البعل * ولوددت ان لم يكاتب به غيرى * او من يشكره مثل شكرى * فانى مع استقصارى لنفسى فى ذلك قد اتعبت الوراقين * بل اتعبت الكرام الكاتبين * وابقيت للخواطر والالسن شغلا طويلا * وطرحت عليها

عبئا ثقيلا * ولقد كانت ايامي بحضرة الوزير قصارا * وكان ليالي بها نهارا * وساعاتي فيها اسحارا * كما ان ايام فراقه ليال طوال * وليلة فراقه تعد بليال * واني بعد صبري على فراقه لجلد على وقع سهام الهجر * واسع المجال في ميدان الصبر * ولقد اصابت عين الزمان وفائي * وسلبتني حسنتي وهي جزعي بفراق اصدقائي * فاجرني الله تعالى على هذه المصيبه * ولا حرمني عليها جميل الاجر والمثوبه * لايبعني الوزير وقد اشتريته باهل الدنيا * ولايبعدني عنه * وقد قربني الحب منه * ولا يبخل على بكتبه * فعهدي به لا يبخل على بفضته ولابذهبه * وليأنف من ان يكتب اسمه في جريدة البخلاء * بعدما صدرت به جرائد الاجواد والسمحاء * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى ابي الحسن الحكمي ﴾

انا لامر سيدي الشيخ ممتثل * ولقبلة مراده مستقبل * ولكن فلان طرقني والشوق قائده * والحب سائقه * فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر ان يضمن لنا غدا وليعلم انه من سلب اخاه ثوب الفرح * واقامه من بين يدي الطاس والقدح * فقد قطع عليه طريق السرور * وقام بازائه مقام حوادث الدهور وقطاع الطريق على الناس * اقل وزرا من قطاع طريق الطاس والكاس * لان الذي يأخذه اولئك من المال قد يصاب منه بديل * ويوجد الى العوض منه سبيل * والذي يأخذه هؤلاء من العمر * ويقطعونه من ايام الدهر * لاسبيل الى ارتجاعه * ولا التئام لجراحة اقتطاعه * هذا والضيف مولاي والمضيف عبده فهل يرى الشيخ ان افتات على مولاي * وان اخالف هواه بهواي * وقد علم ما جاء في الاثر من ذم العبد اذا عصى مولاه * وخرج الى سخطه من رضاه *

﴿ وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدري ﴾

وصلني خبر الجدري فنال مني وهيج حزني * وراع قلبي واسهر عيني * وهذه العلة

العلة وان كانت موجعة * وفى رأى العين فظيعة شنعة * فانها الى السلامة اقرب * وطريقها الى الحياة اقصد * لان عين الطبيب تقع عليها * ويد المعالج تصل اليها * وانما هى قرح نبهته الطبيعة ودم اثارته الحرارة وظاهر الداء اسلم من باطنه * وبارز الجرح اهون من كامنه * وهذه بعد علة تعم الابدان * وتشمل الصبيان * واذا كانت العلة عامة كانت اكثر طبا ودواء واخف على القلوب اعباء * لان النفس تستريح الى المشاركة وتأنس بالجماعة كما تستوحش من الوحدة ولعمرى انها تورث سواد اللون * وتذهب من الوجه بديباجة الحسن * ولكن ذلك يسير فى جنب السلامة للروح اللطيفة * والنفس الشريفة * وفى الشر خيار * ومن المحنة الى المنحة صروف ومقدار * واذا اخطأت سهام الايام جانبا * واصابت جانبا * فقد سرت اكثر مما اساءت لان الحسنة فيها تستبعد وتستغرب * والسيئة منها تنتظر وترتقب * ولست استطيع لك غير الدعاء * ولا اكلم فى بابك الا طبيب الاطباء * ولا اصانعه عنك الا بالثقة والرجاء * لا اسال صحتك * الا ممن خلق علتك * وارى لك ان تحسن ظنك بربك * وتستغفره من ذنبك * وتجعل الصدقة شفيعك * واليقين طبيبك * وتعلم انه لا داء ادوأ من اجل * ولا دواء اشفى من مهل * ولا فراش اوطأ من امل * شفاك الله تعالى وكفاك * وسلمك وعافاك * وبلغك رضاك وحسبك به طبيبا وكفاك *

﴿ وكتب الى فقيه من تلامذته ﴾

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهى حضرة الوزير وانا متردد بين فائدتين من فعاله ومقاله * ورائع بين روضتين جاهه وماله * والحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين * انتظرت كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فاعوز * واخذت احتال صبرا عنك فاعجز * وعرضت معاملتك لى على الود بيننا فاباها * وقدمت افعالك معى الى القلب فما ارتضاها * فراجع رحمك الله تعالى ما طلقته من ودنا * واذكر او تذكر

ما نسيته او تناسيته من عهدنا * و اعلم انك اذا انفقت اصدقاءك واحدا واحدا او شكت نفقتك ان تدعك مفلسا منهم * و خاليا عنهم * حملت اليك نسخة رسائل الوزير و هى كالحلقة لايدرى اين طرفاها * و كالشمس لا يفضل اولاها على اخراها * كلها خيار * وكل حروفها اختيار * فاعرها من اذا استعارها منك قبل يديك * واذا ردها عليك قبل رجليك * واعلم ان قدر هذا الكلام فى الكلام كقدر صاحبه فى الانام * فلان قد نصب لنا الحبائل * و اراد بنا الغوائل * ولقد قرع باب البلاء و وطئ ذنب الحية الصماء * وادخل يده جحر الاسود * وقعد لملك الموت بالمرصد * و نطح برأسه الجبل * واستبطأ الاجل * وطرد العافية عن باب داره * و انزل النحس فى جواره * و استهدف اسهام الحتف * ووطئ على حد السيف * فلا جرم اصبح نقل كل لسان * وضحكة كل انسان * وحملت امهاته سفاتج الى البلدان * و اجلت غبرة جهله عن اديمه وقد عرك * وعن ماء وجهه و قد سفك * وعن ستره و قد هتك * وهكذا يكون حال من عرض عرضه السقيم * و اصله اللئيم * لمكر العقلاء * و قول الفصحاء * و السنة الشعراء * و اقلام البلغاء * و ليس وراءه لسان تقرع به الآذان * و لا عرض يعارض به الاقران *

﴿ و كتب الى الملك لما اصيب بابنه عن خوارزم شاه ﴾

كتبت و انا مقسم بين فرحة و ترحة * و مردد بين محنة و منحة * اشكو جليل الرزية * و اشكر جزيل العطية * و اسأل الله تعالى للامير الماضى الغفران والرحمة * و للامير السيد التأييد و النعمة * فان المصيبة بالماضى و ان كانت تستوعب الصبر * فان الموهبة فى الباقى تستنفد الشكر * و الحمد لله الذى كسر ثم جبر وسلب ثم وهب وابتلى ثم اولى واخذ ثم اعطى كتب على المشرق خاصة * بل على الدنيا كافة * ان تطمس آثارها * و تظلم اقطارها * وتهب ريح الخراب عليها * و تنظر عين الكمال اليها * حتى ذبلت شجرة المملكة و وهن ركن الملة * وطرف ناظر الدولة * وانثلم جانب الدعوة ثم استدرك

الله

الله تعالى برحمته خلقه * فرد الى الامير حقه * و قرت الدولة فى قرارهـا * و عادت النعمة الى نصابها * و طلعت الشمس من مطلعها * و وضعت الرئاسة فى موضعها * فانا الآن بين شكاية الايام و شكرها و بين حرب الدهر و سلمه ابكى و انا ضاحك واضحك و انا باكى العين الا ان الضحك على اغلب * و الفرح الى من الغم اقرب * لان المصيبة ماضية * و النعمة باقية * رحم الله تعالى الماضى رحمة تهون علينا مصرعه * وتبرد له مضجعه * و تضاعف حسـناته * و تمحوا سـيئاته * واعان الامـير على رعاية ما استرعاه * و الهمه شـكر ما اعطاه * و تولاه فيمـا ولاه * و والاه جزيـل ما اولاه * و ايد بالهيبة سلطانه * و ثبت بالبقاء اركانه * و حرس من الغير زمانه *

﴿ وكـتب الى ابى منصور ملك الصغانيان يعزيه فى عمه ابى سعيد ﴾

كتابى الى الامير وقد ملك الجزع صـبرى وعزائى * و جعـل ناظرى فى اسار دمعى و بكائى * و القلب دهش * و البنان مرتعش * و انا من البقاء فى الدنيا مستوحش * و الجفن غرق * و القلب محترق * وما اجتمع قبله غرق و حرق * للمصيبة التى ثلث عرش السلطان * و طمست نور الزمان * و جعلت الصـبر سيئة * و الجزع حسنة * والاسى سنة * و الاسا بدعـة * و حق لمن اصيب بمثل فلان ان يصـاب بصبره * و ان يدفن معه الفرح فى قـبره * و ان يجعل يومه تاريخا لجدع انف الكرم * و ركود ريح الهمم * وانكسار تاج العجم * و اذا تفكرت فى عظم هـذا النازل * و اربائه على سـائر المصائب و النوازل * انشدت

فـا كان قيس هلكه هلك واحد * ولـكـنه بنيان قوم تهـدما

و اذا تذكرت بقاء الامير و هو البقاء الذى لا وقع معه لخطب و ان كان مؤلما * و لا خطة بعده لمصاب و ان كان مستعظمـا * انشدت

اذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

وان بيت الامير الماضى سلفه * و الامير الباقى ايده الله تعالى خلفه * لبيت عظيم المصائب * عظيم المواهب * محنتهم اجل المحن * و منة الله تعالى عليهم اكبر المنن * و لن يسقط عرش مثل الامير قائمته * و لا يخرب بيت هو بقيته * اللهم ارحم الماضى فانك رحيم بالكرام * منعم على اهل الانعام * و احفظ الباقى من عين الكمال * فانها اكبر آفات الرجال * و انفذ سهام الايام والليال * و اطل بقاءه فانه بقاء المجد * و ادم عزه فانه عز الشكر و الحمد * و اجعل فداءه من لا يرضى بان يكون فداءه * و لا يفتخر بان يكون وجهه حذاءه *

﴿ وكتب الى ابى القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان ﴾

لم يزل يبلغنى ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التى تفتح لها ابواب السماء * ويفوح منها روائح العز و السناء * فى اولئك الاعداء الذين امتنعوا بشدة كلبهم * وقلة سلبهم * و متاركة المسلمين قديما لهم * و رضاهم رأسا برأس منهم * حتى لقد حقنت الدماء * و سكنت الدهماء * و امنت السبل * واجتمع الشمل * ورجع النافر * و عمر الغامر * و اجتمعت الكلمه و اتفقت البيضة و اغمد السيف و ركز الرمح وقرت الامور قرارها * ووضعت الحرب اوزارها * و هذا صنع لم يخص الله تعالى به اهل افق دون افق * و لا افرد بمزيته سكان غرب دون سكان شرق * اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام و فضله * و عادى الشرك واهله * لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب * وتستبق فيه الكتب و لا زال الشرك من قتلاه * و النفاق من جرحاه * و الفساد فى الارض من اسراه * حتى تملأ فتوحه كل سامع و ناظر * و تشغل كل كاتب و شاعر *

﴿ وكتب الى فقيه فى تعهد مسجد ﴾

احق الاماكن بان يصان و لا يهان * واولاها بان يحمى عن مدرجة الاختلال * ويرفع

و يرفع عن ان تتناوله يد الابتذال * مكان بني ليجمع شمل التعبد * و يضم نشر التهجد * و ترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال * و لايتبرم بكثرة السؤال * و هو الكبير المتعال * فان صيانة هذا المكان صيانة الدين * بل صيانة الاسلام و المسلمين * وكبت الكفر و الكافرين * و ما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله * و مظنة لقراءة وحى الله * تصف فيه الاقدام بين يدى الله * و يتميز فيه اولياء الله من اعداء الله * و هو من بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه و هو مسكن من مساكن الابرار * ومجلس من مجالس الاخيار * و حصن من حصون المسلمين على الكفار * و جسر بين الجنة و النار * دخوله عبادة * و المقام به سعادة * و الاعتكاف فيه سنة مستحسنة * لايخترقه كافر * ولا يقربه الا طاهر * من عمره عمر طريق الآخره * و من بناه بنى له بيت فى الجنة * و بلغنى ما انت فيه من بناء مسجد محلتك * ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك * و اكرم مآبك * ورضى عنك * و تقبل منك * فتوسع رحمك الله فى نفقتك * فانما تعامل و تسلف كريما سخيا * و لاتحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد اضعاف ذلك من الثواب * و انما يوفى المحسن اجره بغير حساب * و تذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله و اليوم الآخر

﴿ وكتب الى ابى شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين ﴾

كتابى و قد وجدت فلانا لايضر ولا ينفع * ولايضع و لايرفع * وانما هو مشط يقلبه خصى اصلع * و ان مجال الشكاية فيه لرحب و ان طريق المذمة عليه لسهل ولكنى لا اقطع يدى بيدى * و لا اضرب بعضى ببعضى * و لا ارمى يسراى عن يمناى و لا اتباعد عن قريبى الاصل منه * و لا اضربه بالسيف الذى طالما ضربت به عنه * و رأسى رأسى و ان كان اصلع * وانفى منى و ان كان اجدع * و اما فلان فان المشرق عاطل هو حليته * وعريان هو كسوته *

وجماد هو روحه * واعزل هو سلاحه * واخرس هو لسانه * لا فجع الله به عينى ولا قلبى فان عينى بعده لا تقر * كما ان قلبى بعده لا يسر *

﴿ وكتب الى رئيس نيسابور ﴾

ارجو ان الشيخ لا يلق امرى بيد الاغفال * ولا يسلك بحاجتى طريق المطال * ولا يكلنى الى غيره فى حاجة كتبتها عليه * ووضعت عنانها بيديه * فمن المحال ان استمد النهر * وانا جار البحر * وان احتاج الى النجم وانا اسرى فى ضوء البدر * وقد كان الشيخ فى تلك الحالة الاولى امهل * حتى كأنه اهمل * وتغافل حتى كأنه غفل * ولست اشكو يومه * لانى ارجو غده *

﴿ وكتب الى على بن كامه ﴾

كتابى الى الامير عن سلامة اسأل الله تعالى ان يديمها * لاتوصل الى خدمته بها * والحمد لله تعالى ونعمة الامير على النعمة المجملة المفصلة * الغراء المحجلة * التى ان سكت عن شكرها عنى اثرها على * وان كتمتها افشاها دونى من رآها لدى * وانما انا غرس نعمته * ونبات راحته * نادمته وانا مقتبل الشباب * حدث الاتراب * وها انا قد الجمنى الكبر بلجامه * ولثمنى البياض بلثامه * واذا عتقت المنادمة صارت سببا دانيا * وكانت رضاعا ثانيا * لا بل رضاع الخمر اقوى فى حكم الفتوة سببا من رضاع الدر * لان رضاع اللبن معروف الامد * منقطع المدد * ورضاع الشراب ربما دام الشهر والدهر * واستوعب المدة والعمر * ولأن رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح وان كان يعقد قرابة ووصلة من طريق الولادة فهو يعطى من حيث يمنع * ويصل من حيث يقطع * ويبعد سببا * من حيث يقرب نسبا * ورضاع الشراب يصل من كل جوانبه * ويعقد حرمة من جميع مذاهبه * ولان رضاع اللبن يقع بين

الاطفال

الاطفال الذين لا يتبينون احوالهم * و لا يعرفون ما عليهم مما لهم * و رضاع الشراب لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون

اقر السلام على الامير و قل له * ان المنادمة الرضاع الثانى
ان المنادمة التى نادمتنى * رفعت عنانى فوق كل عنان

و اقل ما فى هذه الحال ان اشكرها فعلا * من حيث اشكرها قولا * و هو ان ازور تلك الحضرة الجليلة كما تزار عظام المشاهد * و اعتكف فيها كما يعتكف فى المساجد * فانها و ان لم تكن مشهد حرم و صلوات * فانها معتكف عطايا وصلات * و ان لم يكن صاحبها امام خلافة يرجى ثواب زيارته فى الآجل * فانه امام سماحة ينال ثواب زيارته فى العاجل * و لكنى رجل قد طال ذيلى * و ازدحم شغلى * وقيدت السن رجلى * فلا اقل الآن من ان اوجه رسولى وهما قلبى و لسانى * على ظهر مركبى و هما قلمى و بنانى * و ان انظم فى شكر نعمة الامير قلائد لا السارق يسرقها * و لا النار تحرقها * و لا الماء يغرقها * كل ناطق عندها ابكم * وكل شاعر بازائها مفحم * و سابلغ من ذلك ما يقيم لى عذرا * و يصير لى و لعقبى عدة و ذخرا * ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب اليه لما ولى قومس ﴾

كتبت و الولاية التى شرفت بالامير و لم يشرف بها * و تسببت له و لم يتسبب لها * و صغرت قياسا الى شانه * من حيث كبرت قياسا الى مقادير اهل زمانه * قد بلغنى خبرها فجررت ذيلى فرحا * و رحت لا تحملنى اعواد سرجى مرحا * و وددت لو شربت طربا عليه البحر المحيط قدحا * و اين بالامير عن افتراع المنابر * و قيادة العساكر * و هو من اهل بيت يحكم بالملك صغيرهم * و يشيب عليه كبيرهم * تقر باسمائهم المنابر النافرة * و تسكن باعلامهم البلاد الشاغرة * لم يرضعوا الا ثدى و لايه * و لم يروا الا تحت رأيه * و لم يغتذوا الا فى حجر سياسة ورئاسة * فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبة * و لا زال اسمه يفترع خطبة بكرا

بعد خطبة * ولا زال الملك سليله ونتيجه * والعز صنيعته وخريجه * حتى يملك الاقاليم * و يفترش السرير العظيم * فيعطى القوس باريها * و يملك الزعامة من يليق بها و يحسن فيها *

﴿ وكتب الى ابى طاهر وزير ابى على بن الياس بكرمان ﴾

كتبت ولما اتصل بى خبر المصيبة لم املك من قلبى الا ما شغلته بها * ولا من عينى الا ما بكيت به لها * و نزل بى ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده و نازعه الموت فى بعض نفسه وزل عن يده الذخر الذى ادخره لصروف الزمان * وسلب السيف الذى لم يزل يعده للقاء الاقران * ثم تنجزت موعود الله تعالى بالصبر و العزاء * ثم بالتسليم للقضاء * و قلت انا لله و انا اليه راجعون كما امرت * و انتظرت الصلاة و الرحمة كما وعدت * و لقد كانت المصيبة بفلان جراحة لا دواء لها الا الصبر * وخسرانا لا جبر له الا الاجر * ولقد سلبته علقا من اعلاق الفضل لايخاف من حصله غبنا * و لا يستعظم له ثمنا * سهم المنايا بالذخائر مولع ولقد طلق من الدنيا عروسا غدارة * مكارة غرارة ختارة * طالما قتلت بعلها * وخانت اهلها * فها انا ايد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه * و سليب يد الموت و لا ضامن لمن اجترحه * و قد دفنت يدى بيدى * و بكيت على عينى بعينى * و افردت فى نفسى عن نفسى و الرزية بمثل فلان رزايا * كما ان العطية كانت ببقائه عطايا * ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بادب الله تعالى * كما لا قليل من المواهب مع الايمان بالله تعالى * رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب * الشيخ حلما وان كان غض الشباب * فلقد اختضر و هو فتى السن * و اهتصر وهو رطب الغصن * وكسوف البدر عند تمامه اوقع * و كسر العود عند اعتداله اوجع *

ان الفجيعة بالرياض نواضرا * لاشد منها بالرياض ذوابلا

و كتب

﴿ وكتب الى حاجب الوزير ابى القاسم بن عباد حين ورد خراسان ﴾
﴿ وحمل اليه نزلا ﴾

حملت الى الخزانة عمرها الله تعالى ببقاء الحاجب * كما عمر حالى ببقاء الصاحب * شيئا من الطين الخراسانى * و الشراب الخسروانى * فليتفضل بقبوله فان الطين تراب لا يعد * و معار لا يرد * على انى لو حملت اليه حياتى * و اهديت اليه صومى و صلاتى * و كتبت فى صحيفته حياتى و قاسمته عمرى * وجعلت له حظى من سعود دهرى * و وضعت ذلك كله بين طبق من قلبى * و مكبة من صدرى ما كنت الا بالعجز موسوما * و على التفريط ملوما * و انما جلبت هذا اليسير الحقير * النزر الصغير * من داره الصغرى * الى داره الكبرى * و حولته الى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى الحاجب ان يتواضع بنا * و يخفض جناحه لنا * فعل ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى ﴾

كتابى عن سلامة اسأل الله تعالى للسيد مثلها * بل لا ارضى له ضعفها * و وصل كتاب السيد المشحون لطفا و برا * المفيد فخرا و ذخرا * الموجب الحمد لله شكرا * الذى كل حرف منه فائدة بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل تصنيف وخطبة تشغل بتخليدها الاقلام * و يحفظها الافهام * ذكر السيد فى كتابه ان اهل اصفهان تزاحموا عليه * واستعاروا كتابى اليه * و ذكروا انى اكتب من اخذ قلما * ونثر كلما * و هذا باب ما قرعته * و شأن ما اتبعته * و صناعة ما درت حولها * فان كان الاقبال ساق الى هذه الغريبة * و الاتفاق اعطانى هذه الرغيبة * فما ارد نعمة الله تعالى اذا صارت الى * و لا ادفع فى بحر السعادة اذا طلعت على * و لاشك ان هذه ثمرة محبتى للعترة الطاهرة * صلوات الله تعالى عليهم اجمعين وقد كنت اذهب فى رد العدوى الى حكم

الخبر * فى العدوى و الهامة و الصفر * والآن اتهمت من رواه * و كذبت من حكاه * و تأولت ان السيد اعدانى بكتابته * واعطانى بعض براعته * بجمع اسمى مع اسمه * و بجعل فهمى جنيبة لفهمه * الحاجة التى استبطأت فيها السيد انما خرج كلامى مخرج الادلال وليس بعجب تسحب الشيعى على الرافضى و لا تحكم الملحف على السخى سمعت كلام فلان و بمثل ذلك الكلام يتسلى الاخرس على بكمه * ويفرح الاصم بصممه * و لله رزق الصمت المحبة و اعطى الانصات الفضيلة و لكن ماذا اقول فى معايب قوم هم جيرانى فى الدار * واخوانى فى النجار * و بيضتى التى تفلقت عنى * و غيضتى التى التفت حولى * و بلدهم عشى الذى درجت فيه * و بيتى الذى خرجت منه * فحاسنهم الى منسوبة * و مساويهم على محسوبة *

و هل انا الا من غزية ان غوت * غويت و ان ترشد غزية ارشد

و بودى لو وجدت لهؤلاء القوم فى درج الفضل ادنى مرقاه * و رأيت لهم فى مساعى السبق اقل مسعاه * فجعلت الخطوة ميلا * و ادعيت القليل جليلا * و لكن ادعاء الفضل من غير معونة نقيصة * كما ان الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيلة * و القتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال * و تعرض لسهام الآجال *

ولو ان قومى انطقتنى رماحهم * نطقت ولكن الرماح اجرت

على انى احمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام فى الاصول كلابيا * و فى الفروع ناصبيا * و لو كان لمنطقه حظ من الطراوة و الطلاوة * او برز كلامه فى معرض من القبول و الحلاوة * لصار شبكة من شباك الشبهة * و بابا من ابواب الضلال والفتنة * و حبالة من حبائل الشيطان * و رقية من رقى البهتان * و لفتح علينا بابا يفسد المذهب * و يورث التعب * و الله تعالى الطف بالاسلام * وارحم للانام * من ان يعطى عدوه سلاحا يغلب به اولياءه * و ينصر به اعداءه *
ذكر السيد شهادة الوزير لى * و اعتداده بى * و هذه نعمة طالما تدرعت جمالها * و تسربلت سربالها * و جررت اذيالها * لا زال الفضل ببقاء ذلك السيد ثابت

ثابت المناكب * مقبل الجوانب * عامر الطرق بالجائى والذاهب * ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره * ولا العباد دنياهم بطول عمره * ولا زال جاهه مبذولا * وبابه مأهولا * وفضله مأمولا * وسيفه على اعداء الله تعالى مسلولا * وعدوه بحده مقتولا * ولا زال الشرق يفاخر به الغرب * والعجم تفاخر به العرب * بل لا زالت اصبهان تفاخر به البلاد * واهلها يباهون به العباد *

وهذا دعاء لو سكت كفيته * فانى سألت الله فيه وقد فعل

ولم يبق الا ان يرزق عمرا يسع نعمته * ودهرا يساوى قيمته * فان هذا الزمان يضيق عن نفسه * وان كان يتسع لشخصه * وكان الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيى ميت الكرم * وكيف يرد ذاهب الهمم * وليلزم حجته من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من قدر على ان يحيى ميت الخلق * قدر على ان يحيى ميت الحلق * وليكذب عبيد بن الابرص فى قوله * وغائب الموت لا يؤوب * ولبيد بن ربيعة فى قوله

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فقد رأينا من يعيش فى كنفه الاعداء * فكيف الاولياء * ويرد بحره المفحمون فكيف الشعراء *

﴿ وكتب الى قاضى القضاة ﴾

كتابى الى القاضى عن سلامة من الله تعالى بها بعد اليأس منها * وقربها بعد البعد عنها * واهلنى لها اضعف ما كنت املا * واسوأ ما كنت عملا * واقبح ما كان بينى وبين الله تعالى اثرا حين انحلت عقدة الرجاء * ولحظتنى عين البلاء * وامرضنى طبيب الاطباء * وبعدت على مسافة الشفاء * وتقاصرت عن علاجى خطوة الدواء * وافلست من العافية كما ايسرت من الحمى * وقربت من الآخرة كما بعدت من الدنيا * ووقفت على جسر قدامه الوفاة * وخلفه الحياة * ونظرت الى المنية عن عين كريه نظرها * حديد بصرها *

وعرفتني الايام ان ابن آدم ضعيف التركيب * منتقض الترتيب * دواؤه داؤه * وبقاؤه فناؤه * واعضاؤه اعداؤه * كفاه موتا ان يبقى فيهرم * وحسبه داء ان يصح ويسقم * ثم اراد الله تعالى ان يرى عبده رحمته * بعد ما اراه قدرته * فاقامه من صرعته * واستله من مخالب علته * وازال عنه يد المنية بعدما اشتبكت به * فلله الحمد ربا عفوا غفورا * رحيما شكورا * يأخذ حكمة وعدلا * ويعفو رحمة وفضلا * ويمرض عبده ليعتبر * ويعافيه ليشكر * ثم لا يغلق عنه باب الدعاء * ولا يحسم مادة الرجاء * ولا يديم مدة البلاء * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الانبياء * وعلى آله الطاهرين الازكياء *

كان ورد على كتاب القاضي فاستظهرته حرفا حرفا * وقبلته الفا الفا * وضممته الى الصدر والنحر * وسجدت له حين رأيته سجدة الشكر * وما اظن سبب تأخره كان عني الا شدة شوقي اليه * وفرط حرصي عليه * فان الحرص شوم * والحريص محروم * وهذه عادة الدهر معي وقديم صنعه بي فانه اذا علم اني احب امرا ناطه بالعيوق * ووضعه موضع بيض الانوق * وابعده وهو غير بعيد * وشدده وهو غير شديد * وانا بعد اليوم لا اقر للدهر بما اقترحه عليه * واطلبه لديه * فلعلي اخدعه عن طبعه * واختله عن سوء صنعه * ومن ذا يخادع الايام * او يغالط الحظوظ والاقسام * فلان قد ولي قضاء كذا عرفه الله تعالى بركة ولايته * ولا جعل هذا الامر اقصى غايته * وجعل ولايته منفعة * وعزله فراغا ودعة * ولا جعل شغله سخرة * ولا فراغه عطلة

آجر الله تعالى القاضي على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين * شديد الركن * يؤنسني ان جمعت بيني وبينه بقعة * ويسرني ان تضم اسمي الى اسمه صنيعة * وكنت اعده لي جناحا وسلاحا * وفي ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا * فغصبنيه دهر طالما غصب فلم يطالب * وسلبنيه قدر طالما سلب فلم يعاتب * ولولا كراهتي للاعتراض على القضايا * والتحكم على المنايا * لقلت أيموت فلان الفلاني * ويعيش فلان الفلاني * خطب منكر * وبدل اعور * وسبحان من له في كل قضية الطاف نعرفها * فنثبتها في فضله ونعمته * ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته * فانما كان

نجما

نجما من نجوم الادب هوى * اوغصنا من غصون العلم ذوى * فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله و رحم الله المتوفى رحمة تغسل اوضاره * وتحط اوزاره * والحقه بالطيبين الطاهرين * من آل يس * وفرق بينه وبين النواصب والضالين * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ولازال القاضى يعزى عن احبابه * ولايعزى عنه ولا به * ولا كان عليه طريق للنوائب * ولا على جنبته معبر للمصائب *

﴿ وكتب الى قاضى سجستان حين نكبه اميرها ﴾

اذا ما الدهر جر على اناس * كلاكله اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

اما بعد ايد الله تعالى القاضى فانه لم يحسن الى غيره من اساء الى نفسه * ولم ينصر اصدقاءه * من خذل حوباءه * وانما يحب المرء اخاه بما فضل عن محبته لروحه التى له خيرها * وعليه ضيرها * وكانت محنة القاضى محنة شملت الانام * وخصت الكرام * و وجب على كل من اشتم روائح العقل * و ميز بين النقصان والفضل * ان يفطر لها الما * وان يبكى عندها دما * وخلص الى من ذلك ما اضحك منى الاعداء * وابكى لى الاصدقاء * حتى رحمنى من كان يحسدنى وحتى عجب من جزعى من كان يصبرنى * وحتى غضضت طرفا طالما رفعته * وقبضت بنانا طالما بسطته * وحتى عزيت كما يعزى الثكلان * وسليت كما يسلى اللهفان * وانا بعد ذلك استصغر فعل نفسى وهى جزعة هلعة * واستقل سعى عينى وهى سخينة دمعة * وكان يجب على مقتضى هذه الجملة واساس هذه البنية ان احضر مجلس القاضى فاصابره نهارا واساهره ليلا وتكون المحنة بينى وبينه احلها عنه ويحملها عنى ولكنى علمت ان والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفى * ويتغابى عن العذر الجلى * وله اذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهى كاذبة * واخرى يصم بها عن المعاذير وهى صادقة *

وليس بينه وبين العفو نسب * ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب *ولو تعرضت لسخطه * بعدما عرفته من شططه * لتحملت دونه الوزر فى ظلمى * ولكنت مقدمته الى ذمى * ومن قعد تحت الريبة ركبته * ومن تعرض للظنة نالته *

ومن دعا الناس الى ذمه * زموه بالحق وبالباطل

واقل ما كان ينبعث من حضورى ان ينب هذا الجواد وثبة يصون القاضى عنها * ويبتذلنى لها * فاكون قد ضررت نفسى ولم انفع غيرى فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضى ضعفين * وتكررت عليه كرتين * يرى بولى من اوليائه * داء لا يقدر على دوائه * ويرى وقودا لايصل الى اطفائه * ويتبين فى حاله متصلة بحاله ثلمة لا يمكن سدها * ومحنة لا يستوى له ردها * فلما مثلت بين تخلفى آمنا * وحضورى خائفا * عدلت بين طرفى الرؤية * ووزنت بين مقدارى المحنة * فرأيت ان اميل مع السلامة * واقنع من العمل بالنية * واغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة * فغبت وكلى غير جسمى شاهد * وغبت وما انا الا مشاهد * وبعدت وقلبى قريب وباينت وقلبى سهيم واغضيت على عين كلها قذى* وانطويت على صدر كله شجا *وانصرفت بقلب ساقط راض واغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ولقد نسجت فى ذم الظالم حللا لايبليها الماء * ولا يجففها الهواء * ولا تغطى عليها الظلماء * والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرابح من محنته فانية * ومثوبته باقية * ولو انصف الظالم لكان يعزى * ولو انصف المظلوم لكان يهنى * جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد * ولا ليومها غد * وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر * وخاتمة لقائه لريب الدهر * ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين * ولا اخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين * برحمته

***

وكتب

﴿ وكتب الى مسكويه وقد تزوجت امه ﴾

العاقل اعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنة * ولا يرى النعمة اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمة * ولا يريد الشرف الا بالتقوى * ولا يرى الضعة الا ما وضع من رتبته في الدار الاخرى * وبلغني ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله تعالى الذي رزقك والدا لا يلزمك حق ابوته * ووعدك اخا لا يحملك حمل اخوته * وقد كنت اسأل الله تعالى ان يبارك لك في حياتها * والآن اسأله ان يعجل لك بوفاتها * فان القبر اكرم صهر * وان الموت استر ستر * ولا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه الدهر وغلبك عليه الرزق فلا حيلة فيما احل الله * ولا مضايقة من حيث وسع الله * وللانسان اباء والحمد لله الذي كان العقوق من جهتها * ووقع الجفاء من جنبتها * فانك بررتها صغيرا * وبلغت مرادها كبيرا * فاجتمع لك بران * ووقع لك على الله اجران *

﴿ وكتب الى صديق له على ديوان الخراج ﴾

الايام ايدك الله تعالى بيني وبينك ترجمة لي عن صحة وفائك * وشهود عندي على صدق اخائك * واول حقوقك علي يلزمني ان لا اشغل لساني بغير شكرك * ولا قلبي الا بذكرك * ولو تجاوزوا طبقات اهل مودتك في ميدان المقة * وتنازعوا خصل الانس والثقة * رجوت ان اكون سابقا ليس له سابق * ولا يذكر معه لاحق * وان تجلى الغاية مني عن محبة مرباة بالوفاء * وعن شكر مرضع بالدعاء * وقد بلغني خبر سعيك لفلان في العمل الذي هو دون قدره * وان كان فوق اعمال عصره * فشكرتك عنه وان كان شكرك اوفى واملا * وبايفائك حقك احق واولى * واردت ان اكل شكرك اليه * ولا اتطفل فيه عليه * فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لي فيها اسم * وان تختم

جريدة المشاركة و لم يكن لى فيها قسم * فذكرته لك و انت له اذكر * و شكرتك عنه وهو لك منى اشكر * على انى ارغب بذلك الحر عن التلطخ باوضار الاعمال * فانها مزالق اقدام الرجال * وضنا به عن تخاليط الايام * و صيانة لمحله عن مدانسة الاوهام * و نعمتك عليه مقتسمة بينى و بينه * بل اكثرها لى دونه * فما ظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين * و تستعبد لك حرين * وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك * و رفرفت حوله اجنحة رعايتك * ان ينبو عنه سيف الزمان مفلولا و يرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما و الله عز و جل اسأل ان لا يحرمك نعمة يد اليك بها عنق ودود * و منة تفقأ عنك عين حسود * اخبرت انك ايدك الله تحدث نفسك بزيارتى وانه ليسرنى ان اخطر ببالك * و يسوءنى ان اصير زيادة فى اشغالك * و لا تجشم نفسك فان خيالك فى كل ليلة نائب عندى عنك * و ان لم يكن فيه و لا فى الدنيا كلها عوض لى منك *

﴿ وكتب الى ابى محمد العلوى ﴾

كتابى عن حضرة الوزير و انا راتع فى فضله * مستذر من الايام بظله * متعرف نعمة الله تعالى على به و قد كنت اشكو الى السيد ما منيت به من ضعف احتمالى لاعباء منن الوزير على * و سوء مجاورتى لاحسانه الى * و كنت اخشى ان اكون سببا لحرمانه غيرى من نزاع الآمال اليه * و وفود الشكر عليه * فيقدر ان كلا منهم يكفر النعمة كفرى * و يستر وجه الصنيعة سترى * و الكفر مخبثة لنفس المنعم * فقصدته هذه الكرة لاقيم عذرى * و اقوم ببعض شكرى * و احط عن رقبتى تلك الاعباء التى قمت تحتها طليحا * لا بل قعدت نحوها طريحا * فما هو الا ان وردت حضرته حتى انثال على من عطاياه الغزار * و من نعمه الغرائب و الابكار * ما صير امسى ابغض يومى الى * و يومى اكرههما على * حتى لم تبق زاوية من زوايا الافضال الا اجال لى منها قدحا و اجرى باسمى عليها سهما ولولا ان بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل ان يستحق عليه * و يتعجل البر قبل

ان

ان يسدي اليه * ويجعل ذلك استجلاب رزق * وايجاب حق * واقامة سوق * لكنت لا اقتصر على هذا المقدار شكرا * ولا اضعافه عشرا * ولكنت لا ارجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق * ولا ارمى هذا الغرض البعيد بمثل هذا الرشق * بل كنت لا انصرف وفى الجفير نبل * ولا انقطع وفى القريحة فضل * ولا ارضى من نفسى الا بان اصبح محسورا * وامسى مبهورا *

فقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل * ولا لفعاله نعت الا الجميل * اول لقائه بشر * وآخره بر * ومقدمة فعاله الى زواره بشرى * وساقتها نعمى * اكثر ما يكون نوالا * اشد ما يكون السائل سوالا * واكثر ما كان الطافا * اكثر ما كان الزائر الحافا * واسهل ما كان حجابا * واطلق ما كان وجها ازحم ما كان شغلا واضيق ما كان وقتا واخصب ما كان نوالا * اجدب ما كان مالا * واعدل ما كان فى القضية * واحكم ما كان بالسوية * اخص ما كان المحكوم عليه وسيلة * وانفذ ما كان حيلة * واوسع ما كان نطاقا * اضيق ما كان الخطب خناقا * واسجح ما كان حلما * اعظم ما كان الجانى جرما * واجرا ما كان مقداما * اهول ما كانت الحروب فخما * والعساكر عظما * واضحك ما كان سنا * اشد ما كان قلبه حزنا * واسمح ما كان بماله * لمن استفاد بجاله * لا يصارف فى عطائه * ولا يحاسب على آلائه * قد تكافأت اقسام فضله * وتناظرت محاسن قوله وفعله * فلم يشغله السخاء عن الشجاعة * ولا صرفه الحلم عن السياسة * ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر * عن علم الكلام والنظر * ولا قدح فى هيبته * ما اشربته القلوب من محبته * ولا بخس الرئاسة حقها * من حيث وفى العشرة حظها * فهو القوى من غير عنف * واللين من غير ضعف * والشجاع الا انه سخى * والحافظ الا انه ذكى * واللغوى الا انه نحوى * والسلطان الا انه تقى * والسائس الا انه اريحى * يسكت حلما لا حصرا * وينطق علما لا هذرا * ويحلم كرما لا غفلة ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا

و يتوقف حزما لا جبنا كل حسنة من حسناته واقفة على حد ما دونه تفريط و لا وراءه افراط يخرج مكارمه فى اقصد الافعال * و يزن افعاله فى كفة الاعتدال *

لا عيب فيه يعاب الا اننى * امسى عليه من المنون شفيقا

بل عيبه انه فى زمان لا يسعه * و فى عالم لا يستحقه * و بين قوم يفعل و لا يقولون * و يحسن و لا يستحسنون * و يبصر ولا يستبصرون * و يروى و لا يروون * و منع واجب الاستحسان * قطع لمواد الاحسان * و تضييع حقوق النعمة * داعية من دواعى النقمة * و اقل ما عنده ان عطاياه قد صيرت المفحم شاعرا و جعلت العقيف سائلا كالمنهل يقصر رشاؤه * و يعذب ماؤه * فيشرب منه العطشان نهلا * و الريان عللا * و كالطعام يحسن فى العين و يطيب فى البطن و يخف على القلب فيأكله الجائع تغذيا و الشبعان تفكها و الحمد لله الذى ارانى بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء * و الملوك يحترفون حرفة الشعراء * و ما رأيت حضرة اكثر منها داخلا راجيا * ولا خارجا راضيا ولا اجمع فيها بين وجهين مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما الاصل والنسب * وجمع بينهما القصد والطلب * فوردا وهما اعرى من الحية و صدرا وهما اكسى من الكعبة * ودخلا وهما اخلى من الراحة و خرجا وهما اغنى من الشمسة * حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء * وملقى الرحال وموسم الشعراء * و قرارة ينصب اليها العلم و الادب * و قبلة يهوى اليها العجم و العرب * و ما فيهم الا من يود لو اصبحت جوارحه السنة تشكر * و قلوبا تحفظ و تذكر * هذا و فى شواهد احواله * مايغنى عن استماع اقواله * و شاهد العيان * اقوى من شاهد البيان * و دليل البصر * اوضح من دليل الخبر * و ناوس كسرى امدح من شعر زهير بن ابى سلمى * و لو جحدوا كذبتهم العواقب * و لو سكتوا اثنت عليه الحقائب * جمع طبقات اهل الفضل رجلان اما اليه ظاعن * و اما

بحضرته

بحضرته قاطن * فالظاعن يحسد القاطن * والقاطن يستبطىء الظاعن *
فقد نفضت اليه البلاد رجالها * وابرزت له جمالها * والقت له الارض افلاذ
كبدها * وحسبك بالغلاء جالبا * وبالاحسان جاذبا * ومن صادف ثمرة
الغراب لم يفارقها ابدا * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا * ولقد اصلحني هذا
السيد بل افسدني * وقربني الى الناس بل ابعدني * لاني بعده لا استام الا العظيم *
ولا ارعى الا الجميم * ولا استكرم الكريم * ولا الوم اللئيم * لان الناس كلهم
في عيني بعده لئام * فكيف اعيب ما اجتمع عليه الانام * ومن احمد مراده *
وصادف من الماء والكلا مراده * لم يشرب الا من عفوه * ولم ينل الا من
صفوه * ولم يلق دلوه الا في جمه * ولم يرتع الا بين غدير وروضه * فها
انا اصبح وامسي بين السرور والجذل * واتقلب بين العل والنهل * واردد
الطرف بين الخيل والخول * قد استوفيت على الايام حواصلي وبقاياي *
وضممت على مطالبي منها يمناي ويسراي * واصبح اعدائي وهم بالحاجة الى
اوليائي * كما اصبح اصدقائي وهم بالحسد لي اعدائي * فلا طريق الى للفقر *
ولا منفذ في لسهام الدهر * والى الله تعالى المعذرة من لساني العيي * وخاطري
البكي * وقد اسأت مجاورة هذه النعمة بكفرها * وسودت وجه هذه العارفة
بقلة شكرها * وسوء الشكر * اول منازل الكفر * وقلة التهدي للنشر
والاذاعة * اول طبقات الجحد والاضاعة * وقد رأيت بهذه الحضرة اقواما
كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة ومنهل الصبا عذب * وعود الشباب
رطب * وذكرت بهم مآرب هنالك واياما سلبتها سلبا * ونزعت من يدي
غصبا * ودهرا كأني كنت اقطعه وثبا * فلما رأيتهم قد هاجروا الى هذه
الحضرة * وجعلوها من بين الدنيا هجرة * علمت ان الكرم يتوارث بين الكرام
وانه انحدر الى اصفهان من الشام * وان العلم والادب يتيمان ليس عليهما
غيره وصي * وان المروءة والسيادة ايمان ما لهما سواه ولي * وان المغرب
لسيف الدولة رحمه الله * والمشرق لحضرة الوزير ايده الله *

ارض مصردة وارض تثجم * منها التي رزقت واخرى تحرم
واذا نظرت الى البلاد رأيتها * تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

فاما آل ابي طالب فانهم ينزلون منه على سيف التشيع وسنانه * وعلى يد الحق ولسانه * وما ضرهم مع حياته ان لايعيش لهم الاشتر * وماضرهم مع عطائه ان لاترد عليهم فدك وخيبر * غيرة منه على الشرف ان لا يصان عن الابتذال رحله * وان لايحفظ فيه وله اهله * ذهابا بنفسه عن اتباع الانام * وتقليد الايام * في اهانة الكرام * واكرام اللئام *

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها * وابن اللئيمة للئام نصور

فلا جرم ان الايام تتطفل عليه من السعود بما لم يقترحه عليها * وتخرج له من خبايا الصنع الجميل ما لم يقدره لديها * لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى عليه * ويستظهر باحراز ودائع الله تعالى لديه * فعنده في كل يوم نعمة تصغر النعم * وتتعب في اداء شكرها اليد والفم *

وما بلغت آمالنا منه رتبة * تراها رضا في قدره المتجدد

وقد علم السيد انه ليس من فرق الاسلام فرقة الا وقد هبت لاهلها روحة ودالت لها دولة كما اتفق المختار بن ابي عبيد للكيسانية * ويزيد بن الوليد الغيلانية * وابراهيم بن عبيد الله للزيدية والمأمون لسائر الشيعة والمعتصم والواثق للمعتزلة والمتوكل للنواصب والحشوية وما بلغنا ان احدا من اصحاب تلك الدول * زاد في عدد تلك النحل * ولقد قتل المختار اهل الكوفة وبعث كتبه ورسله الى اهل البصرة فما قدر ان يزيد جمجمة واحدة في عدد جماجم الشيعة ولقد رفع المعتصم سوطه ووضع سيفه وصلب * وصادر وسلب * ووعد واوعد فنبا عنه الدهر بحاجته * وقامت العوائق عليه في وجه بغيته * وهذا الرجل لم يزل يستدعي بقوله وفعله * ويستعين على عمارة المذهب بجاهه وماله * ويجرد لسانه والسيف مغمد * ويغمد لسانه والسيف مجرد * حتى اذا علم الله صدق نيته * ومضاء عزيمته * ورآه لايريد الا رضاه * ولا يسلك الا طريق هداه * جمع عليه القلوب المتعادية * والف له الاهواء المتباينة * فدخل الجميع دين الله افواجا * وتقاطروا على استجابة الدعوة فرادى وازواجا * فلم يبق في نواحي سلطانه احد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمة وخلصت

له

له الدعوة فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ * او متوجه فى العلم قد بلغ * وان احدهم ليدخل فى الحق تحسنا * فيجد بركة الدين حتى يعتقده تدينا * والناس بالزمان والزمان بالسلطان * واذا اراد الله امرا كان * وما اقرب البعيد اذا صادف اسبابا * ووافق دعاء مستجابا * وما اسهل الصعب اذا حضره التسديد * واكتنفته العصمة والتأييد * وان رجلا يحيل طباع الزمان * وينقض بنية البلدان * ويفطم الناس عن عادة المنشا والف الاخوان والآبا ويصير حدا بين النار والجنة * وبرزخا بين البدعة والسنة * لعظيم جم الهمة * واسع ذرع البسطة بعيد مضرب العزم والنية ثابت مناكب الحول والقوة سالك فى طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا * وبين من يصطاد قلوب الورى * وما ابعد ما بين من يبنى البنيان * ومن يبنى المقالات والاديان * واين من يعمر الرساتيق والامصار * ممن يعمر الجنة ويخرب النار * لا بل اين من يفترع عذارى الجوارى * ممن يفترع عذارى المعالى * ولكن كل قوم على مقاديرهم يدركون * وكل حزب بما لديهم فرحون * هذه ايد الله السيد شهادة ما اقمتها حتى اعددت لتعديلى فيها مزكيين وهما السودد والكرم * ونصبت لقبولها منى قاضيين وهما النعم والنقم * وكتبت بها سجلا حررته يد الصدق * وطبعته بخاتم الحق * وحضرته من توفيق الله تعالى اذن تسمع وعين ترى فمن رضى بقولى فانما مدح نفسه * وزكى حسه * واشرف من الحق من قبله * واحسن من الحسن من فعله * ومن غضب فلا ارضاه الله * فانما سخط من الحق ما يرضاه الله * وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله * وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعله * وليس على المكارم حجاب * ولا يغلق دونها باب *

اذا اعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

* * *

﴿ وكتب الى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى ﴾

انت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل * ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل * وغيرك من اصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه * والقرطاس جبينه * والثمن دنياه ودينه * فاعرهم اعزك الله تعالى فانى ان تفرغ لها * قد فرغ غيرك منها * وحصل اليوم شكر المعير * وغدا فائدة المستعير * فاذا انت قد افدت واستفدت * وابدأت فى الربح واعدت * واجعل تعجيل ردها الينا * كفارة لما جنيته من حبسها علينا *

﴿ وكتب الى خوارزم شاه ﴾

بعدما كان الامير وسعنى من تقريبه لى * وتحفيه بى * سمة طار فى الناس ذكرها * وفاح بين العالم نشرها * وتوجهت الى المطالب * وقصدنى الراغب والراهب * وصرت مثابة من مثابات الوسائل * وصار بابى سوقا من اسواق الحاجات والمسائل * نزغ بيننا الشيطان * ودب الينا الحدثان * وكسدت عند الامير تلك السوق التى لم اشكره فى نفاقها * ولم اعاتبه على كسادها * والامير بكرمه يقيم لى فى الظاهر رسم الانعام * ويعظم قدر توفره على نصيبى من الاعظام * والناس يحسبون ان حظى من قلبه * حظى من ظاهر قربه * وان محلى من ضميره فى المحبة * كفاء محلى من ظاهره فى الرتبة * فلست اعدم كل يوم مستشفعا بى اليه * ولا يعلم هو انى عليه * ومستعينا بجاهى عنده * ولا يشعر انى اقوى اسباب الخيبة له * فان رددتهم ظنوا بى الظنون * ولامونى وهم لا يعلمون * وان اجبتهم * ظلمت الامير وظلمتهم * اما ظلمى للامير فتعريضه لرد الرسائل * واقامته مقام المانع الباخل * واما ظلمى لهم فبيعى المغشوش منهم * وتشرفى بما ليس عندى عليهم * وانى لابغض الظلم من نوع فكيف من نوعين * واكره ان اكون مسيئا الى واحد فكيف الى اثنين * وحاجتى الى الامير ان ينزلنى من لقائه وبشره * منزلتى من مكنون

صدره

صدره * وان يسمني مع ابعادي عنه * كما يسمني بتقريبي منه * وان يجعل هذه الاخرى سبيلا لسلامتي * كما جعل تلك الاولى سبيا لغنيمتي * فاني شاكره على هذا الجفاء * كما شكرته على ذلك البر والاحتفاء * فان كل اللسان * او تعذر على خاطرى الاحسان * سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه فاكون قد بعث منه بزه واهديت اليه ملكه واصير عيالا عليه فى مقاله * كما طالما كنت عيالا عليه فى ماله *

﴿ وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه وعاتبه فيها ﴾

فهمت كتابك الذى هو اشرف كتاب الى * قد رصع باظرف عتاب على * وما كان احوجك الى ان تجعل كلامك بمائه * وتحلى ظرفك الناصع ببهائه * فلا تشوبه بالعتاب * ولا تكدره بمر الخطاب * فتكون قد ادبتنا بصمتك * وعاقبتنا بعفوك * فكفاك سلاحا لك قراع الحلم دونك فلربما بلغ الاحسان من العقوبة ما لا تبلغه الاساءة * ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءة على انى ما اجهل منفعة العتاب * ولا انكر مرافقه بين الاحباب * ولا اشك فى انه يطرى خلق الود * ويجلو غبرة العهد * ويداوى ادواء القلوب * ويترجم عن خفيات الغيوب * وانه الانموذج بين الاولياء والاعداء * والجسر بين المدح والهجاء * والمصلح للعشرة الفاسدة * والمقرب بين الديار المتباعدة * ولهذا اشتقت لفظة العتبى وهى الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكاية * ومنبعه عن جناية * ووقع عن فترة فى الود عرضت * او ثلمة فى الانصاف حدثت * جمع الشمل * وجدد الوصل * وصقل ما صدئ من العشرة * وازال ما وقع من الفترة * واذا كان مصدره عن تجرم وتجن كان مفتاحا لباب العربدة * ومكدرا لصفو المودة * وترجمانا عن لسان القطيعة وانما هو دواء اذا لم يصادف داء استحال داء * واذا صادفه كان شفاء * وقد كانت هذه الواحدة منك فلتة وقاك الله شرها فمن عاد الى مثلها قتلناه بسم القطيعة وهو اشد الحتوف * وضربناه بسيف الهجر وهو امضى السيوف * ولولا

انى لا استخير مقابلتك * ولا ارى معارضتك * لزعمت انك الظالم المتظلم * والمجرم المتجرم * وانك لما عرفت جرمك * وتذكرت ظلمك * وعلمت ما وجب عليك من العتاب * الذى هو ابلغ العقاب * ورأيت انك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد احلت عرضك الالسنة الواقعة فيك * واهدفت جانبك للظنون المظنونة بك * اخذت اخاك قبل ان يأخذك * وشكوته قبل ان يشكوك * وبرزت هاربا فى زى طالب * وخرجت جانيا فى معرض عاتب * وتكلمت بجراءة المنصف وتحتها جور الظالم * وادليت بحجة البرئ وانت عين الجارم * حتى لقد كدت ان تشككنى فى نفسى وتغلبنى على علمى * وتجعل لوهمى سلطانا على فهمى * لولا يقينى بباطلك ومعرفتى ان الاساءة فى شقك والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنين اذا صار منا اذاقنا مرارة صده * وسامنا بشاعة فقده * وصفرت بيننا وبينه وطاب اللقاء * واقفرت بيننا وبينه معاهد الاخاء * ودبت لنا وله عقارب القطيعة * وهبت علينا وعليه رياح الجفوة الفجيعة * واذا صالحنا نسب الينا المظالم * وتجرم علينا الجرائم * وعلى ذلك فصلحه احب الينا من حربه * وبعده اثقل علينا من قربه *

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

ذكرت انك مترجح منى بين وصل واعراض * ومرتبك من عشرتى بين انبساط وانقباض * ولقد صدقت فى الاولى * ولا اقول كذبت فى الاخرى * سقى الله ايامنا التى عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر * وطرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر * وجلت عن ان تثلمها انياب السعاة * ونبت عن ان تمضى فيها معاول الوشاة حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمة * وقتلنا من الوصل مرائر البين والغيبة * حتى اذا امنت عليك الدهر الذى لا يؤمن * وائتمنت عليك العيش الذى لا يؤتمن * خالفتنى الى الود فهدمت منه ما بنيته * وسبقتنى الى الوصل فعوجت من اطرافه ما سويته * وابرزت مصون الوفاء للغدر * ووضعت ربقة الاخوة فى يد الدهر * وسلطت على ما زرعته يد الوفاء * حاصدا من الجفاء * وذكرت

بعد هذا كله انى استاذك فى الهجران و الصد * و تلميذك فى الوفاء وحسن العهد * وانك عرفتنى ثم انكرتنى * و استانست مسى ثم استوعرتنى * و هذه دعوى قد سلمت اولها * وانكرت آخرها * وانا فيما عرفته لك * واست فيما انكرته عليك * فان العمر اقصر مدة * والزمان اصغر مسافة * من ان اخترمها معك بالعتب والعتاب * واستهلك نفسى منهما و منك من تكليف الابتداء و اقتضاء الجواب * فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء * ولا يمشى امرها الا بالعتب والاشتكاء * كانت كالعلق النفيس يحتوى غصبا * و يؤخذ سلبا * وكان الطالب فيها كالمصادر على قلبه * وكالمستنزل كرها عن حبه * و انا بعد هذا ابرأ اليك من عهدة خاطرى العليل * ولسانى الكليل * وكيف ينبعثان لى فى عتابك و هما مقصران فى مدحك * وكيف يسرعان فى حربك وهما بطيئان فى صلحك * هذا وطريق مدحك نهج قصد و طريق عتابك وعث وعر و جانب صلحك مورق مشرق * وجانب حربك مهول غلق * وانى لآخذ القلم لاكتب به عتابك فيتشظى على * و يسقط من يدى * وكيف تساعدنى بنانى * على ما يخالفنى فيه جنانى * وكيف يطيعنى بعضى فيما يعصينى فيه كلى و لو كنت احمد بن يوسف فى البلاغة * وعبد الحميد بن يحيى فى اتساع الكتابة * و جعفر بن يحيى فى الاختصار * وابا الربيع فى التوسع و الاكثار * وابا العيناء فى المعارضة و ابا العتاهية فى البديهة و ابن المعتز فى التشبيهات * وابا نواس فى الخمريات والطرديات * والعتابى فى المعاتبات * والنابغة فى الاعتذارات * وصريع الغوانى فى الاستعارات * و الفرزدق فى الفخريات * وجريرا فى المهاجاة وغلبت فى المخاطبة صعصعة بن صوحان * وفقت فى الفصاحة خالد بن صفوان * و نطقت بتيمة ابن المقفع مرتجلا و اتيت بعجوز آل رقية مبتدعا و بعذراء آل خارجة مقتضيا و ضرب بى المثل فى المقامات لا بسحبان وائل * و بوهى به فى العى عندى لا بباقل * و حفظت حفظ الشعبى وحاضرت محاضرة ابن القرية النمرى وابدعت ابداع ابى تمام الطائى ووعظت عظة الحسن البصرى و جادلت جدل النظام فى الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ فى الجد

و الهزل * و اربيت على اياس بن معـاوية فى الذهن و العقل * و بهرجت الاصمعى رواية * و زيفت ابا عبيـدة حفظا و دراية * و علمت امير المؤمنين عليه السلام الحلال و الحرام * و لقنت شريحا القضاء و الاحكام * وصرت الذى زاده الله بسطة فى العلم والجسم * و وفقت توفيق سليمان فى الحكم * واخذ عنى بطليوس علم الهيئة و ارسطاطاليس علم الفلسفة و بليناس باب الطلسم و الحيلة و قرأ على سيبويه نحو البصريين * و الفراء نحو الكوفيين * و اختلفت الى الهند فى تعليم الحسـاب * و درس على ابو عثمان المـازنى علم التصريف والاعراب * و اقتبس منى الخليل عروض الشعر * وكان هاروت و ماروت تلميذى فى السحر * وضرب على قالب خطى خط ابن مقلة و توارث الكتابة اهل بيتى كما توارثها بنو ثوابة * وامليت على ابن الكلبى شجرة النسب * وعلى ابى عمرو بن العلاء ايام العرب * و اوتيت الحكمة و فصل الخطـاب * وكنت الذى عنده علم من الكتاب * وعددت فى الراسخين فى العلم عدا * و قال لى موسى هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا * ثم حملت بعد هـذا كله على ان يمضى بى فى عتاب الاخوان لسانى * او يجرى فيه بنانى * لقصر عن عن ذلك عنانى * ولارتبك فيـه عقلى و بيـانى * و لعييت و الحق معى * و انقطعت و الحجة لى * و ما اعتذر الى احد من عيبين بليت بهما * و خلقين ركبت منهما * جبنى عن الاصدقاء * وجرأتى على الاعداء * رأيتك ايدك الله تعالى قد تواضعت لى فيما تجليته من الفضل الذى لو صح لى لكنت فيه جنيبتك * و لسلكت فيه طريقتك * و انت بحمد الله تحسن ان تأخذ ما فوقك مما تحتك * و ان تمدح نفسك بما تمدح به غيرك * و ان تتواضع و انت ترتفع * من حيث يرتفع غيرك و هو يتضع * و ان يخصك فى المراتب الكبر * من خص غيرك الكبر * ولست اقول انك صادق فادعى لنفسى فضلا * و لا انك كاذب فاناقضك قولا * ولكنى اضع بيننا قول الاول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المعايبا

ولولا انى اكره ان ننسب جميعا الى التقارض فى الثناء * وان نقعد تحت قولهم من ضيق الصـدر سرعة الجزاء * لو صفتك ببعض ما فيك من المحاسن

المحاسن التى انت فيها عريق صريح وغيرك فيهـا دخيل دعى وانت لهـا نسيب قريب وغيرك عنهـا اجنبى بعيد و بعد فانا والله معتد للايام بنصيبى منك * متحمل لها شكر العارفة فيك * منـافس فى نعم الله تعـالى على بك لا اقع عينى على احب منك الى * ولا اضم جنـاحى على اعز منك على * ولا اقرأ لك كتابا الا يهون على ما قبله * و يزهدنى فيما بعده *

﴿ و كتب الى رئيس دامغان ﴾

انا اغار لما بينى و بينك ابدك الله تعـالى من ذل التملق * و من عشق التشوق * و اقشر لك عصا العتاب * و اتسرع لك بخشونة الجواب * اذ كانت الحـال بيننا مبنية على اساس الصدق * و مصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق * و ليس بعد العتاب الا التقدم الى الصلة او النكوص الى القطيعة و انما هو جسر عن يمينه العتبى و الرجعى * وعن يسـاره النوى والشكوى * فلا تفتح من التجوز بابا اغلقته يد الوفاء * ولا تبح من الحفاظ جانبا حمتـه قضية الود و الاخاء * و لا يحتج فى الباطل بحجج هى اضعف من قلب العاشق * و اوهى من دين المنافق * وارق من امانة الفاسق * و اعلم ان كلام من ينصر الباطل لا يولد الا مخدجا * و لسانه لا يكون الا ملجلجا * واقصر ما يكون بنانه * اذا طال لسانه * و انزر ما تجـده عقلا * اغزر ما تجده قولا * فان الباطل يصغر من حيث يكبر * و يقل من حيث يكثر * و ليس طلاقة اللسان بغير الحق الا اذى للسامع وحجة على القائل * وسلاحا لكل جاهل * وجنـاية على كل عاقل * و كل قليـل سد ثلمة الحاجة فهو كثير * و كل كثير وقع دون الكفـاية فهو قليل يسير * و شبكة المحال اوهى من ان يتشبث بها رجل محق * و كيد الباطل اضعف من ان ينفذ فى حق * وحسب الكاذب بفعله شتما * و بقلبه خصما * و بالسكوت عنه ذما * وقد خرقت فيك حجاب المجاملة و لبست لك ثوب المكاشفة فان ادبك ذلك فمؤدب الحر العاقل اخوانه * و مرآته زمانه * و سوط

الفرس الجواد عنانه * و ان ابيت فما انا باخع نفسى على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا

﴿ وكتب الى خوارزم شاه ﴾

كتبت الى صاحبى بتلك الناحية يعرفنى انتشار ما لى بها * و تمرد شركائى فيها * و ما كنت اظن بقعة يجوز فيها للامير ختم * او ينفذ له فيها حكم * تعلو بها للباطل راية * او يكون بها للظلم على العدل ولاية * و من العجائب ان اكتسب الدرهم فى بقاع لم انبت فيها * ولم اخرج منها * ثم يؤخذ منى فى عشى الذى فيه درجت * و بيتى الذى منـه خرجت * و ان احمله فاقطع به لجج البحار * و فيافى القفار * و يسقط منى على باب الدار * هذا و قد علم الامير ان والدى رحمه الله تعالى خلف على مالو خلفه على اهل بلد لكفاهم * و لو فرقه على فقراء الدنيا لاغناهم * فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلنى جهرا * وتخاتلنى سرا * حتى خرجت منها اعرى من حية بعد ما كنت اكسى من بصلة وافقر من الحجر بعدما كنت اغنى من الكعبة واعطل من المحرم بعد ما كنت احلى من الشمسة قد كسرت كسر الجوز * وقشرت قشر اللوز * وجرى على فى مسقط رأسى و مجمع اسرتى * و مقطع سرتى * من الغرم الثقيل ما كان من الثقل اثقل * ومن الذل الطويل ما كان من الطول اطول * ومر على رأسى مالو مر على رأس الشاب لشاب * ولو نزل بالحديد لذاب * على انى حيثما كنت تاج على خوارزم معقود * وشرف لها معدود * ومشهد فيها مشهود * و مقام من مقاماتها محمود * وكل من رآنى مدح بلدا كنت من اهله * و فدى والدا انا من نسله * و مهدى بمثلى يغنم * فصرت اليوم اغنم * فسبحان من جعل القصر المشيد بئرا معطلة وجعل الغانم غنيمة وصير السالب سلبا و حول الراكب مركبا و ادار الفلك فيما يدل على اضطرابه * ويترجم عن خرقه وانقلابه * ومثلى ابدك الله تعالى اذا ابتذل استوحش * و اذا استوحش اوحش * و من وطئ العقرب اوجعته و ان اوجعها * ولسعته وان لذعها * ومن فل السيف برأسه انكسر

منه

منه أكثر مما كسر * وخسر اكثر مما خسر * وان من باعنى لقليل البصيرة بالبيع والشراء * ردئ المعرفة بابواب الاخذ والعطاء * مستريح مما تعبت له نفوس الكرماء * نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء * والسلام

﴿ وكتب الى ابى سعيد احمد بن شيب لما شارف نيسابور ﴾

مرحبا بالقمر الطا * لع فى جنح الظلام
مرحبا بالاسد الور * د وبالجيش اللهام
مرحبا بابن شيب * وايادية الجسام
مرحبا بالرجل الاو * حد من بين الانام
مرحبا بالكاتب الجز * ل وبالحبر الهمام
قد نجونا منك يا يسن فودع بسلام

سبقنى ايدالله صاحب الجيش فلم املك عنانه * وجمح بى خاطرى فلم اضبط زمامه * فكتبت هذه الابيات وجلتى بيد الطرب * وتماسكى فى قبضة العجب والعجب * وخرجت من ربقة الوحشة * وهى شبكة الغم والدهشة * حتى لاحت لى رايات اللقاء * وفاحت روائح الالتقاء * وعلمت انى قد رزقت على الدهر دولة واعطيت على الغم كرة وودرت البشارة التى جعلتها تاريخ احسان الدهر * وغرة وجه العمر * ودرياق القلب والصدر * وعلمت ان الله تعالى لم ييسر هذه القدمة * ولم ينلنى هذه العزمة * الا وقد اراد بى خيرا * واعتمد لى احسانا وبرا * وقدر ان يثلج صدرى ويشد بها ازرى * ويقوى ظهرى * وينتصف لى من دهرى * ويهزم عساكر الزمان عنى * ويفرق شمل الحدثان دونى * ويرزقنى النظر الى وجه من صنعنى * وخرجنى واصطنعنى * فعلمت الترسل من نثره * واصبحت شاعرا برواية شعره * ووطئت بساط الملوك بعنايته اولا وراضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيا هذا من دقاق آثاره لدى * ومنسى صنائعه الى * وانما ذكرت قلا من كثر * واشرت بلمحة الى بدر * فالآن حين اجر ذيل

الفرح * واتمر بل الجذل والمرح * وارى اهل نيسابور خاصة * واهل المشرق عامة * ان خوارزم بيت الرجال * ومعدن الكمال * ومنبت الفضل والافضال * وان فى الزوايا خبايا * وفى الرجال بقايا * وان البقاع متساهمة فى الفضل * ومتفاوتة بمقادير الاهل * ووددت ان صاحب الجيش يركب النجم السيار * ويمتطى الفلك الدوار * ويطوى المنازل طى الرداء * ويصل الغداة بالعشاء * بل وددت ان الريح تحمله * او ان البراق ينقله * وان الخضر يصحبه خليلا * وسليمان بن داود عليهما السلام يرافقه زميلا * ليصغر حجم الانتظار * وتقل مدة بعد الدار *

ولا اعتد فى الدنيا بيوم * يمر ولا اراك ولا ترانى

وها انا ايد الله تعالى صاحب الجيش سيف طرير * وسنان شهير * ولسان على الاعداء مسلول * وسلاح على حساد النعمة مصقول * اذا ورد ايده الله تعالى لزمت بابه * وصحبت ركابه * وكنت بوابه * وقد اعلمت من سالنى عن صاحب الجيش انه رجل طلع به النجم مرة ودار به الفلك فلتة وولدته امه غلطة وسعد به الزمان خلسة * فهو فى الرجال علم وفى الكمال عالم وفى الزمان واهله غريبة * وبين الدنيا وبنيها يتيمة * قد كنت سألت صاحب الجيش حاجة صغرت عن ان تلحظها اجفانه * او يجرى بقضائها لسانه * ولكن الحاجة على قدر السائل * لا على قدر الباذل * والهبة تصغر وتكبر فى وزان الطالب * لا فى وزان الواهب * والصغير اذا احتيج اليه كبير * كما ان الكبير اذا استغنى عنه صغير * ولو تبارى اهل الشكر فى رهان * وجروا نحو الغاية فى ميدان * لبرزت فى الحلبة الاول * وكنت فيما بينهم الاغر المحجل *

ولو ان للشكر شخصا يبين * اذا ما تأمله الناظر
لصورته لك حتى تراه * فتعلم انى امرؤ شاكر

وصلت الجارية فقبلتها بالطاعة * ورددتها بالدالة عليه فى الساعة * لان فلانا صديق قد ملكها وانا اكره ان اعاشر رجلا له فى دارى غلاق * وان تكون عندى مضربة لها غيرى لحاف * فما اقبح بالحر ان ينادم من شركه فى

جرمته

حرمته * وسبقه الى باكورته * فيجلس لخلان على لبد * ويجتمع سيفان في غمد *

﴿ وكتب الى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتابه بخبر علته يعتذر ﴾ ﴿ اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة ﴾

هذا كتابي اطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة الا من الاهتمام لعلته * ومن التذمم لترك عيادته * ومن العتب على الايام الجارية الراكدة الفاترة * الظالمة الجائرة * فيما دهمت به الكرم واهله * والفضل وشمله * والحمد لله تعالى لا على انه حمد مستزيد فيما نابه * مستمد بالشكر لما اصابه * ولكن اقامة لرسم العبودية * وسلوكا في نهج البشرية * وصلى الله تعالى على سيدنا محمد و آله خير البرية ورد على كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد قرم هزني * وتطلع طويل لوروده اقلقني واستفزني * وبعد انى حاسبت لتأخره عنى نفسى على ذنوبي واستدركت عليها عيوبي * وجلت في زوايا جناياتى عليه * واساآتى اليه * انظر بايتها استحققت ان اطوى في ادراج الجفوة * واجلس على قافية التغير والنبوة * اذ كنت اعلم ان صاحب الجيش اعرق في الكلام نفسا * واصدق في الفضل حسا * من ان يعاتب وفي الصبر فضلة * او يؤاخذ وللاحتمال جهة * فلما كاد الكرب ان يستحوذ على خاطرى * ويستوعب حساب صدرى وصبرى * طلعت على النعمى * في اثناء البشرى * وانفرجت لى ضبابة التخمين * عن نور اليقين * ووصلت الى السعادة * تكتنفها الزيادة * وفضضت الكتاب الكريم عن كل ما اجذل النفس وسرها * وبرد العين واقرها * حتى وصلت منه الى خبر العلة فدارت بي الارض وهي ساكنة واظلمت على السماء وهي مسفرة وضاقت على الدنيا وهي واسعة فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوى الكرم الب * وعلى الفضل واهله حرب * وللؤم واللئام حزب * وللادب ورهطه عدو معاند * وللجهل وذويه ولى

معاضد * ثم رجعت الى ادب الله تعالى ذكره فوجدت ساحة الصبر اوسع و مطية الدعاء اجل فقلت اللهم ارفع عن مهجة المكارم اذاها * و ادفع للمجد عن تلك النفس النفيسة و الروح الاريحية ما يبيح حماها * و تصدق علينا و عليه بهذا الواحد الذى بقاؤه جسر بين دولة الفضل * و كرة الجهل * و برزخ بين مد الجود و جزر البخل * ثم انشدت

ما حال من كان له واحد * يمرض عنه ذلك الواحد

و انا اتوقع كتاب صاحب الجيش بخبر العافية فان تأخر كنت جنيبه فى العلة و ان ورد عمرت المساجد صلاه * و ملأت الفقراء و المساكين زكاه * و صمت حتى تعاتبنى بطنى سغبا * و قمت حتى تخاصمنى رجلاى تعبا * و صليت صلاة امامية * و عبدت عبادة علوية * و لم افعل مافعله ابن نوفل حيث قال فى ابى شبرمة

فغزوان حر وام الوليد * ان الله عافى ابا شبرمه
جزاء لمعروفه عندنا * و ما عتق عبد لنا او امه

فسأله جار له عن غزوان و ام الوليد فقال سنوران فى الدار فاعتد بعتق رقبتين و هو يعتق سنورين * و لكن افعل ما فعل قيس بن معاذ مجنون بنى عامر حيث يقول

انا جهلنا فخلناك اعتللت و لا * و الله ما اعتل الا الظرف و الادب

و اذا اتصل بى خبر العافية الذى هو عندى عافية الدين و الادب * و الفضل والحسب * قلت

و ما اخصك فى برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

اردت ان اركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال * و يقتل الخيل و البغال * حتى اصل السير بالسرى * و اجمع بين العصر والاولى * فاشاهد نعمة الله تعالى عليه و علينا به فى افراقه من علته * و اكتسائه ثوب عافيته * ثم تطيرت لنفسى من ان انظر الى ولى نعمتى وبه آثار الصفرة * و الى جسمه

و به

وبه بقايا الفترة * هـذا بعد ان جمعت منتشر اسـبابى * و وضعت رجلى فى ركابى * و رفعت عصا السفر * و سلمت نفسى الى القضاء و القدر * و انشدت قول الفرزدق

و نعود سيدنا و سيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعواد

ثم اتبعته قول ابى الطيب المتنبى

حق الكواكب ان تعودك من عل * و تعودك الآساد فى غاباتها

و لقد جنت الايام على الاحرار جرما عظيما * واتت الى الكرام فعلا ذميما * و ترجم الدهر بانه لئيم لا يحب كريما * جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام * و خاتمة جنايات الايام * و لا ارانى الله بعدها فى صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلى * ويطلق وجه الغنى * و لا فجع بسلامته الدين و الدنيا *

﴿ وكتب الى ابى الحسن المعروف بالبديهى الشاعر زعم يعبث به ﴾

لست اعاتبك عافاك الله تعالى لان العتاب يصلح منك * او يعمل فيك * او لان جهلك جهل يعالج بالعذل * او يداوى داؤه بالقول * كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل * و لا يقع دواؤه الا من الكف والنعل * ولكنى انما اردت بهذه الرسالة ان تتوجه عليك الحجة * وان تنقطع عنك العلاقة والعلة * وان كانت ترد منك على عين عمياء * واذن صماء * وقلب لا يعرف النقصان الا فى ماله * ولا يحس بالالم الا فى جسمه * ولا يجد للنقص مسا ولا للعيب وقعا ولقد عققت هذا الكلام بك * وضيعته فيك * ووجهته منك الى من نزه عنه العتب لغباوته * والشتم لحقارته * ولو قدر الكلام على عقوبة من صنعه * وتوصل الى تضييع من ضيعه * لعاقبنى بان يطيل هجرانى * ويكون هذا آخر عهده بلسانى وبنانى * فها انا المظلوم الظالم * والمخاصم المخاصم * ظلمتنى بلؤمك * فظلمت الكلام بلومك * وخاصمتك فى جهلك * فخاصمنى العقل فى عذلك * فيا من جمع على مصيبتين * ووضعنى

على طريق الظلم من جانبين * ويا من ابت العجائب فيه ان تردني الا من طرق شتى * وان تقع الا مثنى مثنى * وليس محنتي فيك باعظم من محنة الحق الذى لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفسا لسعيت فى دمها * او تمثل دارا لجهدت فى هدمها * كأنك لم تخلق الا لتطمس عين النور * وتقلب اعيان الامور * فتجعل الضوء ظلمة وتعكس البدعة سنة حتى كأن سوفسطا استخلفك على جحد مايدرك عيانا * ويعرف ايقانا * فانت وارثه فى الباطل * وناصر جهله على كل عاقل * وحتى كأن الله انزل عليك قرآن ضلالة * وبعث اليك رسول جهالة * وقال لك خالف الاجماع وانت على السنة * وعاد الصواب وانت فى الجنة * واوحش الاحرار وانت اصل الحرية * وباين الناس ومنك منبع الانسانية * وانصر اللؤم وانت الكريم * وناقض الحكماء وانت الحكيم * لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه * ولو دفن المحال فى تخوم الارض السابعة لغصت عليه * الجميل عدو لك تحاربه * والسداد ضد من اضدادك لا تقاربه ولا تناسبه * فانت العكس الا انه يمشى على رجلين * والجور الا انه ينطق بلسان وشفتين * والجهل الا انه مخاطب * والعى الا انه مثاب معاقب * لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت انه زنى * ولو ذوكرت فى القائم ادعيت انه مضى * ولو استخبرت عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم * ولو نوظرت فى عيسى نفيته عن مريم * ولو انشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الافحام * ولو ذكر ابو جهل حكمت له بالاسلام * ولو استحسن كلام مزيد قلت انه ميت الخواطر * فاتر النوادر * ولو سمعت خطب امير المؤمنين على عليه السلام استعييت بيانه * ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه * ولو رأيت بناء ارم ذات العماد استصغرت شانه * ولو اجرى حديث الحسين بن على عليهما السلام صوبت رأى قاتله * وعذرت فعل جادله * ولو حكى قول فرعون انا ربكم الاعلى قلت ما اخطا ولا تعدى ولو سمى ابن عباس نفيت عنه علم التأويل * ونحلته الجهل بمتن التنزيل * ولو خوطبت فى التراويح اخذت بابتداعها الشيعة * ولو عد الاجبار والتشبيه الزمت دينهما المعتزلة ولو انشدت * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * ما رضيت نظمها * ولو اسمعت * لا يذهب العرف بين الله والناس * ما استحليت طعمها *

ولو

ولو حلم الاحنف بن قيس استخففت عقله * واستعظمت جهله * ولو استفتيت في فريضة ادعيت فيها اجماع الامة * واتفاق الأئمة * ولو اعيد حديث ذي القرنين واستيلاؤه على الخافقين احتقرت سعيه * ولو تعجب الناس من بناء الهرمين اخذت تذكر انتقاصه و وهنه * ولو استبدعوا صنعة الخليل العروض اخذت تزعم انه ما احدث امرا * ولا افترع بكرا * ولو استحسنوا وضع كليلة ودمنة وصفت ان امثالها غثة * وان حكمها رثة * ولو فضل التوحيد افردت به النصارى ولو عيب الثنوية رأت من عيوبهم ماني ولو غنيت بالحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بانهما من بابة التوبة والعبادة * ومن شريطة النسك والزهادة * ولو مدحت العافية اسهبت في ذمها * كما لو فضلت السعادة اكثرت في شتمها * ولو شاهدت الهند عبتهم في ضعف العزيمة كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم في رداءة الصنعة ولو عاينت العرب رميتهم بضيق البيان واللغة وقلة العارضة والبديهة ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه زدت فيها سن المنعة ولو عثرت بحديث يزيد بن معاوية عددت في فضائله يوم كربلا والحرة ولو قرئ بين يديك القرآن عارضته بنوادر ابي العبر و بكلام يحبب الغلط ولو لحظت السماء قلت ما اسوأ ما دحيت و لو درست ايام الفرس هجوتهم بقلة السياسة وضعف التهدي للعمارة و لو خوفت بيوم القيامة ذكرت انه يوم قصير صغير * وان الخطب فيه يسير حقير * و لو فوتحت في حديث العنقاء حلفت انها باضت و فرخت في بيتك * ودرجت في وكرك * و انك طالما سقيتها و اطعمتها * وطالما اسرجتها والجمتها * ولو عظم امر التنين * وحكي الخلاف في اثباته بين المصدقين والمكذبين * اقسمت انك اصطدته من البحر بشبكتك * و رميت به في السحاب بقوتك * ولو عدت انساب العرب شهدت ان الشرف في سلول وجرهم * و في عدي وتيم * وان هاشما في قريش اذناب * كما ان دارما في تميم اوشاب * غايتك ان تزعم ان هشام بن الحكم ناصبي وان ابا الهذيل العلاف نابتي وان ابا بكر الاصم شيعي وان واصل بن عطاء حشوي وان سليمان الاعمش خارجي وان عبد الحميد بن يحيى امي وان رؤبة بن العجاج اعجمي وان اياس بن معاوية

شامى وان معاوية اول من احيا السنة وامات البدعة كما ان الحجاج اول من سن الرحمة ونسخ القسوة وان النابغة الذبيانى لم يحسن الاعتذار * كما ان ابا نواس لم يصف الخمر ولا الخمار * وكما ان ابا بكر الصنوبرى لم ير الانوار ولا الازهار * وان طفيلا الغنوى ما ركب * كما ان اعشى قيس ما شرب * وان العفاف هندى كما ان السخاء رومى وان الوفاء تركى كما ان العقل صقلى وان التشيع شامى كما ان النصب كوفى وان التجار اقل خلق الله كذبا كما ان الملوك اصغر الناس همما وانه ليس شئ اقل تخالفا وتناقضا من روايات المحدثين * ولا كلام اقل سخفا وهجرا من اشعار المناقضين * وان ابليس اصاب فى تفضيل النار على الطين * فلذلك جعل من المنظرين الى يوم الدين * وان هاروت وماروت قد احسنا فى عصيان الرب * ومواقعة الذنب * فلذلك صارا فى السحر امامين * وللخلق معلمين * وان الدين لعبة لاعب * كما ان التوحيد كذبة كاذب * وان الوحى اساطير الاولين * وان السنة ارجاف المكلفين * وان العالم يركب متن عمياء * وان الموحد يخبط خبط عشواء * وانك من بينهم الذى خص بالعلم القديم * واخبر بالنبأ العظيم * ولو انك زهير لانفت من ان تقول

واعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قلت

اذا ما انتهى علمى تناهيت عنده * اطال فاملى ام تناهى فاقصرا

وانك لو سمعت عليا يقول سلونى قبل ان تفقدونى * سألته حتى يقول دعونى فقد الخمتمونى * وانك لو امدت بك الملائكة ما قالت سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وان اباك آدم لو اعين بك ما لعب ابليس به * ولا انف من السجود له * وان عمك قابيل * لو رآك ما اقدم على اخيه هابيل * وان امك حواء لو رأتك نشزت على ابيك * عشقا لك ورغبة فيك * وان العجم عرب اذا كنت فيهم * كما ان العرب عجم اذا بنت عنهم * وان الرياض انما اكتسبت طيب ريح لانها تستمد من نكهتك * وان النجوم انما اعطت ضوءها من ضوء غرتك * وان الخيل ما اختالت فى مشيها الا لانها حملتك * وان الطير انما لحنت

اضواتها

اصواتها لانها عشقتك * وان البحار انما ماجت وزخرت هيبة لك * وان الجن انما توحشت وخفيت لانها حسدتك * وان الشمس انما جعلت مبصرة والقمر انما جعل آية محوة لان الشمس تواضعت لك بالتأنيث والقمر نازعك فى التذكير وان عدى بن الرقاع تحول فى هيكلك ونطق على لسانك حيث قال

وعلمت حتى ما اسائل واحدا * عن حرف واحدة لكى ازدادها

وان هذا البيت معه طفيلى وفيما بين شعره دعى وانت احق به * واملك له منه * وانك نظرت الى عيب كل ذى صناعة من وراء ستر صفيق حتى عرفت مخاريق المنجمين بكذبهم فى الاحكام * وغلطهم فى حوادث الايام * وعرفت اختلاف النحويين * بتخالف الكوفيين والبصريين * وانهم لو ابصروا الرميه خرج السهم سديدا ولو عرفوا الطريقه كان المقصد قريبا وان الخلاف دليل على ركوب المحال * وان ليس بعد الحق الا الضلال * وعرفت ابطال الاطباء بمناقضة الرومى الهندى وتكذيب الفارسى اليونانى وان عيش البدوى فيما فيه موت الحضرى وان الذى يموت على ايديهم من المرضى اضعاف من يعيش ويبقى وعرفت تخبط اللغويين بافتنان لغات القبائل * وتباين السن اهل المياه والمنازل * فلغة عدنان غير لغة قحطان * ولغة خندف غير لغة قيس عيلان * والعدى يقول ان هذين لساحران * والحارثى يقول ان هذان لساحران * وعرفت عناد الفلاسفة بادعائهم قدم الطينة وانكارهم ما يعاينونه فى انفسهم من الدلالة وقلت كيف يعرف غيره من انكر نفسه وكيف يستنبط الغائب ما لا يرى الحاضر وعرفت جهل المهندسين بجهلهم جذر العشرة وهى اس العد * واول منازل العقد * وقلت كيف يعرف الكثير من لم يعرف القليل وانى يحكم الفرع من لم يحكم الاصل وكما لا يجهل الواحد من عرف العشرة فكذلك لا يجهل العشرة من عرف المائة وعرفت حيرة المحدثين بتناقض رواياتهم * واختلاف كلماتهم * وان احدهم يثبت الرواية ثم ينفيها * ويجلد بالكبيرة ثم يرخص فيها * ويحل الشئ ثم يحرمه * ويصغر الاثم ثم يعظمه * وعرفت شك المفسرين * بان احدهم يسمع قول

الله تعالى بلسان عربي مبين * و قوله و ما ارسلنا من رسـول الا بلسان قومه ثم يقول استبرق فارسية و سجيل اعجمية و سندس عبرانية و ناشئة الليل سريانية و ان هذان لساحران حارثية ثم عطفت بعد هـذا كله على نفسك فقلت انا الطبيب الذي لا يموت من شفاه * ولا يمرض من داواه * و النحوي الذي لا تختلف علتاه * و لا تنقض باولى قوله اخراه * والمحدث الذي لا تتناقض رواياته * و لا يثبت ما نفاه * والفيلسوف الذي لا يحمل طبيعة على شريعة و لا يختص بعلم عقل دون علم رياضة و المهندس الذي يعرف الجـذر الاصم * و يهون العقد الاشـد و المنجم * الذي قلبه كتابة * وعينه اسطرلابة * قد سمعنا صواءك ايها الراضي عن نفسه و الغضبان على غيره و العاشق لفعله و المبغض لافعال دهره فلا جزاك الله خيرا لا عن الحق عدوك * و لا عن الباطل صديقك * اما الحق فلانك هدمت مناره * وطمست آثاره * و اما البـاطل فلانك ابرزته في معرض الفضيحة حتى هتكت استاره * و كشفت عواره * و نشرته حتى ظهر مضمره * و نصبته حتى ظهر زهوه * و انما يقبل الناس من البطل ما يشبه الحق * و يأخذون من الكذب ما يحاكي الصدق * فاما الباطل الذي تبصره العين العمياء * و تسمعه الاذن الصماء * و يستوي في ابراز شخصه النور و الظلماء * فانه ينهى عن نفسـه * و ينذر الابصار والبصائر بعينه * و ينادي بنقص من نطق به فيا من لا يقبله الباطل و لا الحق و لا يناسبه الجور و لا العدل الى ما ذا انسبك بعدهما * و الى اين اذهب بك عنهما * رحمك الله تعالى

و هذا دعاء لو سكت كفيته * فاني سألت الله فيك و قد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزءا لا يتجزأ لما جبلك كما جبلك * و لا خذلك كما خذلك * و اني لاعلم ان دعائي هذا اول خائب * و ان سهمي فيه غير صائب * و لكني اصانعك به * واسخر منك فيه * فاقول رحمك الله تعـالى انا لو سلمت لك انك انسان نفيت عن نفسي الانسانية * و صححت عليهـا البهيمية * اعلى منك في النقص حكمة * واعظم منك في الجهل طبقة * فشر من الجهل نصرة الجهـال * واسوأ من الضلالة الاحتجـاج للضلال * لا ترضى ان تصير

في

فى صناعتك ذنبا وقد كنت فيها اصلا ولا بان تكون تلميذا وقد كنت قديما
فيها استاذا تواضع بنا رحمك الله تعالى فان التواضع خلق من اخلاق السلف *
وشبكة من شباك الشرف * وتصدق علينا ببشرك فان الله يجزى المتصدقين*
واحسن فان الله يحب المحسنين * ولاين اخوانك فى فعلك وقولك * فلو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك * ولولا انى رحمك الله تعالى لا اقول
بالرجعة ولا اذهب مذهب التناسخية لظننت ان جميع ما انطوى من العالم تحول
فى هيكلك * وانحصرت محاسنهم فى شخصك * ولظننت انك يونس بن فروة
الذى قيل فيه

اتى ابن فروة يونس وكأنه * فى كبره اير الحمار القائم
ما الناس عندك غير نفسك وحدها * فالناس عندك ما خلاك بهائم

فلقد اعجبت بنفسك الخسيسة التى لا تستحق العجب * واحببت منها ما لا يساوى
الحب * حتى كأن كسرى انوشروان حامل غاشيتك * وكأن قارون وكيل
نفقتك * وكأن بلقيس ذات العرش العظيم دايتك * وكأن مريم البتول امتك *
وحتى كأن ريح عاد هبت من غضبك * وحتى كان العود وجميع الملاهى وضعت
اطربك * وحتى كأن المريخ يستقى من صولتك ومضائك * وعطارد يستمد من
لطفك وذكائك * وحتى كأن زرقاء اليمامة لم تنظر الا بمقلتك * وكان لقمان
لم ينطق بغير حكمتك * وكأنك بنيت منارة الاسكندرية من آجر دارك ووسعت
ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك وكأنك علمت زيادا السياسة *
وافدت عبد الحميد الكتابة * ولقنت يحيى بن خالد الفصاحة والقيت على
الحسن البصرى المحبة وعلى الحجاج بن يوسف الثقفى الهيبة وحتى كأنك
زرعت غوطة دمشق وشققت انهار البصرة وهندست كنيسة الرها ووضعت
قنطرة سنجة وحتى كأن سد ياجوج وماجوج بيديك * والامر فى خروجهم موكول
اليك * وليس بين الامة وبين ان ينسفوا زرعهم وضرعهم * ويجوسوا برهم
وبحرهم * الا لفظة من الفاظك * ولحظة من الحاظك * وحتى كأن فضائل
امير المؤمنين على عليه السلام من فضائلك مسترقة * وعجائب بنى اسرائيل من

عجـائب صنعك ملتقطة * وغرائبهم من غرائب فعلك مستنبطة * وحتى كأنك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك * وحتى كأن الحان داود عليه السلام بعض ما يسمع فى محرابك * وحتى كأنك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك * ومن كبش اسحق عشاءك * وحتى كأنك امرت شداد بن عاد * ببناء ارم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وحتى كأن خالد ابن الوليد قاتل تحت رايتك * وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك * وحتى كأنك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت ازيج الاول وعدلت الطبائع الاربع وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر اليه * ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه * وحتى كأنك اورثت بنى اسـد العيافة * وبنى مدلج القيافة * وعلمت شـقا وسطيحا الكهانة * وحتى كانك علمت حاتم بن عبد الله السخاء * والسموأل بن عاديا الوفاء * وقيس بن زهير المكر والدهاء * واياس ابن معاوية الفطنة والذكاء * واخذ عنك سـيف بن ذى يزن اخذ الثار * والادراك بالاوتار * وحتى كأنك دعوت لبنى اسرائيل حتى جعل الله فيهم انبياء وملوكا وآتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة فى خنصرك * وحساب الدنيـا دخلها وخرجها فى بنصرك * وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك * والغمام يندى من يمينك * وكأن البحر يمد اذا امرته * ويجزر اذا زجرته * وحتى كأن كسرى انوشروان صاحب نفقة اصطبلك * ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك واهلك * وحتى كأن تكريت محل دارك * والدرة اليتيمة اخس سوارك * وحتى كأن رستم بن دسـتان عجز عن مد قوسك * واسفنديار ابن كرسـتاسب ضعف عن حمل سيفك وترسـك * وحتى كأنك فى ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام ويقصر معهما قصر غمدان * ويضيع فيهما تاج كسرى بن ساسان * ويتضع عنهما جبرية فرعون وهامان * وحتى كأنك لا احد اعلم منك فاضربه مثلا ولا اعلى منك فاجعله غاية وامدا ومن شـبهك به فقد رد الوصف اليك * ووفره عليك * والفرد لايشـبه بغيره * والراجح لا يوصف بمن تقاصر عن رجحان قدره * واذا

اردت

اردت ان تعلم انى فى ذمك جاد وفى مدحك لاعب * وانى فى الشهادة عليك صادق وفى الشهادة لك كاذب * فانظر الى تهافت قولى اذ لاينتك وجاملتك * والى اصابتى الغرض وحزى الفصل اذ كاشفتك وصدقتك * وذلك ان الصادق معان وماخوذ بيده * والكاذب مخذول مغضوب عليه * وما كان الله تعالى ليوفقنى لفصل الخطاب وانا اجامل من لا يعرف قط اجمالا ولا تجملا * وافاضل من لم يناسب مذ كان افضالا ولا تفضلا * والفصول التى قصرتها على مدايحك * و لينت فيها مس القول لك * فانما هى عوذة عوذت بها هذه الرسالة * وطلسم حسن صنت بقبحه هذه المقالة * فعوذت احسن الاشياء باقبح الاشياء * وسترت بنقصان المدح كمال الهجاء * على انى قد غالطت اسماع الناس وابصارهم * وسحرت بهذا البيان خواطرهم وافكارهم * فهم يحسبون انى اجدت وانما الصدق اجاد ويقدرون انى احسنت واصبت وانما قصدى الحق احسن واصاب فلو شتمتك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان و فم كان كلامى قلائد وخير المدح والهجاء ما كان له راو من نفسه ومصدق من ذاته

وان احسن بيت انت قائله * بيت يقال اذا انشدته صدقا

يا غداة الفراق * وكتاب الطلاق * يا موت الحبيب * وطلعة الرقيب * يا يوم الاربعا فى آخر صفر * ويا لقاء الكابوس فى وقت السحر * يا خراجا بلا غلة * ودواء بلا علة * يا اثقل من المكتب على الصبيان * ومن كراء الدار على السكان * يا ابغض من لم ولم * ومن لا بعد نعم * يا بغلة ابى دلامة وحمار طياب وطيلسان ابن حرب * وضرطة وهب * يا قدح اللبلاب فى كف المريض * يا نظرة الذل الى البغيض * يا كنيف السجن فى الصيف * يا شرب الخمر على الخشف * يا وجه المستخرج يوم السبت * يا افطار الصائم على الخبز البحت * يا جشاء من اكل كجلية * وفساء من اكل قنبيطية * يا وكف البيت الشتوى فى كانون * وعلى الكانون يا فراش الجرب المبطون * يا ليل الغربة * ووقت العشق والافلاس والغربة * يا خجل الضرطة *

وجواب الغلطة * يا كد المقمور * و دهشة المصبور * يا اقذر من ذباب على جعر رطب * و يا اذل من قراد فى است كلب * يا اشأم من دم نبي يا انتن من بول خصي ياشرب الترنجبين على الريق فى تموز يا عقب التخمة على اثر الحجامة فى غرفة بغير كوة يا طلعة ملك الموت فى عين الكافر * وقد ختم عمره بالكبائر * يا دخول الطفيلي بيت المروزي يا نظرة العنين الى البكر وقد عجز عنها * واستشعر مخايل الغضب منها * ياقرع الغريم الباب * ومعه جريدة الحساب * ياحوض دكاكين الدباغين * ومنهج حوانيت القصابين * يامغيض ماء الحمام * يا كوز حانوت الحجام * يا وجه المانع وقفا المحروم * يا شخص الظالم فى عين المظلوم * يا الأم من اللؤم * واشأم من الشؤم * واقل من المعدوم * واوخم من غم المبرسم المحموم * يا غم الدين * ووجع العين * ويوم البين * يا اوحش من زوال النعمة بعد كفرها * واقبح من ارتجاع الصنيعة بعد شكرها * يا فم من اكل السمك فى الشمس ولم يغسل يده * وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه * يا ابرد من كافورة فى الثلج مدفونة فى يوم شمالى قرة * وفى وقت بكرة * فى جبل من جبال ارمينية يا اثقل من جبل رومى تحت ثلج حولى فوقه عساكر فى وسطه قوافل لا بل يا اثقل من منادمة طفيلي على الندماء * مقترح فى الغداء والعشاء * محمش للساقى قاطع على المغنى * يوائب و يزنى * لا بل يا اثقل من الحق عليك * و ابغض من الانصاف اليك * يا جواب الحجاب * وعبوس البواب * يا مهاجرة الصديق * يا نظرا الى زوج الام على الريق * يا سوء القضاء * وجهد البلاء * ودرك الشقاء * يا شماتة الاعداء * وحسد الاقرباء * وطوارق الارض والسماء * وملازمة الغرماء * وعربدة الجلساء * وخيانة الشركاء * وغش الاصدقاء * وملاحظة الثقلاء * ومسئلة البخلاء * ومحادثة البغضاء * ومشاتمة السفهاء * ونصرة الضعفاء * وعداوة الامراء * ومزاحمة السعداء * يا كرب الدواء * يا من لو كان اللؤم يلد كان اباه * ولو كان يولد كان اخاه * ولو شارك شريكا ما عداه * يا بيع المتاع الكاسد * وجوار الجار الحاسد * وسماع المغنى البارد * يا مطبوخ الافيثمون * وحب الاسطيفون * يا ليلة المسافر * فى كانون الآخر * على

اكتناف بائس * تحت مطر و برد قارس * يا من لو نظرت اليـه السماء و هى تمطر اقلعت * و لو طلعت الشمس بوجهه ما طلعت * يا خيبة من رأى السراب فظنه شرابا * وندامة من نظر الى الخطـا فتوهمه صوابا * يا من هو دليل على ان الله تعالى جواد حيث اطعم مثله و رزقه * يا من هو حجة الملحد على الموحد فى قوله الذى احسن كل شئ خلقه * يا من احتماله اصعب من عد الرمل * ومن عدد النمل * ومن رأى شعرة سـوداء بالليل * والصبر عليـه اشق من الصعود الى السمـاء على سلم من زبد * وحبـال من شهد * والنظر اليه ابشع من النظر الى ذبح الانبياء عليهم السلام و نبش قبور الشهداء و الاولياء جعلت فداءك من الخير لا من الشر هذا كله مصانعة لك * ورفق بك * وذلك لانى شبهتك باشياء تنقص فى باب الذم عنك * وتأنف والله منك * ولقد ظلمتها بك * اذ كان قد تفرق فيها من المعايب ما اجتمع فيك * ومن لى بشئ يوازيك * وشبيه يضاهيك * ومن اين اجد اللؤم منتظما * والقبح مجتمعا * والجهل مجتمرا والشؤم محتفلا والنقص محتشدا فى هيكل واحد وفى شخص ماثل وانما يجد الواصف ما يسمع و ما يرى * ويحيل المشبه على ما كان او يكون فى الورى * قد شبه الله تعـالى نوره بنور المصبـاح و المشكاة والزجاجة وان كانت الثلاثة قاصرة عنـه فى الصفة رحمك الله تعالى دع لليونانيـة من الحكمة ما تنفق به سوقهم * و اترك لبنى العبـاس من الممالك ما تمشى به امورهم * وابق للشمس و القمر من الحسن بمقدار ما يطلعان به * و يلوحان فيه * وهب للريح العـاصف * والرعد القاصف * من الصولة قدر ما يسمع به صوتهما * ويصح به اسمهما و نعتهما * وارفق بالارض من خطواتك * وارحم الجبار من شدة سلطانك * وانظر الى النسـاء من وراء حجاب و من خلف برقع والا خرجن عن عشقك من سـتر الله * وقطعن ايديهن وقلن حاش لله * فلا تعرض اماء الله لسخط الله * ولا تفرق بينهن وبين عباد الله * ولا تحمل الخرائر على خشونة الطلاق * ولا تذق المماليك مرارة الاعتاق * ولا تزد فى شغل الكرام الكاتبين ولا تسود صحف العالمين * ولا تشمت ابليس بنا * ولا تعطه مراده فينا * ولا تمش فى الارض مرحا

انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا لى رحمك الله حوايج فان قضيتها كنت قد تسلفت شكرى ورضاى * وان رددتنى عنها فقد رأيت انموذج سخطى وشكواى * قد اتفق الناس على ضياع النسخة الاولى من كتاب العين فامله علينا * واجمعوا على ذهاب قراءة ابى بن كعب و عبد الله بن مسعود فاخرجهما الينا * وتخالف الناس فى المهدى و شكوا فى السفيانى * وفى الاصفر القحطانى * فعرفنا متى يخرجون * فانى اعلم انهم اليك يختلفون * وفى امرك ونهيك مترددون * وبمشورتك يغيبون ويحضرون * والكيمياء فقد علمت انه انفقت فيه الاموال * وتعب له الرجال * ثم لم يحصل لهم منه الا امانى مسوفة * ومواعيد مزخرفة * فما عليك لو علمتناه واغنيت الفقراء وزدت الاغنياء وارحت الناس من الضرب فى البلاد * ومن الكد والاجتهاد * ومن ان يخدم الفقير غنيا * ويتخذ بعضهم بعضا سخريا * والزيج الاكبر فقد انقطع وانقرض اهله وهو من مفاخر الروم علينا * ومن محاسنهم دوننا * فاعمل فى اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين فى ابداعه ومسجد دمشق فهو حسنة يباهى بها اهل المغرب اهل المشرق فاين لنا مثله * ولا تثبت علينا فضله * فانما هى ساعة من هندستك * وجزء تستعمله من اجزاء حكمتك * وقد زدت عليه * وبنيت ضعفيه * وآل ابى طالب قد علمت انهم مسلوبون حقهم * ومغصوبون ارثهم * فتقدم الى غلامك الدهر بان يرفع رايتهم * ويرد اليهم ولايتهم * والفلك قد زعموا انه خرف فاردد شبابه * واعد عليه من الشبيبة ثيابه * وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا منفعة الاهليلج * ومضرة اللوزينج * وتجعل فى اللوزينج منفعة الاهليلج * فاذا بك قد جعلت الناقص كاملا * واضفت الى العاجل آجلا * وليس يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجرى صديق ابليس فارنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك * ولطائف فكرتك * ما يكسد به سحرهم * ويهدم به فخرهم * فان ابليس تلميذك تعلم منك * واخذ عنك * وشتان بين من يدعى ان ابليس من اخوانه * وبين من يعتقد انه من غلمانه * وهل استنظر ابليس الى الوقت المعلوم الا ليدرك زمانك * ويرى برهانك * وهل حسد

آدم

آدم الا عليك * وهل عاداه الا فيك * ولعلك تنكر قولى خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر سماويا و انت ارضى * و لا كانت الملائكة روحانية و انت بشرى * ولا كانت السماء تظل * والارض تقل * وانت اكبر منهما قدرا * واكرم منها نجرا * ولا كانت الدنيا تنضم عليك وانت الدنيا ولا كنت عند الناس بعض الورى وانت الورى * ولا كنا نسميك ونكنيك ذهابا بك وبقدرك عن الاسامى والكنى * انى وفقدك فلا شئ اعز على منه * ولا احسن منه * ما سمعت قول على بن جبلة فى ابى دلف

انما الدنيا ابو دلف * بين باديه ومحتضره

فاذا ولى ابو دلف * ولت الدنيا على اثره

الا غضبت عنك عليه واعتقدت انه سرق صنعتك * واعار ابا دلف مدحتك * ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد * واياديه الجسام

فاذا ولى حميد * فعلى الدنيا السلام

الا تمنيت لو عرفت قبره فرجمته * او عرفت بيته فهدمته * ولا سمعت قول ليلى

فتى كان احيى من فتاة حيية * واشجع من ليث بخفان خادر

الا قلت فكيف لو رأت ليلى اخانا * فنعلم اين دعواها من دعوانا * ولا انشدت قول ابن ابى السعلاقى الرشيد

أغيثا تحمل الناقة ام تحمل هرونا

ام الشمس ام البدر * ام الدنيا ام الدينا

الا رحمتك مما قطع عليك طريق استحقاقك * ومدح غيرك بمحاسن اخلاقك * واما قول الطائى

تسود اقوام وليسوا بسادة * بل السيد المقدام سلم بن نوفل

فلا شك ان الشيطان تكلم به على لسانه * حتى ابرز وصفك فى غير اوانه * ولو رآك علم ان سلم بن نوفل لا يسود وانت حى واما قول زهير

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر

فانى والله اعجب منه كيف قاله فى غيرك ولم ترمه جهنم بشرارها * ولم ترجمه الملائكة باحجارها * واعجب منه قول من قال فى معن بن زائدة

مسحت معد وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذوو الاحساب

كيف يسبق غيرك فى حلبة انت فى عدادها * وكيف يكون غيرك سابق جيادها * انت رحمك الله تعالى من ايدى هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم * وفيما بينهم مظلوم * سلبوك علاك وهى حلاك * ونحلوها قوما سواك * والمدح الكاذب ذم * والبناء على غير اساس هدم * والكلام يرجع الى مظنته * والمدح ينصب الى قرارته * كما قال ابو الطيب المتنبى

واذا الفتى طرح الكلام معرضا * فى مجلس اخذ الكلام اللذعنى

وكفاك بفضلك مادحا لك * وحسبك بانفرادك مقارعا دونك * هذه رحمك الله هدية اهديتها اليك * بل هدى من العرائس جلوتها عليك * وما مهرها الا فقدك * ولا ثمنها الا بعدك * فاذا وهبتها فقد وفيت المهر * وارضيت العروس والصهر * فسبحان من ارانيك ولك صهر مثلى * وانت ختن لى * وعهدى بالناس يخطبون الكرائم بالكرم * ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم * وانت خطبت هذه الكريمة بلؤم نجرك * وصغر قدرك * وعهدى بهم يحتملون المهور فى اموالهم وانت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق اللبيس الممزق * واعجب مافيها انك اذا طلقتها لم تطلقك * واذا اطلقتها من حبالك لم تطلقك * فخذها مباركا لك فيها * فبئست العروس وزوجها شر منها *

*
* *

وكتب

﴿ وكتب فى نكبة نيسابور وواليها حسام الدولة ابى بكر بن عبدوس بعض ﴾ ﴿ عدول نيسابور ﴾

وصلت الرسالة التى كل الرسائل دونها فى الكتبة * كما ان كل كاتب دون كاتبها فى الرتبة * ووافقت منى قلبا معمورا بل خربا بالهم * وجسما معضلا بل مكدودا بالسقم * فشفت القلب حتى نسى همه * والجسم حتى طلق سقمه * واذا صدرت الموعظة من قلب سليم * ولسان حكيم * وردت على اذن واعية * وعين كالئة * واذا عرف الطبيب الداء * عرف الدواء * ولئن كانت الايام سلبتنى من المال علقا خطيرا * لقد ابقت لى منك عوضا كبيرا * ولئن كانت صادرتنى على ثوب يبلى * ودرهم يسلى * لقد وهبت لى من مودتك ما لا يبلى اذا استعمل * ولا يصدأ اذا اهمل * ولا يفنى اذا بذل * ولا يخلق اذا ابتذل * على انى قد تعودت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعنى * والفت صواعقه و رواعده حتى صارت و ان قربت منى لا تسمعنى * ونكبت حتى ما ابكى لنكبة * وفرحت حتى ما اضحك لفرحة * و لقد

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

فهـا انا الجريح المقطع * والفود المرقع * والغرض الذى رمى حتى دمى وضرب حتى نقب و اصابته السهام حتى لا يتوجع لها * و لا يحس بها * وطالما ارادت الايام ان تحركنى فوجدت بحمد الله صخرة راجحة ونفسا متماسكة وقلبا لا تقلبه السراء و لا الضرآء * و لا يغيره الدواء ولا الداء * ولقد اقبلت الايام على فما استقبلتها فرحا ومرحا * وادبرت عنى فما شيعتها جزعا ولا هلعا * ولبست لكل حال لبوسا * اما نعيما واما بوسا * ومما احمد الله تعالى عليه ان هذه الواقعة لم تثلم قدرى * وان كانت ثلمت وفرى * ولا حلت عقد صبرى وعزائى * وان كانت حلت عقد ملكى و ثرائى * وانى اصبحت يوم اجتماع جيشها على * وزحوف عساكرها الى * و الوجه طلق * و اللسان ذرب

ذلق * و اللون مضيء مشرق * و القلب متماسك متمالك * و مدد الصبر متقاطر متدارك * لم الاحظ القائت بعين تدمع * و لم اقابل النازل بنفس تهلع * و لا عثر لساني و لا قلبي في ميدان كلام * ولا قصر همي و لا همتي عن غرض في مرام * ذكرت ايدك الله سلفي رحمهم الله تعالى و انك بقيتي منهم * ومذكري بهم * و مسلي قلبي عنهم * و صديق الوالد والد و ان لم يلد * و ترب الولد ولد و ان لم يولد * و من صادق اخا و لم يصادق اباه فانما اخذه ابتر الذنب * مجهول الاصل و النسب * و من صادقه قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه * من كلا طرفيه * وعرف صديقه من جانبيه * رحم الله تعالى اولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم و بقيت فردا * وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد فجعت منهم بخير سلف * و ورثتهم خير خلف * اطال الله تعالى بقاءك على حالة ارضاها لك و ارضاك فيها * ولا استزيدك عليها * و هذا الدعاء محال فاني لو رأيتك امتطيت السماكين و انتعلت الفرقدين * و ملكت الخافقين واستعبدت الثقلين * و تناولت الشمس و القمر بيدين * و وطئت الفلك برجلين * ما بلغت ما اريد * وكنت استزيد و استعيد *

﴿ وكتب الى ابي الحسن بن عبد العزيز قاضي جرجان وقد خرج منها ﴾

فان اك قد ودعت نجدا و اهله * فما عهد نجد عندنا بذميم

جميع ما حصل لي بهذه الحضرة من تنزيل و انزال * و من اقبال علي و انثيال * ومن قول جميل و فعال * فانما فعل بي * واتفق لي * لاحسان الوزير كان الي * وتوفره كان علي * و بذله لي الرغائب التي لا تسمح بها الانفس مثله و لا تزل الا عن مثل يده فهو الذي قومني قيمة صارت لي بين الملوك قيمة عدل * و قضى لي بشهادة اصبحت في العباد و البلاد قضاء فصل * و نظر الى اهل هذه الحضرة بعينه * و وزنوني بمثل وزنه * و وضعوني في الكفة التي وضعني فيها * و اهلوني للرتبة التي اهلني لها * و علموا انه الحاكم الذي لا تنقض حكومته

حكومته * والشاهد الذى لا تجرح شهادته * والرجل الذى لا خيار مع قوله ولا نظر مع امره * ولا خلاف عليه * ولا رجوع الا اليه * وانه لا يشترى من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار صريحا صحيحا * ولا يرضى من القداح الا ما يخرج من كف المجيل معلى لا منيحا * فضربوا على سبيكته * وسلكوا فى طريقته * ونسجوا على منواله * وحذوا على مثاله * فوصل الى نواله * وان كان لم يصل الى ماله * وحصل لى بره * وان لم يخرج به امره * وشيعتنى بركات حضرته بعيدا عنها * كما كانت تستقبلنى وتكتنفنى قريبا منها * فكل جميل اطرفته فنسوب اليه * وكل خير رزقته فمن آثار لسانه ويديه *

ان تبوأت غير دنياى دارا * واتانى نيل فانت المنيل

وانما الملوك شعراء يتناقضون فعلا لا قولا * وفرسان يتسابقون انفسا لا خيلا * فالحمد لله الذى جعلنى افارق تلك الحضرة فلا تفارقنى عوائد فضلها * ولا ينحسر عنى نصيبى من ظلها * واياه اسأل ان يطيل بقاء الوزير على حالة ارضاها له فوالله ما ارضى له الارض خطة * ولا السماء ظلة * ولا الدنيا خزانة ولا الشمس طلعة ولا الدهر خادما ولا الفلك حاجبا ولا السعد رسولا ولا السيف قلما وان يحرس على الدين جماله * ويبلغه فى الدارين آماله *

﴿ وكتب الى بعض اصدقائه ﴾

كتابى وقد كنت احب ان ينظر سيدى الى وقد لبست جمال هذه الدولة وتشربت حالى ماء هذه الحضرة ورفعت طرفا طالما غضضته * وبسطت باعا طالما قبضته * فيعلم سيدى ان غراسه قد اثمر * ومراده قد تيسر * وان علاجه حالى قد هزم الداء * وجلب الشفاء * بعدما اعيا الاطباء * وغلب الدواء * فان فرح الطبيب بعافية المريض اشد من فرح كل اخ قريب * وكل حميم وحبيب * الآن حين انقطعت عن الملوك وابوابهم فقد كان لى عذر فى ورود النهر * قبل ورود البحر * وفى الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء

الطهر * وعهد سيدي بي و انا ارتاد غير ارضى * و ارتع فى غير روضى * و اطلب الرزق خارجا من دارى فالآن قد نزعنا تلك الثياب * و اغلقنا ذلك الباب * و نسخنا ذلك الكتاب *

وكنت زبيريا فاصبحت شيعة * لمروان و ارتد الهوى لابن بحدل

هـذا وقد انثال على من الخير بهذه الحضرة ما ترك بيـانى حسيرا * ولسانى قصيرا * والنعمة اذا زادت على الوظيفة مسكتة * و السرور اذا افرط مقطعة ومسكتة * و الناطق اذا تحير ابكم * و الشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه مفحم * فلا زال السيد يبتدع برا * و يقصد بقوله و فعله خيرا * و يكفيه شرا * و نصره الله تعالى على دهره * فانه لئيم ظفره * قبيح فى الاحرار اثره *

﴿ وكتب بعد محنته ورجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزم شاه وقد نكب ﴾

كتابى و انا بين محنة قد ادبرت * ونعمة قد اقبلت * و ولى قد ملك * و عدو قد هلك * والحمد لله الذى ابتلى ثم ابلى فانعم و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الاكرمين ورد كتابك ولست اقول غمنى و اهمنى * بل اقول اعمانى واصمنى * تذكر انك امتحنت وانت برئ * ونكبت و انت محسن لا مسئ * واى ذنب اعظم من ان تشكر بالفضل اهل النقص واى جرم اشنع من ان تنزل بالفهم فيما بين طبقات اهل الجهل وما للطائر الكبير و القفص الصغير و ما بال الدرة اليتيمة * ترضى بالصدفة اللئيمة * وانما الادب جنـاح فهلا طرت به من الوكر الصغير * الى الوكر الكبير * وهلا اذ كلت آلتك * انتجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك * و ما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلعك بهـا السعد من يد النحس من تلك البقعة الناقصة اهلا * النبتة جهلا * فابشر ولاتتهم الله تعـالى فى مصالح خلقه * ولا تقنط من رزقه * فانه انمـا يرتاب المبطلون * ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * واياك ان تفل هذه الحادثة غربك * او تكسر حدك *

او

او تضرع خدك * او تثلم ركنك * او تسيء بالله تعالى ظنك * فانما كانت صاعقة احرقت ثوبك * ومست بعضك * وسلم الله وله الحمد منها روحك * وصان فيهـا لسانك وقلبك * ووراءك الدهر الطويل * وخلفك صنع الله الجميل * ووعده بجميل صنعه كفيل * وقد خرجت الى الدهر * من نوبة العسر * فهو غريمك الآن فى اليسر * واذا رأى جلادتك على وقع سهامه * و صلابتك على تصريف ايامه * جاءك معتذرا * وهرب اليك مستترا * واسا باليمنى ماجرح باليسرى * ووزن عليـك بالسنجة الكبرى * ما اتزن منك بالسنجة الصغرى * فانتظر الفرج فانه منتظر * واصبر فان الدهر لا يصبر *

﴿ وكتب الى ابى محمد عبد الرحمن بن احمد من نيسابور ﴾

كتبت الى الشيخ من داره التى طالما تصرفت بها على امره ونهيه * و تقلبت فيها بين افضاله وفضله * وحالى ببركته تعلقنى بذيل الدولة السـامية * وانتمائى الى الحضرة العالية * عن يمينى السلامة وعن يسارى العافية * ولا تزال كتبى ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن فى ادنى طبقات الجودة * كانت فى اولى طبقات الرداءة * وانما يروى النـاس احد الكلامين * ويتمسكون فى الرواية باحد الطرفين * فاما حسن جيد معجب * واما ردىء مجب * ولقد اولانى الشيخ من الصنع العميم * ومن الاحسـان الحادث والقديم * ما تركنى اهذى بمدحه * واحتلم بوجهه * واتصبح باسمه وانفاءل بذكره * واحتلب ضرع الشعر بذكر بره * ولن استعين على شـكر تلك النعمة * ولا امسك بيدى طرف تلك الخدمة * بمثل الاعتراف بالتقصير عن الواجب * والقصور عن اداء المواجب * وانما النعمة مطية شرود ولن ترتبط بمثل الشـكر * ولن تنفر بمثل الكفر * وانما الشيخ اب بر واهل الادب ابناؤه * وسمسار كبير وطبقات اهل العلم والفضل حرفاؤه * فمن احسن الى احدهم فانما احسن اليه * وافضل عليه * واستحق المكافاة من لسانه ويديه * وليشـكر عنا اهل الصنعة اذا احسن بنا * وليعلم انه قد حصل له ما حصل لنا * وقد احسن الى فلان فى كذا والشيخ هو الذى مهد لى عنده موضعى * وسهل لى مسلكى * ووطأ لى فى تلك الحضرة لسانا * واقام لى بها ميزانا *

لا زال الشيخ راكبا كاهل الدهر * محكما فى الخير والشر * تخدمه الانام بل الايام * وترجوه الكرام كما تخافه اللئام * وتعشقه السلامة والسلام *

﴿ وكتب الى ابى منصور كثير بن احمد ﴾

كتبت الى الشيخ من داره التي ما ينغصها على الا بعده عنها * وخلوها منه وقد كثرت كتبى اليه كثرة نعمه على * وتواترت تواتر اياديه الى * وعهدى بتفضل الشيخ يسلك طريق الابتداء والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافاة والطريق معبد قد سمع الشيخ اخبارى بالحضرة وانى اكتلت بالصاع الاوفى واتزنت بالسنجة الكبرى * ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى * واسترجعت باليمنى ما كنت اعطيت باليسرى * وفلان قد وصلت الى بركات اتصالى به وانا فى غير حضرته * واخذت ماله وان لم يخرج من خزانته * واستغفرالله من حظى الدنيا كلها حضرته * والناس باجمعهم رعيته * والملوك باسرهم شيعته * والاحرار عياله وحاشيته * فاما اعداؤه فرحومون من الم الحسد * ومقتولون بسيف الغم والكمد * سكوته افصح من كلامهم * ومنعه اندى من نوالهم * وحجابه احلى من لقائهم * وعبوسه احسن من ابتسامهم * وغضبه انفع من رضاهم * ويسراه اسد من يمناهم * وبخله افضل من عطاياهم *

﴿ وكتب الى ابى القاسم المزنى وقد صالح اخاه ﴾

كتابى وانما الشيخ باز عتيق كان طار عن اهله * وفرع عميم كان انقطع من اصله * فردته ايام السعادة الى بيته * وضمت اتفاقات الاقبال بعضه الى بعضه * ونعم المعلم الدولة ونعم الدليل السعد والسعادة وانا اعرف الشيخ معرفة يقين وغيرى يعرفه معرفة ظن * وانظر اليه بعينين وسواى ينظر اليه بعين * والرجال كثير ولكنهم قليل * والدهر باشخاصهم جواد وبحقائقهم بخيل * وقد كنت احسب انى اذا هربت من نعمته على * وانهزمت من عساكر احسانه الى خفت رقبتى من طوق صنائعه * وخلت يدى من بعض ودائعه * وتنفست الى الفراغ

مدة

مدة و استرحت من تواتر الاعباء * وتناسق النعماء * و لو ساعة واحدة * فاذا نعمته لى بمرصد حيث كنت * وعلى مدرجتى اينما قطنت او ظعنت * اهرب منها وتتبعنى * و ارحل عنها و تشيعنى * فنها الطلب * ومنى الهرب * فلا عدمتها طالبا * و لا زلت منها هاربا * و لا زال الشيخ يستقبل باحسانه كل نازل * ويشيع به كل راحل * واطال الله بقاءه على حالة ترضيتى له وفيه فوالله ما ارضى له الا بالرضى * ولا ازل فيه الاوراء الغاية القصوى * ولا استعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى * ولا تزال كتب الشيخ تردعا يحيى ميت مالى * بل ميت آمالى * وتطرى خلق حالى * وترد الماء فيما نضب من جمالى * ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح * وطريق الجميل نهج واضح * وللشيخ صنائع فى الناس ارجو ان لا اكون اعياهم لسانا * ولا اقصرهم بالشكر بيانا * ولا اسواهم لنعمته جوارا ولا اقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الانسان كبر شكره * ومن شرف الكلام شرف من رواه ونشره * وانما السيد بطاعة عشيرته * والامير بصلاح رعيته * والممدوح بالسنة شيعته *

﴿ وكتب رحمه الله ﴾

طالت محنة فلان حتى كأن حبسه الابد * الذى ليس له امد * وكأن عطبه يوم القيامة الذى ليس له غد * و انى اكره للسيد ان يكون زحلى خطوة العفو جمادى حركة الصفح لا يحل عقده * ولا تحامى عن فريسته يده * فان ذلك يقوى عزم عدوه على مقارعته * ويثلم رجاء وليه لمراجعته * ولعمرى ان الاسير لكبير و اكبر من الاسير من اسره ثم اعتقه * و اشجع من الاسد من قيده ثم اطلقه *

﴿ وكتب ايضا ﴾

تركى مكاتبة الشيخ وهى معترضة لى غم وحسرة واقدامى عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجلة ولما اكتنفنى الحالان سلكت طريقة بينهما * متوسطة لهما * فاقتصرت من الكتاب على الرقعة و من التفصيل على الجملة فان اكن

قد احسنت فالقليل من الاحسان يقبل * و ان اكن اسأت فالقليل من الاساءة امثل * موصل الرقعة فلان وهو تام فى آلته * ناقص فى حالته * جديد ثوب الجمال * خلق ثوب الحال * حال من الادب * عاطل من النشب * و سبيله ان يوزن فى كفة كماله * لا فى كفة حاله *

﴿ وكتب ايضا ﴾

تأخر كتابك ياسيدى فطرق لسوء الظن طريقا الى وفائك * و فتح للتهمة بابا الى اخائك * و انى لاكره الود يعمره التلاقى * ويخربه التنائى * و ابغض الصديق يضع مقاليد البغض و الحب * فى يدى البعد و القرب * و انا الذى اصاب عهدك بعينه * و افسدك بحسن ظنه * ويا عجبا للدهر كيف فطن لمحلك من قلبى * وكيف اطلع على غيبى * و ما زال الدهر يقرطس سهمه فى كل شئ احببته * ويعارضنى فى طريق كل مراد طلبته * حتى لو احببت الموت لابقانى * و لو اردت الحرمان لاعطانى * و لو آثرت الفقر لاغنانى * ولو عاديت الباطل لوالاه وعادانى * و لقد

عجبت للدهر فى تصرفه * و كل افعال دهرنا عجب
يباين الدهر كل ذى ادب * كأنما نالك امه الادب

﴿ وكتب الى ابى القاسم الحسن بن على ﴾

انقطع كتابى عن الشيخ لتصاريف الاحوال اليه * و تكون الاسفار و الاطوار عليه * لانه كان مشغولا بكتائب الاعداء * عن كتب الاولياء * و بمقارعة الامراء * عن مطالعة الادباء * والسيف اصدق انباء من الكتب * فلا جرم انه قد اسفرت آماله عن المساعى الغر * وعن الآثار الزهر * وعن الفتح والنصر * فافترع مملكة طالما خطبت فما نكحت * وطلبت فما وجدت * بكر فما افترعتها كف حادثة * ولا ترقت اليها همة الثوب و برزة الوجه قد اعيت رياضتها * كسرى وصدت صدودا عن ابى كرب وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار * و فى دون القيمة يكون افتراع الابكار * وشتان

و شتان بين من افتض عذارى الجوارى * و بين من افتض عذارى النواحى * لا بل شتان بين من صارع مملوكه تحت اللحاف * وبين من صارع مملكة تحت الرماح و الاسياف * لا بل شتان بين من افعاله ثنية و طريقه مسلوكة قد سبق اليها * وشورك فيها * و بين من

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الا عذاريا

والشيخ ادام الله عزه على قضية فعله * وشريطة فضله * ذو الكفاية للسبق فى الحلبتين * والتحلى بالحليتين * فهو فارس القلم و اللسان * ثم رب السيف و السنان *

قد كان يوم ندى بجودك باهرا * حتى اضفت اليه يوم ضراب

وبديهة انت ابتدأت طريقها * اولاك لم تكتب على الكتاب

والحمد لله تعالى الذى الحق زماننا بالازمان * وان فضل الزمان راجع الى فضل اهل الزمان * و على مقادير الايام * تكون محاسن الانام * و ان ذكر اهل العراق فى رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين * وعلى بن سعيد ذا القلمين * واسحق بن كنداج ذا السيفين * و صاعد بن مخلد ذا الوزارتين * وقبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمينين * ذكرنا ذا الكفايتين * و زدنا عليهم للواحد اثنين * لان اولئك انما ضربوا باسيافهم و الدنيا شابة و الخلافة مقبلة و الايام مساعدة و السعود قائمة * و النحوس نائمة * ونحن دفعنا الى زمان هرمت فيه الدولة و فترت الدعوة و كسدت السلعة و بطلت الصنعة و ضاقت المملكة و كل القلم * و قل الدينار و الدرهم * و انشدنا

اتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم واتيناه على الهرم

و انما الناس بالاحسان * و الاحسان بالسلطان * و السلطان بالزمان * والزمان بالامكان * و الامكان على قدر الكيان *

و انت عبيد الله اكبر همة * واكرم من فضل ويحيى وخالد

اولئك جادوا و الزمان مساعد * وقد جاد ذا و الدهر غير مساعد

هناه الله تعالى بما اولاه * و بارك له فيما اعطاه * و اراه فى اولاه و اخراه * وفيمن والاه وعاداه * ما يريد ويهواه * وآتاه مما يسمعه و يراه ما يقترحه

و يمناه * و اراني فيه ما يرضاه و ارضاه * حتى ارى الدهر و هو عبده و مولاه *
و السيف يتبع مراده وهواه * و الاقبال و هو يمسك طريق خطاه * والموت
و هو سلاحه و يداه * يفني من افناه * و يبقى من ابقاه * و يرى في الآمال
و الآجال ما يراه * و اطال بقاءه * و جعلني فداءه *

* هذا و قد تناهى طبع هذه الرسائل * التي لم يبلغ شأوها في الفصاحة *
* سحبان وائل * بل هو عندها ادنى من باقل * و لو ظهرت في ايامه لمد اليها *
* كف مستمد سائل * ولو كانت في عصر قس بن ساعدة الايادي * لكان *
* لها عليه جميل الايادي * فلعمري انها نسخت ما تركت الاوائل *
* كلمة لقائل * و احكمت كم ترك الاول للآخر * و الماضي للغابر *
* فليكن الاديب لها نعم الآخذ * و ليعض عليها بالنواجذ *
* فانه يبلغ بها في صناعته اشده * و تكون له في الانشاء *
* اوفر عده * و كان طبعها على هذا الوجه الحسن *
* وتمثيلها في هذا القالب المستحسن * في مطبعة *
* الجوائب البهية في القسطنطينية العلية *
* وقد تم طبعها * و عم نشرها * في *
* اوائل شهر شوال من سنة *
* ١٢٩٧ هجرية على *
* صاحبها افضل *
* الصلاة و ازكى *
* السلام *

* *
*

